# مجلة القلزم

العلمية للدراسات السياحية والأثارية

ISSN: 1858 - 9928

علمية دورية محكمة

## في هذا العدد


- مروي القديمة-المدينة الملكية وصروحها وضواحيها الشماليةالتعريف، الصيانة والترميم والتأهيل للسياحة الثقافية
  أ.د علي عثمان محمد صالح
- فخار حضارة العُبيد في شبه الجزيرة العربية: الدلالات الحضارية
  أ.د.عبد الرحيم محمد خبير
- إدارة المصادر الآثارية وفق التطبيقات الحديثة والمعطيات الآثارية الجديدة(مدينة مروي القديمة أنموذجاً)
  د. محمد البدري سليمان بشير
- منطقة الحلاوين في ظل الدولة السنارية ( 1504- 1821م)
  د. محمد الفاتح حياتي
- البعد الآثاري في الرواية السودانية: رواية مَانفستوُ الديّك النوُبي لعبد العزيز بركة ساكن أنموذجاً
  د. حماد محمد حامدين
- النشاط المعماري الديني التعبدي للملك تهارقو في بلاد كوش
  د. الأمين عثمان شعيب
- مراحل تطور فك رموز اللغة المروية
  د. صديق مهدي عبد الرحمن
- الاستحكامات الدفاعية فى المهدية فى ضؤ دراسة التراث الحضارى (1885– 1899م)
  د . فيصل عبدالله عمر محمد

العدد الرابع شعبان 1443 هـ - مارس 2022م

مجلة القلزم العلمية للدراسات الآثارية والسياحية - العدد الرابع -شعبان 1443 هـ - مارس 2022م

ISSN: 1858 - 9928 ردمك

دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution

مجلة القلزم العلمية للدراسات الآثارية والسياحية

**هيئة التحرير**

**الإشراف العام**: د. أحمد علي أحمد عبد الله

**رئيس هيئة التحرير** : أ. د.حاتم الصديق محمد احمد

**رئيس التحرير** : د.عوض أحمد حسين شبا

**مدير التحرير**: د.ندى بابكر محمد إبراهيم

**التدقيق اللغوي** : أ. الفاتح يحيى محمد عبد القادر

**الإشراف الإلكتروني**: د. محمد المأمون

**التصميم الفني**: أ. عادل محمد عبد القادر

---

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية-السودان

مجلة القلزم: Al Qulzum Journal for archeological and tourism studies

الخرطوم : مركز دول حوض البحر الأحمر 2022

تصدر عن دار آريثيريا للنشر والتوزيع السودان

ردمك: 1858-9928 الخرطوم- السودان

# الهيئة العلمية و الإستشارية


أ.د. علي عثمان محمد صالح - جامعة الخرطوم -

## رئيس الهيئة

أ.د. يوسف مختار - جامعة افريقيا العالمية - السودان

أ.د. عبد الرحيم محمد خبير - جامعة بحري - السودان

أ.د. خضر آدم عيسى - جامعة الخرطوم - السودان

د. هانم العزب - جامعة الزقازيق

جمهورية مصر العربية

د. محمد علي الحاج - جامعة صنعاء - اليمن

د. محمد خير محمد العطا - جامعة شندي - السودان

د. فائز حسن عثمان أحمد - جامعة جيزان - السعودية

د.محمد الفاتح حياتي عبد الله الطيب - جامعة الخرطوم - السودان

د.عبد المنعم أحمد عبد الله - جامعة افريقيا العالمية - السودان

د. سامي شرف محمد غالب الشهاب - اليمن

أماني نور الدائم محمد مسعود - الهيئة العامة للآثار والمتاحف - السودان

محمد فاروق عبد الرحمن علي - جامعة افريقيا العالمية - السودان

د.أحمد حامد نصر حمد - جامعة النيلين - السودان

د. حرم ابو القاسم مدير - جامعة شندي - السودان

د.محمد البدري - جامعة الخرطوم - السودان

الدكتور/ جعفر

د.علي محمد عثمان العراقي - جامعة الملك سعود - السعودية

د.جعفر محمد مصطفى ابوزيد - جامعة الزعيم الأزهري - السودان

د. هيفاء بنت حمود بن صالح الشمري - جامعة حائل - السعودية

د. نهى عبد الحافظ - جامعة الخرطوم - السودان

د.هاشم عوض فضل السيد - جامعة شندي السودان

د. يوسف العبيد السيد - جامعة شندي - السودان

د. ليلى محمد بوعزة -المتحف العمومي الوطني الجزائري - الشلف



ترسل الأوراق العلمية على العنوان التالي:

هاتف: ٢٤٩٩١٠٧٨٥٨٥٥ - ٢٤٩١٢١٥٦٦٢٠٧١ - بريد إلكتروني: rsbcrsc@gmail.com

السودان - الخرطوم - السوق العربي - عمارة جي تاون - الطابق الثالث

# موجهات النشر

## تعريف المجلة:

مجلة (القُلزم) للدراسات السياحية والآثارية مجلة علمية محُكمة تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر. تهتم المجلة بالبحوث والدراسات التي تخص حوض البحر الأحمر والدول المطلة عليه والمواضيع ذات الصلة.

## موجهات المجلة:

1. يجب أن يتسم البحث بالجودة والأصالة وألا يكون قد سبق نشره قبل ذلك.
2. على الباحث أن يقدم بحثه من نسختين. وأن يكون بخط (Traditional Arabic) بحجم 14 على أن تكون الجداول مرقمة وفي نهاية البحث وقبل المراجع على أن يشارك إلى رقم الجدول بين قوسين دائريين ().
3. يجب ترقيم جميع الصفحات تسلسلياً وبالأرقام العربية بما في ذلك الجداول والأشكال التي تلحق بالبحث.
4. المصادر والمراجع الحديثة يستخدم أسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع، رقم الصفحة.
5. المصادر الأجنبية يستخدم اسم العائلة (Hill, R,).
6. يجب ألا يزيد البحث عن 30 صفحة وبالإمكان كتابته باللغة العربية أو الإنجليزية.
7. يجب أن يكون هناك مستخلص لكل بحث باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد على 200 كلمة بالنسبة للغة الإنجليزية. أما بالنسبة للغة العربية فيجب أن يكون المستخلص وافياً للبحث بما في ذلك طريقة البحث والنتائج والاستنتاجات مما يساعد القارئ العربي على استيعاب موضوع البحث وبما لا يزيد عن 300 كلمة.
8. لا تلزم هيئة تحرير المجلة بإعادة الأوراق التي لم يتم قبولها للنشر.
9. على الباحث إرفاق عنوانه كاملاً مع الورقة المقدمة (الاسم رباعي، مكان العمل، الهاتف البريد الإلكتروني).

نأمل قراءة شروط النشر قبل الشروع في إعداد الورقة العلمية.

# المحتويات


مـروي القديمـة - المدينة الملكية وصروحها وضواحيها الشـماليةالتعريف، الصيانة والترميم والتأهيـل للسـياحة الثقافيـة.....(7-22)

أ.د. علي عثمان محمد صالح

فخـار حضـارة العُبيـد في شـبه الجزيـرة العربيـة: الـدلالات الحضاريـة.....(23-56)

أ.د.عبد الرحيم محمد خبير

النشـاط المعـماري الديني التعبـدي للملك تهارقو في بـلاد كـوش.....(57-80)

د. الأمين عثمان شعيب

مراحـل تطـور فـك رمـوز اللغـة المرويـة.....(81-98)

د. صديق مهدي عبد الرحمن

منطقـة الحلاويـن في ظل الدولـة السـنَّارية ( 1504- 1821م).....(99-122)

د. محمد الفاتح حياتي

إدارة المصـادر الآثاريـة وفـق التطبيقـات الحديثـة والمعطيـات الآثاريـة الجديـدة (مدينـة مـروي القديمـة أنموذجـاً).....(123-154)

د. محمد البدري سليمان بشير

الاسـتحكامات الدفاعيـة فى المهديـة فى ضـؤ دراسـة الـتراث الحضـارى (1885- 1899م).....(155-166)

د . فيصل عبدالله عمر محمد

البعـد الآثـاري في الروايـة السـودانية: روايـة مَانفسـتوُ الديّـك النـوُبي لعبـد العزيـز بركـة سـاكن أنموذجـاً.....(167-198)

د. حماد محمد حامدين

# كلمة التحرير

القارئ الكريم:

إن من دواعي سرورنا أن نطل عليكم من خلال العدد الرابع من مجلة القُلزم العلمية للدراسات السياحية والآثارية العلمية الدولية المحُكمة والتى تميزت بأوراق علمية مهمة بمشاركة خاصة من أهم علماء الآثار في السودان والوطن العربي والعالم ويسعدنا في مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان ومجلات القُلزم العلمية الدولية المحُكمة. أن نهدي هذا العدد المميز إلى قامتين علميتين لهما بصمات واضحة في الدراسات الآثارية والتاريخية في السودان ودول حوض البحر الأحمر، وكذلك كان لهما دور كبير في النجاح الكبير لمجلات القلزم العلمية الدولية المحكمة المتخصصة بفضل رعايتهما وتوجيهما ؛وهما:

البروفسير/ يوسف فضل حسن - رئيس الهيئة العلمية لمركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر.

البروفسير/علي عثمان محمد صالح- رئيس الهيئة الإستشارية لمركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر.

نسأل الله تعالى لهما وللجميع التوفيق والسداد...

مع خالص الشكر والتقدير .

أسرة هيئة التحرير

# مروي القديمة- المدينة الملكية وصروحها وضواحيها الشماليةالتعريف، الصيانة والترميم والتأهيل للسياحة الثقافية

أ.د.علي عثمان محمد صالح
قسم الآثار - جامعة الخرطوم

**مستخلص:**

يهدف هذا البحث إلى كشف وشرح القطاعات المختلفة للمدينة الملكية ومحيطها ضمن المشهد الأكبر لقلب الأراضي المروية الممتد من المحمية شمالاً والحصا جنوباً، بما في ذلك المنطقة الجبلية المرتفعة الواقعة بين المحمية وجبل أم علي، حيث تقترب من ألاراضي النيلية الخصبة ثم تتفرع باتجاه الشرق ومن ثم تميل نحو الجنوب لتقترب من النيل مرة أخرى عند منطقة ديم القراي-الحصا.سلطت الورقة الضوء على الروابط والعلاقات المتبادلة بين القطاعات المختلفة للمدينة الملكية ، وتخطيطها ووظائفها من أجل تحديد نموذج عملي للمدينة الملكية وضواحيها ، من أجل تقديم عرض أفضل للمشهد الحالي و فرص أفضل لبحوث المستقبل. كما ناقش البحث الخطط المستقبلية لترميم الموقع والمحافظة عليه والسياحة المستقبلية.

**Abstract:**

This research aims to expose and explain the different sectors of the Royal City and its environs within the larger landscape of the heartland of Meroe extending from Al-Mahmia in the North and Al-Hassa in the South, including the mountainous Plaetu between Al-Mahmia and Jebel Um Ali which closes to the Nile fertile lands and then branches

off towards the east and then leans toward the south to descend toward the Nile again at Deam Al grai- Al-Hassa.The paper shed light on the connections and inter-relationships of the deferent Sectors of the Royal City, their layout, and functions in order to outline a workable Model of the Royal City and its Environs, for a better presentation of a more existing scene and better chances for new research. The research also discusses the future plans of site's restoration, preservation and tourism.

## 1- التعريف:

### 1-1: الموقع الجغرافي وأجزاء المدينة التاريخية وأُطروحة لنشأة المملكة:

تقع مدينة مروي التاريخية في ولاية نهر النيل، على الضفة الشرقية، على بعد 200كلم شمال مدينة الخرطوم، و34 كلم شمال شرق مدينة شندي، بإحداثيات 16ْ: 54ْ شمال و33ْ: 44ْ شرق. (الخريطة1).

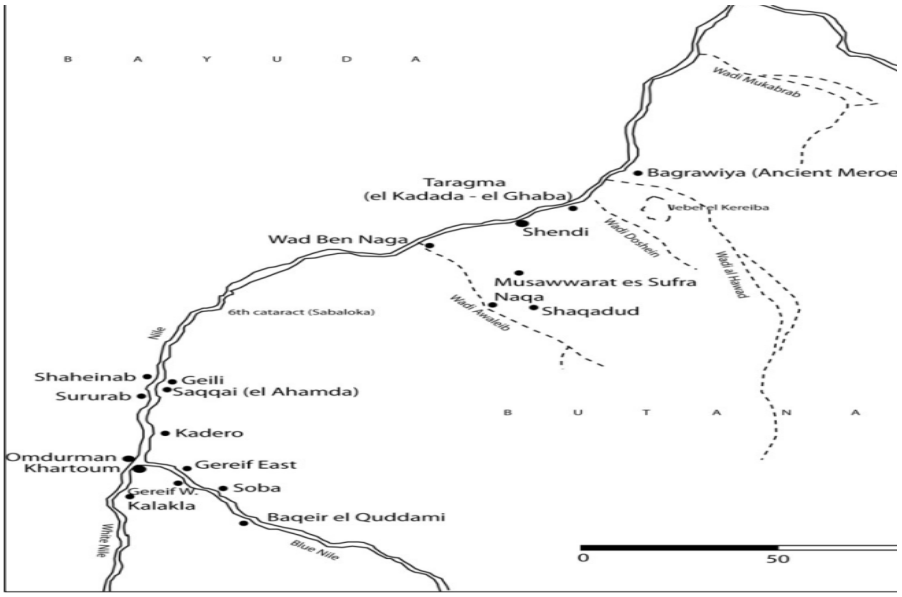


خريطة رقم (1) الموقع الجغرافي لمدينة مروي القديمة

يتميز إقليمها المحصور بين النيل ونهر عطبرة بالأراضي الخصبة المسطحة التي تكون أرض البطانة، وبالأودية الموسمية الكبيرة والصغيرة التي تصب في النيل على طول المسافة بينها وبين شلال السبلوقة (الشلال السادس) وأهمها وادي العواتيب الأبعد منها جنوباً ووادي الهواد الذي يصب على بعد كيلومترات جنوبها بمجراه الرئيسي ومتفرعات منه عديدة.

**خريطة رقم (2) أهم الأودية في أقليم مروي**

وقد سمى الكتاب الأوربيون الكلاسيكيون إقليم مروي « بجزيرة مروي» أما بحسبانه محصوراً بين النيل ونهر عطبرة اللذان يقترنان في شمالها بين مدينتي الدامر وعطبرة، أو ربما لأن المدينة التاريخية كانت تقع على تل ترابي عالي بأرض مائية منخفضة.

هذا التل الترابي الذي بنيت عليه المدينة التاريخية يقع بين فرع من وادي الهواد جنوبها وبين الجزء الجنوبي من التل الحجري الذي يقع أسفل جبل أم علي، أي أن أجزائها المختلفة تغطي مسافة تقارب الخمسة عشر كيلو متر. ومن

أهـم المعـالم الطبيعيـة لهـذه المنطقـة وادي الطرابيـل ووادي الـدان، وهـما واديـان جافـان الآن إلا أنـه مـا زال ينمـو فيهـما شـجيرات كثيفـة.

## تتكون المدينة التاريخية من الأجزاء التالية:

1. المدينة الملكية وصروحها من المعابد والحمام الملكي.
2. العمـران المجـاور للمدينـة الملكيـة ويحتـل معظمـه الجـزء الشـمالي مـن المنطقـة المجـاورة لهـا مـن ناحيـة الـشرق.
3. منطقـة صناعـة الحديـد التـي تحتـل الجـزء الجنـوبي مـن المسـاحة التـي تجـاور المدينـة الملكيـة مـن الـشرق.
4. الأهرامـات، مدافـن الملـوك والملـكات وهـي تغطـي تلـين جبليـين عـلى مسـافة 4 كيلومـترات شرق المدينـة الملكيـة.
5. الأهرامـات، مدافـن الأمـراء والوجهـاء، ويجاورهـا معبـد الأسـد وحفـير مـاء كبـير، وتقـع كلهـا في المسـافة مـا بـين المدينـة الملكيـة ومدافـن الملـوك والملـكات وإلى الجنـوب قليـلاً مـن محاذاتهـا.
6. تـل تـرابي ضخـم، يقـع إلى الشـمال الغـربي مـن المدينـة الملكيـة عـلى مسـافة ثلاثـة كيلـو مـترات تقريبـاً، لا نعـرف كنهـه حتـى الآن حيـث لم تجـرى عليـه أي إستكشـافات آثاريـة بعـد.
7. ثلاثـة مسـتوطنات كبـيرة مـن العـصر الحجـري الحديـث المتأخـر تـم إكتشـافها حديثـاً، وبـدأت فيهـا أعـمال آثاريـة أوليـة دللـت عـلى أنهـا ربمـا تكـون الأصـول المحليـة الأولى للمدينـة التاريخيـة. وتقـع كلهـا إلى الشـمال مـن المدينـة الملكيـة، أقربهـا إليهـا عـلى بعـد 4 كيلـو مـترات وأبعدهـا عـلى بعـد 6 كيلومـترات.
8. موقـع قـدو بجـوار محطـة السـكة حديـد، وهـو موقـع كبـير، ومعـروف أنـه مـروي التاريـخ، إلا أن طبيعتـه لم تُحـدد بعـد في إنتظـار حفريـات آثاريـة فيـه.
9. محجر في جبل أم علي.
10. في التـل الصخـري مـا بـين موقـع قـدو وجبـل أم عـلي تـم حديثـاً إكتشـاف مقبرتـين مـن عـصر مـا بعـد مـروي (350ـ500 م) تحـوي كل واحـدة منهـما حـوالي مائـة قـبر.

تحيط بمدينة مروي التاريخية سلسلة من التلال الجبلية متوسطة الإرتفاع من الناحية الشمالية والناحية الشرقية والناحية الجنوبية، مكونة بطناً كبيراً يتسع في أوسع مناطقه، لحوالي 4 كيلومترات وما يزيد قليلاً. (الخريطة 3) ويبدو أن هذا الحزام الواقي من سلسلة التلال هو الذي شجع السكان الأوائل لهذه المنطقة على الإستقرار في هذا المكان وبناء المستوطنة الأولى، في الألف الثاني ق.م. وقد نمت تلك المستوطنة وتطورت إدارتها حتى أصبح لها مك قوي إستطاع ضم مستوطنة أخرى إلى الجنوب، على وادي الهواد ثم دخلوا بالوادي إلى البطانة الغنية، لتكوين مملكة مروي العظيمة، التي تطورت فيما بعد إلى إمبراطورية، حكمت شمالاً حتى الحدود المصرية وجنوباً حتى حدود المنطقة الإستوائية.

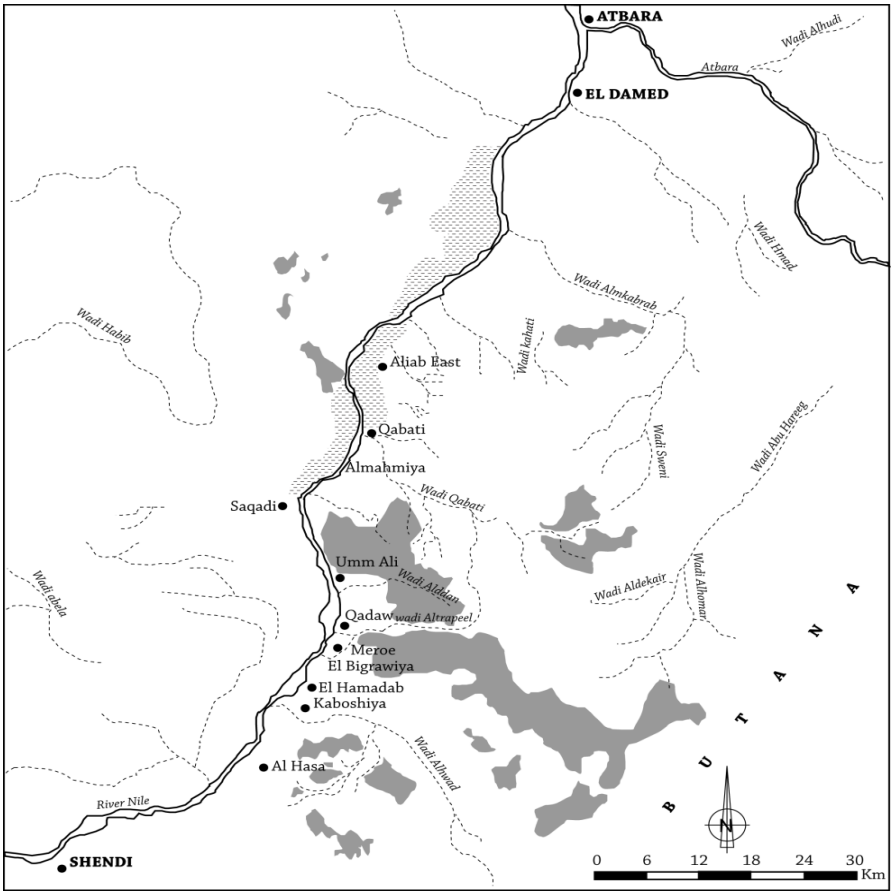


**خريطة رقم (3) المدينة الملكية وسلسلة التلال المحيطة بها**

## 2-1: المدينة الملكية وصروحها:

تبدو المدينة الملكية من الجو وكأنها مخططات عامة وسط غابة من الأشجار المتفرقة (شكل رقم1).

إلا أن المخطط التركيبي المصاحب، يظهر لنا عظمة المدينة وإمتداداتها والصروح التابعة لها في حوالي العام مائة بعد الميلاد (شكل رقم1).

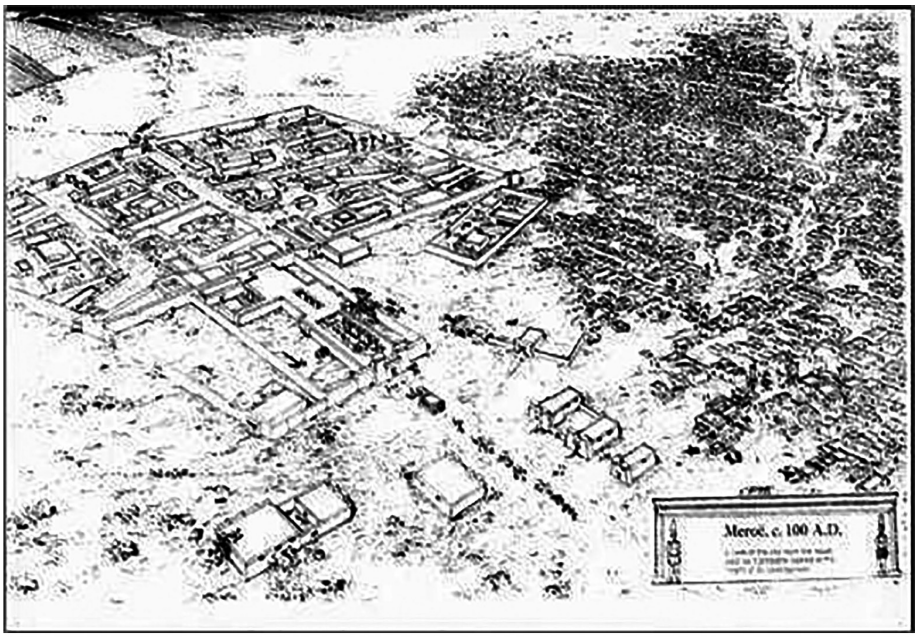


شكل رقم (1) مخطط تركيبي للمدينة الملكية1(Shinnie and Anderson, 2004)

ويمكن دراسة المدينة في الخريطة الآثارية التي رسمت منذ بدايات القرن الماضي، وأجريت عليها بعض الإضافات والتعديلات بعد الحفريات التي تمت فيها في الربع الأخير من القرن الماضي، والحفريات الجارية الآن، عن طريق المشروع السوداني ـ الكندي المشترك بين قسم الآثار، جامعة الخرطوم ومتحف أونتاريو الملكي، بإدارة ب/علي عثمان محمد صالح ممثلاً لجامعة الخرطوم والدكتور كريزيستوف فريز يمسكي ممثلاً لمتحف أونتاريو الملكي (شكل رقم2).

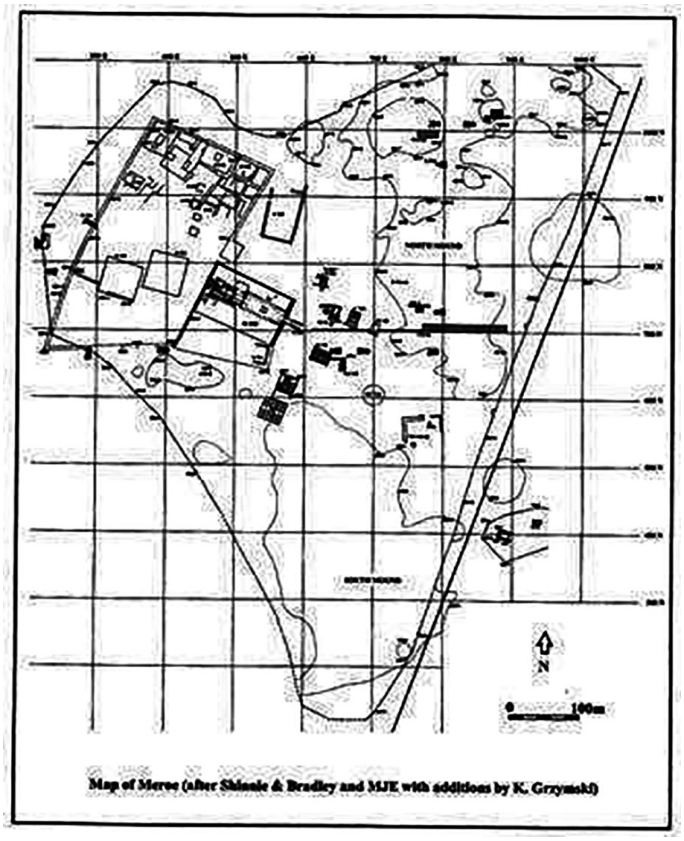


شكل رقم (2) مخطط للمدينة الملكية2، بعد (Shinnie& Bradley 1980 )

وأجزاء المدينة الملكية هي:

1. معبد آمون الذي يقع إلى الشرق من المنطقة الملكية المسورة (الصورة 1-2)

صور رقم (1-2) معبد آمون بالمدينة الملكية

2. المنطقة الملكية المسورة، وتحوي بعض القصور والمعبد المسمى «معبد أغسطس» والحمام الملكي (الصورة 3-4).

**صور رقم (3-4) معبد أغسطس والقصور الملكية**

3. الممر المقدس أمام معبد آمون، ويحيط به على جانبيه الشمالي والجنوبي عدد من المعابد الصغيرة نسبياً.

4. مبنى من جزئين، إلى الجنوب الشرقي من معبد آمون، مشهور بمسمى «السجن».

5. بعض المباني التي تقع خارج المنطقة المسورة، وخارج حدود المعابد المتصلة بالممر المقدس، ولكنها تبدو كأنها جزء من مناطق الطقوس الملكية، مثل الموقع م 712 والموقع م621 (الصورة 5).

**صورة رقم (5) الموقع المسمى م 621**

3-1: الأهرامات: مدافن الملوك والملكات والأمراء والوجهاء (الصورة من 19ـ22).

توجد أهرامات ملوك وملكات مروي على تلين جبليين، شرق المدينة الملكية، وتسمى البجراوية جنوب والبجراوية شمال، وتسبق الأولى الثانية تاريخياً.

هذه الأهرامات، ويربو عددها على المائتين، بنيت على نسق أهرامات المملكة المصرية القديمة، ولكنها أصغر منها حجماً، وأكثر منها تنوعاً في أسلوب البناء الخارجي، كما أنها ليست مدافن كما مثيلاتها المصرية، بل هي شواهد قبور المدفونين فيها.

تم إعادة بناء الهرم نمرة 19 من القاعدة إلى القمة، بالطريقة الهندسية التي بنيت بها هذه الأهرامات في الأصل، حيث ترك لنا الأولون رسومات هندسية على جدران بعضها، توضح هندسة بنائها. وقد مكن إعادة بناء هذا الهرم العلماء من معرفة أدق أسرار أجزائها المختلفة، وأسلوب الحفاظ على هندستها التي تبدو صعبة جداً، حتى على الهندسة المعمارية المعاصرة.

إشتهر أمر هرم الملكة أماني شيختو، التي حكمت في القرن الثالث قبل الميلاد، لأن طبيباً إيطالياً كان يعمل مع حكومة الحكم الثنائي، حفرة من القمة إلى

أسفل، ووجد في بطن تراب الحشوة، صندوقاً مليئاً بالمجوهرات الذهبية، وأخذها وباعها للأسرة الحاكمة في ألمانيا وإنجلترا. ذلك عام 1936م. وإختفى ذلك الكنز النادر في أضابير التاريخ، حتى تم توحيد ألمانيا نهاية القرن الماضي، وتم جمع الكنز المروي من مظانه المتعددة وأُنشأ منه «معرض ذهب مروي» في ألمانيا أولاً ثم في متاحف عالمية أخرى.

المجموعة الثالثة من أهرامات مروي، هي أهرامات الأمراء والوجهاء. وتسمى «بالمقبرة الغربية». هذه الأهرامات أصغر حجماً من أهرامات الملوك والملكات، ولكنها لا تقل عنها هندسة وتنوعاً، ويقع بالقرب منها من الناحية الغربية الجنوبية «معبد الشمس» الذي ذكره الكُتاب الكلاسيكيون بكثير من الإعجاب والإجلال. كما يقع بالقرب منها، وعلى جنوب شرق «معبد الشمس» حفير كبير. ويبدو أن المعبد والحفير متصلان بأهرامات الأمراء والوجهاء.

**صورة رقم (6) مجموعة الأهرامات الشمالية بمروي**

## 4-1: الضواحي الشمالية:

تبدأ الضواحي الشمالية للمدينة الملكية من الحدود الشمالية لقرية الدرقاب، والتي تم ترحيل معظم ساكنيها إلى منطقة جديدة، تم تخطيطها شرق خط السكة الحديد، في الشمال الشرقي من المدينة الملكية.

هذه القرية تعتبر إمتداداً للمدينة الملكية، وبين منازلها توجد آثار لمعبد ومباني أخرى لم نكتشف كنهها لعدم إجراء إستكشافات آثارية عليها.

كما أن قرية الكجيك، التي تقع جنوب غرب المدينة الملكية، بها آثار ظاهرة للعيان، وأخرى لم تكشف بعد، أكثرها من العهد المروي.

لذا فإننا في سبيل الإقتراح للهيئة القومية للآثار والمتاحف ضم، قرية الدرقاب وقرية الكجيك للمدينة التاريخية، وإدخالهما ضمن الخريطة الآثارية. على أن تتحمل الحكومة الإتحادية مستلزمات ذلك، من تعويض الأهالي على ممتلكاتهم، وتكاليف السياج الجديد، وأي إلتزامات أخرى في هذا الشأن.

التل أو الكوم الترابي الضحم، شمال غرب المدينة الملكية (صورة 8)، موقع يسيل له لعاب أي آثاري يعرف الأهمية التاريخية لهذه المنطقة، وبدء العمليات الآثارية الإستكشافية فيه فوراً ضرورة عاجلة.

**خريطة رقم (4) المواقع الآثارية شمال المدينة الملكية**

(الصـورة 7-8) لموقـع الصـور مـن العـصر الحجـري الحديـث المتأخـر. وقـد بـدأ أعضـاء فريـق العمـل لمـشروع «آثـار مـروي الكـبرى»، مـن قسـم الآثـار، جامعـة الخرطـوم، المسـوحات الآثاريـة والحفريـات الأوليـة في هـذا الموقـع وموقـع الـوازو المجـاور (الصـورة 8)، منـذ عـام 2003م.

**صورة رقم (7) توضح موقع القويز**

**صورة رقم (8) توضح موقع الوازو**

وتكشف النتائج الأولية للأعمال الآثارية على هذين الموقعين، أهميتهما في توريخ بدايات مملكة مروي، وفي فهم ثقافات العصر الحجري المتأخر في السودان وفي أفريقيا، خاصةً وأن الموقعين من مواقع الإستيطان، في حين أن معظم المواقع المعروفة من هذه الفترة، مواقع مدافن.

يود الفريق العامل في هذين الموقعين، تكثيف العمل، بزيادة عدد الآثاريين المتخصصين وزيادة العمال المهرة وغيرهم، إلا أن ميزانيات جامعة الخرطوم لا تتحمل أكثر من ما نعمل الآن. عشمنا في الحصول على أموال إضافية للعمل الآثاري في الموقعين، وفي المناطق المجاورة لهما، بإنشاء مشروع مشترك مع متحف مقتدر أو مع جامعة كبرى، تستطيع أن تمدنا بمعينات العمل الإضافي.

مع الأهمية القصوى لموقع مدافن عصر ما بعد مروي، حيث أننا لا نعلم حتى الآن، كيف إنتهت أيام إمبراطورية مروي الزاهية، إلا أن العمل الآثاري لم يبدأ بعد في إستكشاف وحفريات هذا الموقع. إن وجود هذه المدافن ضمن أراضي مروي التاريخية، يجعل بدء العمل في هذا الموقع من أهم واجبات الدارسين الآثاريين، خاصةً وأننا نملك دلائل ثقافية وتاريخية من مواقع مشابهة في النوبة السفلى، موقع قسطل وبلانة، والنوبة الوسطى، موقع الزومة والنوبة العليا، موقع الهوبجي جنوب المتمة، ما يوضح أن فترة ما بعد مروي لم تكن كماً مهملاً كما صورها الباحثون الأوائل.

ولقد تمت حفريات جزئية في موقع مشابه من شمال هذه المنطقة، في وادي قباتي، على بعد حوالي 20 كيلومتر (3)، وكانت النتائج مشجعة جداً لإجراء بحوث تفصيلية على مثل هذه المدافن، في المناطق المجاورة لمنطقة مروي التاريخية.

## 2- الصيانة والترميم:

### 2-1 المدينة الملكية:

الصروح التي تحتاج الى صيانة وترميم في المدينة الملكية هي: معبد آمون، معبد أغسطس، القصور الملكية، الحمام الملكي، وسور المدينة.

**صور رقم (9-10) توضح معبد آمون**

كل هذه الصروح تقع ضمن رخصة البعثة المشتركة بين جامعة جامعة الخرطوم ومتحف أنتاريو الملكي، إلا الحمام الملكي، الذي يعمل فيه فريق من المعهد الألماني.

بدأت بعثة جامعة الخرطوم ومتحف أونتاريو الملكي، صيانة صروح المدينة الملكية التي تقع ضمن مسئوليتها، منذ عام 2000م، إلا أن ما أنجز من هذا العمل قليل جداً مما هو مطلوب، ومازال في المرحلة الإبتدائية، التي كانت مرحلة تنظيف الصروح مما تراكم عليها من أتربة مجلوبة أو تركته البعثات الأولى التي نقبت فيها.

وقد نشرنا في تقريرنا الأول المنشور عام 2003م (4) تحت عنوان:

**THE MEROE EXPEDITION**

K. A. GRZYMSKI and ALI OSMAN M.SALIH

Directors

**MEROE REPORTS**

I

by K. A. Grzymski

SSEA PUPLICATIONS XVII

Benben Publications, Mississauga 2003

تفاصيل هذه المرحلة، مدعمة بالصور لما قبل وما بعد التنظيف.

المرحلة الثانية، بعد مرحلة التنظيف، كانت ستكون مرحلة الترميم، وذلك بإعادة بناء ما تهدم من هذه المباني، ما دامت واضحة المعالم، وبقي ما تهدم منها، في الموقع.

أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة الصيانة والحفظ، ذلك بإنشاء آليات مناسبة للأجزاء المرممة، دون المساس بالمظهر العام، ودون إعاقة أعمال مستقبلية أو زيارة مهتمين أو سواح لهذه الصروح.

للأسف الشديد، فإن ميزانياتنا لا تسمح بتنفيذ المرحلة الثانية والثالثة أعلاه. حيث أن جانب البحث والتدريب، تستهلكها، ولا تترك لنا أي فائض للصرف على الصيانة والترميم.

أما الخطة المستقبلية للصيانة والترميم، التي إتفقت عليها بعثة جامعة الخرطوم ومتحف أونتاريو الملكي، بعد إكتمال العمل في المدينة الملكية في المرحلتين الثانية والثالثة أعلاه، فهي إعادة النظر في إمتدادات المدينة الملكية، وضم قرية الدرقاب وقرية الكجيك إليها، وإعادة بناء السياج الواقي للمدينة بمواد أخرى غير السلك الشائك الحالي.

إن ميزانيات أعمال الصيانة والترميم، وإعادة بناء سياج واقي لحدود المدينة الملكية، فوق طاقة بعثة جامعة الخرطوم ومتحف أونتاريو الملكي، وفوق ما تخصصه الحكومة الاتحادية، وحكومة ولاية نهر النيل، للأعمال الآثارية والسياحية.

## 3. التأهيل للسياحة الثقافية:

### 3-1: المدينة التاريخية:

إن كل أجزاء المدينة التاريخية، والتي عددناها في بداية هذا المقال، مادة نادرة للسياحة الثقافية، حيث تقدم صورة متكاملة لما كانت عليه مملكة ثم إمبراطورية مروي القديمة، إحدى أهم حضارات الشرق الأوسط وأفريقيا.

كما أن كل جزء منه يمكن أن يحقق رغبات السواح، كلٍ بإهتمامه. لذا فإن تأهيل كل أجزاء المدينة التاريخية للسياحة الثقافية أمرٌ هامٍ وعاجل.

تحتاج السياحة الثقافية إلى:

المعلومات العلمية عن المجال الثقافي، في شكل مقروء أو مسموع أو مرئي. على أن تكون في شكل جذاب وأخاذ.

أن تكون التجربة السياحية تجربة كاملة، بمعنى، أهمية بروز العنصر البشري والعنصر البيئي والعنصر الثقافي الذي نتج عنه المجال السياحي المعني.

ج. مما يحفذ السائح الثقافي، الإشتراك الفعلي في الأعمال التي تنشأ من أو حول المجال الثقافي المعني، مثل الإشتراك في ورش العمل أو حلقات النقاش أو المعارض المختلفة وغيرها.

كل هذا يستدعي إنشاء متاحف المواقع، وقاعات، ومكتبات، ومسارح، في أمكنة قريبة من، أو حول، المواقع السياحية الكبرى.

كما يستدعي إنشاء لوازم الراحة البدنية والنفسية والصحية للسائح أياً كان.

وكل هذا مطلوب حول مدينة مروي التاريخية تأهيلاً للسياحة الثقافية.

**وبالله التوفيق.**

**ب/ علي عثمان محمد صالح**
قسم الآثار جامعة الخرطوم

## المصادر والمراجع:

(1) Shinnie, P., and Anderson, J. (2004) The Capital of Kush 2. Meroe Excavations 1973-1984, in *Meroitica*. Schriften zur altsudanesischen Geschichte and Archäologie, No. 20. Harrassowitz, Wiesbaden.

(2) Shinnie, P., and Bradley, J. (1980) The capital of Kush1, Meroe Excavations 19651972-, *Meroitica 4,* Akademinie-verlage, Berlin.

(3) Edwards, D. N. (1998) *Gabati. A Meroitic, Post-Meroitic and Medieval Cemetery in Central Sudan. Vol. 1*. London.

(4) Grzymiski, K, and Osman, A. (2003) *Meroe Reports1*. Canada.

# فخار حضارة العُبيد في شبه الجزيرة العربية: الدلالات الحضارية

أ.د.عبـد الرحيـم محمد خبير
قسم الآثار- كلية العلوم الإنسانية - جامعة بحري

**مستخلص:**

تحـاول هـذه الورقـة العلميـة اسـتجلاء طبيعـة التجانـس الحضـاري لفخـار حضـارة العُبيـد في مختلـف أجـزاء شـبه الجزيـرة العربيـة 5300)-(3500B.C. . وأعتـبرت ظاهـرة الانتشـار الواسـع لهـذا الفخـار دليـلاً عـلى التداخـل الحضـاري بـين العديـد مـن المواقـع الأثريـة في هـذه المنطقـة. ويـري بعـض الباحثـين ومنهـم الباحثـة جـوان أوتـس (Oates 1986) أن هـذا النمـط الفخـاري يمثـل تقليـداً حضاريـاً منبعثـاً مـن منطقـة مركزيـة»Corearea« (بـلاد الرافديـن). والباحـث الحـالى عـلى رأي مفـاده أن هـذا الفخـار يمثـل نمـط «طـراز أفقـي-Horizon style « لسـمات حضاريـة ذات إنتشـار واسـع مكانيـاً ولفـترة زمنيـة محـدودة في شـبه الجزيـرة العربيـة ومـا جاورهـا .وتخلـص هـذه الدراسـة الى أن السـمات المتشـابهة في تقنيـات زخـاف فخـار حضـارة العُبيـد في مناطـق متباعـدة جغرافيـاً تقـوي المحاجـة القائلـة بـأن الجزيـرة العربية إسـتطاعت أن تطـور علاقـات حضارية قوية مـع بـلاد الرافديـن ومـا يليهـا مـن أمصـار (إيـران، الشـام، الأناضـول ، أفغانسـتان والقوقـاز) خـلال الحقبـة المتأخـرة لعـصر مـا قبـل التاريـخ .

**Abstract:**

The present paper attempts to decipher the nature of the cultural uniformity of the 'Ubaidpottery'which was considered as an evidence for the wide spread of cultural connections between numerous archaeological sites in Arabian Peninsula (53003500- B.C.).It was thought

by some workers (e.g. Oates 1986) to represent a 'cultural tradition'radiating from a 'Core area' (Mesopotamia). This phenomenon was viewed by the present researcher as a 'Horizon style' of widely spaced cultural traits across Arabia and its peripheries.The study concluded that the spatial distribution of the similar 'Ubaid pottery' decorations over far-flung regions reinforces the notion that Arabia did develop close contacts with Mesopotamia and further afield (Iran , Syria , Anatolia, Afghanistan and Caucasus) during the later part of the prehistoric era.

**مقدمة:**

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على طبيعة العلاقات التي تربط بين المراكز الحضارية للأقوام التي قطنت شبه الجزيرة العربية في الفترة المتأخرة لعصر ما قبل التاريخ من خلال دراسة للمجموعات الفخارية التي تعرف بـ»فخار العُبيد» والتي ترجع أقدم أدوارها للألف السادس قبل الميلاد. سُمي الفخار المطلي لهذه الحضارة بـ» فخار العُبيد» نظراً للموقع الأنموذجي لها المسمى «العُبيد» الذي أكتشف بمدينة أريدو بجنوب بلاد الرافدين(العراق القديم). ويتميز بفخاريات متفردة تنقسم إلى أربعة أدوار رئيسية استناداً إلى التسلسل الزمني للمعابد في «أريدو» وهي فترة العُبيد الأولى (أريدو: 5300-5080 ق م)، فترة العُبيد الثانية (حاجي محمد: 5080-4300 ق م)، فترة العُبيد الثالثة (4300- 3900 ق م) والرابعة (3900- 3500 ق م). ففي المرحلة الباكرة يتميز باللون الأسود الأرجواني الغامق ويطلى بخطوط منحنية ومتقطعة. ويزخرف الطور الثاني بدوائر مثلثات صغيرة، ويزين الطور الثالث برسم أشكال شفاه لمنحنى الأضلاع وأخرى على هيئة سلحفاة. أما الطور الرابع والمتأخر فيظهر فيه الطلاء غير متقن ويتسم بالزخارف المنحنية (البدر1974، Oates 1974:40,1986:8).

## إشكالية الدراسة:

إنتشرت الطرز الفخارية لحضارة العُبيد مكانياً وزمنياً على إمتداد أقطار الجزيرة العربية (السعودية، الكويت، الإمارات العربية المتحدة، قطر، البحرين وسلطنة عمان). ولا ريب أن هذه الظاهرة تطرح عدة أسئلة: كيف ولماذا إنتشرت هذه الطرز في هذه المساحات الشاسعة؟. وهل أنتجت هذه الطرز الفخارية بواسطة صانعي فخار محليين متأثرين بالأنساق الحضارية لبلاد الرافدين، أم أنها صنعت بواسطة فخاريين من بلاد الرافدين (Core Area) أثناء تجوالهم على إمتداد ساحل الخليج العربي؟. وثمة احتمال آخر بالإمكان تفسيره من خلال فرضية « الطراز الأفقي - Horizon Style». وهو النموذج الذي طرحه الباحثان ويلي وفيلبس (Willey and Philips 1958؛ Gifford 1976) لفخاريات من حضارة المايا بوادي بليزي بهندوراس (أمريكا الجنوبية) ومفاده أن السمات الحضارية قد تنتشر بشكل واسع حاملة معها خواص مشتركة لفترة زمنية محددة.

ومما تم إيراده آنفاً، فإن إعادة القراءة لكافة الأدلة الأثرية ونتائج الدراسات السابقة لفخار حضارة العُبيد في السجل التاريخي وبمنهج علمي سليم تصبح أكثر إلحاحاً لإعطاء إجابة شافية لظاهرة الإنتشار البعيد المدى لهذه الطرز الفخارية التي وسمت العلاقات الثقافية والإجتماعية والإقتصادية للعديد من المراكز الحضارية في شبه الجزيرة العربية خلال حقبة مفصلية من عصر ما قبل التاريخ المتأخر.

## المراكز الحضارية المنتمية لحضارة العُبيد:

### 1. العراق: (أنظر الخرائط:1-2) (الأشكال:1-3).

تشمل المواقع الحضارية المنتمية لحضارة العُبيد في بلاد الرافدين: أريدو، أور، الوركاء، ريدو شرقي، حاجي محمد، طبش والعقير، وكشفت فخاريات هذه الحضارة عن نوعين من الفخار: الناعم والمحروق بشكل جيد ومصنوع بالعجلة. وهناك الفخار الخشن والمحروق بصورة جيدة ومصنوع باليد أو العجلة البطيئة(البدر1974:57).

وأبرزت حضارة العُبيد أربعة أدوار حضارية ببلاد الرافدين والتي شكلت المرحلة الإنتقالية نحو الزراعة. ففخار المرحلة الأولى من حضارة العُبيد بموقع أريدو يتميز بوحدة اللون (Monochrome). وعادة يكون بنياً وغامقاً تزينه خطوط صغيرة تشبه الأسلاك والمثلثات أو الخطوط المتعرجة بين خطوط مستقيمة. ويتميز الدور الثاني من فخار العُبيد باللون الأسود الأرجواني الغامق. ويطلي من الداخل بخطوط منحنية تاركة مثلثات ومربعات متقاطعة. وتظهر على الجدار الخارجي دوائر بمثلثات صغيرة. أما العُبيد الثالث فيتميز فخاره برسم أشكال بسيطة لمنحنى الأضلاع كما وأن هناك أواني ذات شكل سلحفائي. ويعتقد بعض الدارسين أن هذا النوع من الفخار هو الأكثر إحتمالاً لانتشاره خارج المنطقة. وفي الدور الرابع لحضارة العُبيد أصبح الطلاء غير مرغوب فيه بشكل كبير نسبة لشغف الناس باستعمال المعادن وربما أيضاً لظهور دولاب (عجلة) الفخار. وتتباين الأشكال ما بين طاسات وقوارير ذات قواعد حلقية وأباريق بشكل انبعاجي مزودة بصنبور طويل ومسكه في أعلاه (المرجع نفسه: 49-57، أشكال: 3-1).وبإمكاننا القول إن المواقع العُبيدية ببلاد الرافدين تظهر أنماطاً متنوعة من الفخاريات. ونجد أن التحديد الطبقي لموقع لجش يحيط به غموض كما وأن موقع حاجي محمد الذي يمثل الفترة المبكرة من حضارة العُبيد يتسم بالزخرفة ذات الطابع الواحد (المرجع نفسه:59).

## 2. المملكة العربية السعودية: (أنظر الخرائط:1-3) (اللوحات: 1-5، الأشكال: 4-5).

تشير الدراسات الآثارية إلى أن أقدم الفخاريات بالمملكة العربية السعودية تعود لحقبة حضارة العُبيد وتتركز بصورة رئيسية في المنطقة الشرقية في المنطقة الممتدة من أبو خميس في الشمال وإلى عين قناص في الجنوب. وتم التعرف لأول مرة على فخاريات حضارة العُبيد بالمملكة العربية السعودية عندما تمكن البريطاني جفري بيبي (G-Bibby) من فحص هذا النوع من الفخار كان بحوزة كل من السيدتين جريس بيركهولدر (G-Burkholder) وميري قولدنج (M- Golding) بمدينة الظهران حيث كانتا تعملان بشركة أرامكو للبترول (الغزي 2006: 27).

وتعتبر حفريات عبد الله حسن مصري هي الرئيسة في معرفتنا بحضارة العُبيد في شرقي المملكة العربية السعودية فقد أجري حفريات في ثلاثة مواقع هي عين قناص والدوسرية وأبو خميس في رسالته للدكتوراه المنشورة عام 1974م (Masry 1974). وأعقب ذلك المسوحات الآثارية ضمن المسح الشامل لآثار المملكة العربية السعودية في الأجزاء الجنوبية للمنطقة الشرقية، فضلاً عن العمل الميداني لعبد الله الدوسري في رسالته للدكتوراه حيث جمع بعض كسر لفخاريات العُبيد من موقع الدوسرية (أنظر الغزي2006: 28).

ولعل أهم مواقع حضارة العُبيد بالمملكة العربية السعودية تشمل:

## الظهران: الجبيل:

وعثر بشمال الظهران على كسر فخارية تؤرخ إلى 5057 ± 288 ق. م (Burkholder 1972: 264-269) وتمثل الفترة المبكرة لحضارة العُبيد. وهناك بعض الكسر الفخارية التي تنتمي لذات الفترة تم التعرف عليها بأحد المواقع جنوب الجبيل (عبد النعيم 1995: 313).

## الدوسرية:

ويقع على ساحل الخليج العربي على تلة رملية ترتفع 4 أمتار ويبعد 12 كم من مدينة الجبيل. ويعتبر من أكبر المواقع العُبيدية المكتشفة. وتؤرخ الطرز الفخارية المطلية لهذا الموقع لفترة العُبيد الثانية (دور حاجي محمد) (عبدالنعيم 1995: 322 والدويش 2014: 36).

## عين قناص:

يعتبر من أقدم الموافع العُبيدية في شرق الجزيرة العربية. والكسر الفخارية لهذا الموقع تشابه بوجه عام الفخار المطلي لبلاد الرافدين (دور حاجي محمد) فهي ذات عجائن غير نقية ومستوى تقني ردئ. وربما كانت الطبقة الرابعة لهذا الموقع- كما يرى عبدالله مصري- ذات تاريخ سابق لفخاريات دور حاجي محمد (قبل 5080 ق م) (عبدالنعيم 1995: 316؛ Masry 1974: 114-116).

## أبو خميس:

يقع شمال الدوسرية بنحو 85 كم، يبلغ إرتفاعه 10 أمتار. أظهر الموقع كسراً من الفخار تظهر تشابهاً مع فخار العُبيد النموذجي والمتأخر منه مختلطة بأدوات حجرية (شظايا ورؤوس سهام وأدوات قزمية) وعظام لأسماك وأصداف بحرية. وأرخت طبقات الموقع إلى أواخر الألف الرابع قبل الميلاد (الدويش 2014: 39، Masry 1974 :132-141).

## عين السيح:

ويقع جنوب الظهران بالمنطقة الشرقية. وتم التعرف فيه على فخار أخضر عليه أشكال هندسية بخطوط سوداء تؤرخ للدور الثاني من حضارة العُبيد (الدويش 2014: 39).

**3. الكويت: (أنظر الخرائط:1-3) (اللوحة: 6، الأشكال: 6-7)**

تم العثور على ثمانية مواقع أثرية في مناطق متفرقة تحتوي على فخاريات تشابه نظائرها بحضارة العُبيد وهي:

**3-1 أمغيرة (SMQ24)**

وهو موقع ساحلي أسفل جبل الزور. عثر فيه على مجموعة من الفخار الملون وبأشكال هندسية وأخرى ذات لون أخضر وسط ركام من الأصداف البحرية وتؤرخ لفترة مبكرة من حضارة العُبيد تعود إلى الألف الخامس قبل الميلاد (المرجع نفسه 2014: 28).

**3-2 بحرة (SBH 29)**

عبارة عن تل يقع على الجانب الأيمن لطريق الصبية- الجهراء السريع. تم التنقيب فيه بواسطة البعثة الخليجية (الموسم الأول للبعثة). وعثر على منشآت معمارية أشبه بنظائرها الدائرية ببلاد الرافدين وعلى كسر فخارية مطلية باللون الأسود تعود إلى حضارة العُبيد (المرجع والصفحة نفسها).

**3-3 موقع بحرة (SBH 35)**

كشفت فيه البعثة الخليجية عن فخار عُبيدي ملون وأدوات حجرية صوانية تشابه ما عثر عليه بمواقع جنوب بلاد الرافدين (المرجع نفسه: 29).

**3-4 موقع (SBH 38)**

وهو موقع عُبيدي كبير يقع إلى الشمال الغربي من الموقع السابق. وجدت به معثورات حجرية وأصداف وفخاريات تشابه نظائرها بحضارة العُبيد وتؤرخ للألف الخامس قبل الميلاد (المرجع نفسه: 30- 29).

**3-5 موقع بحرة (SBH 36)**

وهي مستوطنة صغيرة تقع غرب التل SBH 29 تأخذ مساحة طولية 200 X 15 م عبارة عن غرف بيضاوية الشكل متجاورة وجد بها كسر فخارية ملونة وغير ملونة وحجر صوان ومحار (المرجع نفسه: 32).

**3-6 موقع مغطى SM 10**

مستوطنة صغيرة موسمية تقع بمنطقة مغطى- الصبية وترتفع عن سطح الأرض بحوالي المتر. ويغطي سطحها أدوات حجرية من الصوان ومحار وفخاريات ملونة (المرجع نفسه: 31).

**3-7 شبه جزيرة طبيج H3**

تقع إلى الجنوب من آبار أمصرة وتمتد على شكل لسان تحيط به منطقة ملحية (سبخة) مساحتها 750 X 300م. عثر في سطحها على فخارية ملونة من حضارية العُبيد مخلوطة بأدوات صوانية (المرجع والصفحة نفسها).

**3-8 موقع H3**

يقع في الطرف الشمالي لجزيرة طبيج على منخفض من الأرض المالحة (سبخة). عثر فيه على أدوات حجرية صوانية وفخاريات تعود إلى المراحل الثانية وحتى الرابعة لحضارة العُبيد (المرجع نفسه: 33).

**4. الإمارات العربية المتحدة: (أنظر الخرائط:1-3) (اللوحات: 8-10)**

أبانت الأعمال الآثارية في دولة الإمارات العربية المتحدة عن إستيطان موسمي لحضارات العُبيد. وتشير نتائج المسوحات عن وجود فخار لهذه الحضارة في العديد من المواقع أبرزها:

## جزيرة دلما:

وتقع على بعد 45 كم من ساحل إمارة أبو ظبي وأرخت فخاريات العُبيد في هذه الجزيرة إلى الأدوار المبكرة (1,2) (الدويش2014:43؛ Beech et al 2016 :9-22).

## المدر:

عثرت البعثة الفرنسية التي عملت في المنطقة الواقعة بين الشارقة وأم القوين (1991) على تل أثري لمستوطنة ساحلية أرخت لنهاية الألف الخامس ومطلع الألف الرابع قبل الميلاد. وعثر فيها على أدوات حرية (سكاكين وسهام) وفخار ملون يرجع إلى فترة العُبيد الثالثة والرابعة (الدويش2014: 45).

## الجمرية:

كشفت البعثة الخليجية (1991م) عن مستوطنة ساحلية (إمارة عجمان) تؤرخ للألف الخامس قبل الميلاد. اعتمد سكانها بشكل كلي على موارد البحر وثرواته. واستخدمت أدوات حجرية وشظايا مسننة وأواني فخارية تشابه فخار العُبيد ترجع للدورين الثالث والرابع من هذه الحضارة (المرجع والصفحة نفسها).

قطر: (أنظر الخرائط:1-3) ( اللوحات: 11-13)

أبانت المسوحات والحفريات الآثارية عن العديد من المستوطنات التي تعود لحضارة العُبيد تشمل الدعسة، الخور، رأس أبروق، بيرزكريت والجيبجب. وتعتبر المواقع الثلاثة الأولى هي الرئيسية المنتمية لهذه الحضارة وهي كما يلي:-

## الدعسة:

وهي عبارة عن معسكر تخييم موسمي لمجموعة من الأقوام بقصد صيد الأسماك وقنص الطرائد. ويؤرخ هذا الموقع إلى الفترة ما بين أواخر الألف الخامس وأوائل الألف الرابع قبل الميلاد استناداً إلى الأدوات الحجرية وفخاريات حضارة العُبيد ذات الطلاء التي وجدت في هذا المكان (عبدالنعيم 1995: 31).

## رأس أبروق:

عثر في هذا الموقع على كوم من الرماد وبناء مستدير الشكل، مواقد للنار وأحجار محروقة، نصب ركامية، أدوات حجرية وفخار من طراز العُبيد، فضلاً عن عظام حيوانات وأسماك وأصداف (المرجع نفسه: 32).

## الخور:

تم التعرف على بقايا العديد من المنشآت الحجرية في عدد من المستوطنات بمنطقة الخور وعلى مواقد للنار ارتبطت برقائق صوانية في معظمها عليه آثار حريق وكسر فخارية ملونة تعود لفترة العُبيد المبكرة (212- 57: Inizan 1988).

بيرزكريت:

يقع على الساحل الغربي لشبه جزيرة قطر. وتم العثور فيه على معثورات شبيهة بمعثورات الدعسة وفخار يرجع لفترة العُبيد المتأخرة (الدويش 2014: 42).

البحرين: (أنظر الخرائط:1-3) (اللوحات: 14-15)

أماطت المسوحات والحفريات الآثارية عن العديد من أنماط فخار حضارة العُبيد بموقعي المرخ الذي يوجد على الساحل الغربي للبحرين ودراز ويقع على أقصى الركن الشمالي الغربي للبلاد. ويتميز فخار العُبيد في البحرين بأنه مصنوع باليد ومزين من الداخل بزخارف مطلية بألوان سوداء أو بنية داكنة. ويمثل هذا النمط الدور الثاني من حقبة العُبيد (4300- 3500 ق. م) التي عرفت ببلاد الرافدين (نمط حاجي محمد) (302: Nayeem 1992).

وأظهرت الحفريات اللاحقة بموقع المرخ عن فخار عُبيدي متأخر يؤرخ للألف الرابع قبل الميلاد. وإرتبط هذا النمط الفخاري بمجموعات من السكان واعتمدت على الصيد البحري والمحار والقواقع بالإضافة إلى اقتصاديات الصيد البري (الدويش 2014: 40- 39).

**7. سلطنة عُمان: (أنظر الخرائط:1-3)**

تم التعرف على عدة مواقع ترجع لحقبة العُبيد أبرزها.

## رأس الحمراء:

يقع شمال غرب مسقط وهو عبارة عن رابية صدفية جيرية. وتعود هذه المستوطنة لفترة العُبيد المبكرة وتؤرخ للألف الخامس قبل الميلاد. وتتألف من طبقات من الرمل والأصداف وعظام السمك والرماد والفحم ومواقد النار. وشيدت المساكن من الخشب وأغصان النباتات. (المرجع السابق: 49).

**بات:**

تقع هذه المستوطنة بولاية عبري. وتم اكتشافها من قبل البعثة الدنماركية. وعثر بها على مباني مستديرة الشكل كما يوجد بالمستوطنة سد لحجز مياه الأمطار للزراعة (المرجع والصفحة نفسها).

**طوي سليم:**

يقع في المنطقة الشرقية لسلطنة عمان. وكشفت التنقيبات عن هذه المدافن تعود لأواخر الألف الرابع قبل الميلاد تشابه مدافن حفيت في الامارات (المرجع نفسه: 50).

**القاسمية:**

يقع شمال عمان. وتم الكشف عنه بواسطة فريق علمي فرنسي عام 1986م. وهو عبارة عن تل ضم الكثير من القواقع والأصداف وعظام الأسماك. استخدم خلال فترة الألف الرابع قبل الميلاد (المرجع نفسه: 93).

ويلحظ أن المواقع التي تم العثور عليها بساحل سلطنة عمان عبارة عن أكوام من الأصداف والقواقع البحرية والكثير من عظام الرخويات. وشغلها مجموعة من الصيادين ذوي إرتباط بحضارة العُبيد والمدن السومرية القديمة (أور وأريدو) التي تبعد بعشرات الكيلومترات عن الساحل الشمالي للخليج (المديلوي 2007: 117- 116).

**الدراسة المقارنة:**

## 1. طبيعة التواصل الحضاري بين مراكز حضارة العُبيد:

أثار منشأ فخار حضارة العُبيد جدلاً واسعاً بين الباحثين سيما وأنه قد إنتشر في مساحات شاسعة وفي أقاليم متعددة من شبه الجزيرة العربية وفي فترة زمنية محددة تتراوح بين الألفين السادس والرابع قبل الميلاد.

تشير الأدلة الأثرية إلى أن أنماط فخاريات حضارة العُبيد قد انتشرت في أجزاء واسعة من الساحل الغربي للخليج العربي منذ بواكير ظهوره

ببلاد الرافدين. وتم الكشف عن فخاريات ترجع للأدوار المبكرة من حضارة العُبيد ببلاد الرافدين (5080- 4300 ق. م) بشرق المملكة العربية السعودية (عبدالنعيم 1995: 314- 321 والغزي 2006: 25- 46). وثمة أمثلة عديدة للفخاريات المبكرة من حضارة العُبيد تم التعرف عليها بمواقع أخرى بالجزيرة العربية بمستوطنات أمغيرة (الكويت)، دلما، المدر (دولة الامارات العربية المتحدة) والتي تتميز بوحدة اللون (Monochrome) وباللون البني الغامق وتزينه خطوط صغيرة على هيئة مثلثات أو خطوط متعرجة بين خطوط مستقيمة (أنظر أعلاه). والملاحظ أن الأدوار الأربعة لحضارة العُبيد (العُبيد الأولى: 3500- 5080 ق. م)، العُبيد الثانية: 5080- 4300 ق. م، العُبيد الثالثة: 4300- 3900 ق. م والعُبيد الرابعة: 3900- 3500 ق. م) توجد بنسب متفاوتة في العديد من المواقع على الساحل الغربي للخليج العربي (أنظر أعلاه). لذا فإن فرضية الباحثة جين أوتس (Oates 1986: 70-86) بأن هذا النوع من الفخار قد تم صنعه بواسطة فخاريين من بلاد الرافدين أثناء تجوالهم على إمتداد ساحل الخليج العربي تطرح سؤالاً مهماً مفاده: هل قام هؤلاء الفخاريون بإستخدام كل مكونات صناعة هذا الفخار (العجائن والشوائب المضافة وخامات الطلاء) من نفس المنطقة أم جلب بعضها من بلاد الرافدين؟. وإجابة عن السؤال بعاليه يستوجب دراسات للمنشأ الجيولوجي (الأصل) لفخار العُبيد بإستخدام تحاليل فيزيائية وكيميائية. غير أن هناك ندرة في مثل هذه الدراسات ولعل أبرز هذه الدراسات التي أجريت على هذا النمط الفخاري تلك التي أجرتها الباحثة جين أوتس (Oates 1978: 49-51) لفخاريات مطلية تنتمي لحضارة العُبيد من مواقع بدولة قطر (الدعسة ورأس أبروق) وتمت مقارنتها بنظائر لها من بلاد الرافدين (أور، أريدو وتل العُبيد) بإستخدام تحليل تفعيل النترون ( Neutron Activation Analysis) وتنبع أهمية هذه الوسيلة أنها تكشف كل العناصر الأثقل من الفلورين. ويمكن استخدامها لمعرفة المواد الملونة المستعملة في التزجيج والفخار المزخرف بالألوان (الحسن والعباس: 47- 48). وتشير نتائج تحليل تفعيل النترون التي أجريت بمعمل الأبحاث في المتحف الوطني باسكتلندا 1977م إلى أن ما يقارب 50% من العينات التي تمت دراستها

من المواقع القطرية (N=33) والعراقية (N=39) بالإضافة إلى نتائج التحاليل المجهرية (Petrographic and Microprobe Analyses) قد أكدت على تشابه المكونات المعدنيه للفخار من كلا القطرين (Oates 1978: 49- 51 and Nayeem 1998: 182 :197-).

## استنتاجات الدراسة:

استناداً إلى التحليلات العلمية السابقة، لا يمكننا الجزم بأن طرز فخاريات حضارة العُبيد المنتشرة في أقاليم متباعدة من الجزيرة العربية قد تم صنعها ببلاد الرافدين أو بواسطة فخاريين من تلك المنطقة سيما وأن ثمة أدلة متوفرة من بعض مواقع هذه الحضارة بالمملكة العربية السعودية تومئ إلى هناك فخاريات (الطبقة الرابعة لموقع عين قناص) تبين بالتسلسل الطبقاتي أنها سابقة لفترة العُبيد (الغزي 2006: 40؛ 116- 114: Masry 1974).

يلاحظ أن هناك ندرة في الدراسات التي توثق للتعاقب الطبقاتي لفخار العُبيد حيث أن أغلب الموجودات التي تمت دراستها عبارة عن لقى سطحية. ونجد أن مواقع العُبيد التي نقبت بالمملكة السعودية وبخاصة العمل الميداني لعبدالله حسن مصري (عين قناص والدوسرية وأو بوخميس) أماطت اللثام عن طبقات استيطانية متتابعة تشير فيها الطبقات الخالية من المعثورات وتحاليل الإرسابات الرملية (عين قناص) إلى فترات تبدل مناخي بين أحوال مطيرة وأخرى جافة (عبدالنعيم 1995: 32 26 -Oates 1974:25) وأن معثوراتها الحجرية تباين تلك التي عثر عليها في مواقع هذه الحضارة ببلاد الرافدين.

يتبين من الأعمال الآثارية التي أجريت بمواقع حضارة العُبيد- كما يرى الغزي- أنها لم تشتمل على دراسات متخصصة لفخار هذه الحضارة في أقطار الساحل الغربي للخليج العربي وإنما على تقارير مقتضبة تشكل جزءً من الدراسة العامة للمواقع الأثرية (أنظر الغزي 2006: 40).

## الخلاصة:

مـما سـلف إيـراده، فالـرأي عنـدي أن فرضيـة المنطقـة المركزيـة Core Area Hypothesis والقائلـة بـأن إنتشـار هـذه الطـرز الفخاريـة العُبيديـة بصـورة متواتـرة خـلال مـا يقـارب الألفـي عـام (الألـف السـادس وحتـى الألـف الخامـس قبـل الميـلاد) والتـي تمـت الإشـارة إليهـا في مفتتـح هـذه الدراسـة، لا تجـد مـا يدعمهـا سـواء مـن التوزيـع الإسـتراتيجرافي (الطبقـاتي) لهـذا الفخـار أو نتائـج التحاليـل العلميـة والفيزيائية التـي أجريـت عليـه حتـى الآن.

ويبـدو أن فرضيـة التوزيـع الأفقـي «Horizon Style» المذكـورة بعاليه والتـي مؤداهـا «أن الطـرز الفخاريـة قـد تنتـشر بشـكل واسـع في العديـد مـن الثقافـات حاملـة معهـا خـواص حضاريـة مشـتركة»لفترات زمنيـة محـددة قـد تفـسر بشـكل منطقـي التوزيـع المـكاني البعيـد المـدى لمسـتوطنات حضـارة العُبيـد في شـبه الجزيـرة العربيـة. ويميـل الباحـث إلى الـرأي القائـل بـأن التوسـع الـذي حققتـه حضـارة العُبيـد وتجاوزهـا حـدود بـلاد الرافديـن إلى الأقاليـم المجـاورة، نجـم عنـه تأسـيس مسـتوطنات مسـتقرة وشـبه مسـتقرة ربطـت العـراق القديـم بـشرق الجزيـرة العربيـة ومـا وراءهـا مـن أمصـار (إيـران، الشـام، الأناضـول وأفغانسـتان والقوقـاز) حيـث نشـأت العديـد مـن المراكـز والمسـتوطنات السـاحلية في هـذ البقـاع. ولا ريـب أنهـا لعبـت دوراً كبـيراً في إنبعـاث الإشـعاع الحضـاري الـذي عـم منطقـة الـشرق الأدنى القديـم في عـصر مـا قبـل التاريـخ المتأخـر.

## المصادر و المراجع:

### أولاً: المراجع العربية:


(1) البدر، سعدون 1974 **منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد. الكويت.**

(2) الدويش، سلطان مطلق 2014 **المواقع الحضارية على الساحل الغربي للخليج العربي حتى القرن الثالث قبل الميلاد «دراسة آثارية مقارنة».** مركزالبحوث والدراسات الكويتية،الكويت.

(3) الحسن، أحمد أبو القاسم وعباس سيد أحمد 2007 **الفخار الأثري: مناهج دراسته وتحليله.** جامعة السلطان قابوس، مجلس النشر العلمي، عمان.

(4) المديلوي، علي بن راشد 2007. **ثقافة جمدة نصر في إقليم عُمان -3200 2700 ق.م. وزارة** التراث والثقافة،سلطنة عمان.

**(5)** عبدالنعيم، محمد 1995 **عصور ما قبل التاريخ وفجره في المملكة العربية السعودية**، ترجمة عبدالرحيم محمد خبير) مؤسسة الجريسي للطباعة والنشر، الرياض

(6) الغزي، عبدالعزيز سعود 2006 «خصائص فخار العُبيد في شرقي المملكة العربية السعودية- دراسة وصفية». **أدوماتو**، العدد الثالث عشر 1426هـ/2006: -25 46.


### ثانياً: المراجع الأجنبية:


(1) Beech, J.B, Strutt,K,Blue,L, Khalfan,A,Omar, W, Haj al- Faki, A, Lingareddy, A and J. Martin 2016. "Ubaid- related Sites of the Southern Gulf revisited: the Abu Dhabi Coastal Heritage Initiative" **Proceeding of the Seminar for Arabian Gulf Studies 46: 924-.**

(2) Burkholder, G. 1972. Ubaid Sites and Pottery in: **Saudi Arabia Archaeology** 25: 264- 269.

(3) Gifford,J.C. 1976. **Prehistoric Pottery Analysis and the Ceramics of Barton Ramie in the Belize Valley**. Peabody Museum. Harvard University.

(4) Inizan, M 1988. **History of Gatar,** (Mission archaeological Francaise a Gatar, tome 2, Paris).

(5) Masry, A.H 1974 **Prehistory in North Eastern Arabia: The Problem of interregional Interaction**. Miami, Florida.

(6) 6. Nayeem, M.A 1990. **Prehistory and Protohistory of the Arabian Peninsula: Saudi Arabia**. Vol.1. Hyderabad, India

(7) 1992. **Prehistory and Protohistory of the Arabian Peninsula. Vol.2 Bahrain.** Hyderabad, India.

(8) 1994 **Prehistory and Protohistory of the Arabian Peninsula. Vol.3: The United Arab Emirates**. Hyderabad, India.

(9) 1998 **Prehistory and Protohistory of the Arabian Peninsula. Vol.5 Qatar.** Hyderabad, India.

(10) Oates, J. 1976. "Prehistory in North Eastern Arabia: **Antiquity 50**: 2526-.

(11) 1978 Ubaid Mesopotamia and its relation to the Gulf countries in: De Cardi(ed). **Qatar Archaeological Report Excavation 1973.** Oxford University Press.

(12) 1986 "The Gulf in Prehistory" **In: Bahrain through the Ages**. Sh. Haya and M. Rice

(13) Potts, D.T. 1986 "The chronology of the archaeological assemblages from the head of the Arabian Gulf to the Arabian sea. "In: **Chronologies in Old World Archaeology,** ed. R. W. Ehrich. Chicago University Press.

(14) Willey, G.R. and P.Philips 1958. **Methods and Theory in Archaeology.** Chicago.

ملحوظة: قرأت هذه الورقة العلمية في الملتقى السعودي الأول للآثار بمدينة الرياض،7 نوفمبر 2017م

الخارطة (1): مواقع منطقة الدراسة:

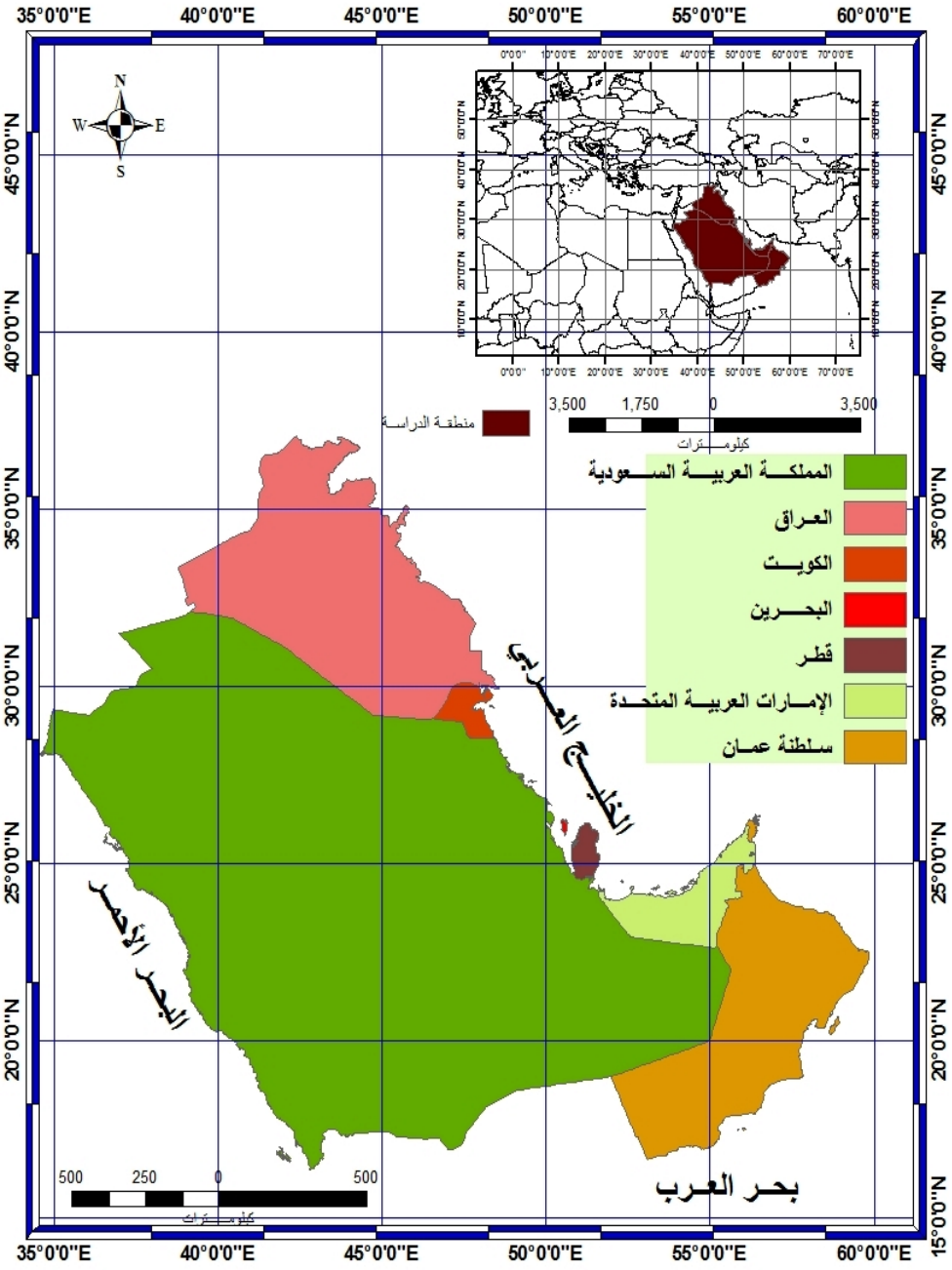

الخارطة (2): أبرز مواقع حضارة العُبيد في العراق:

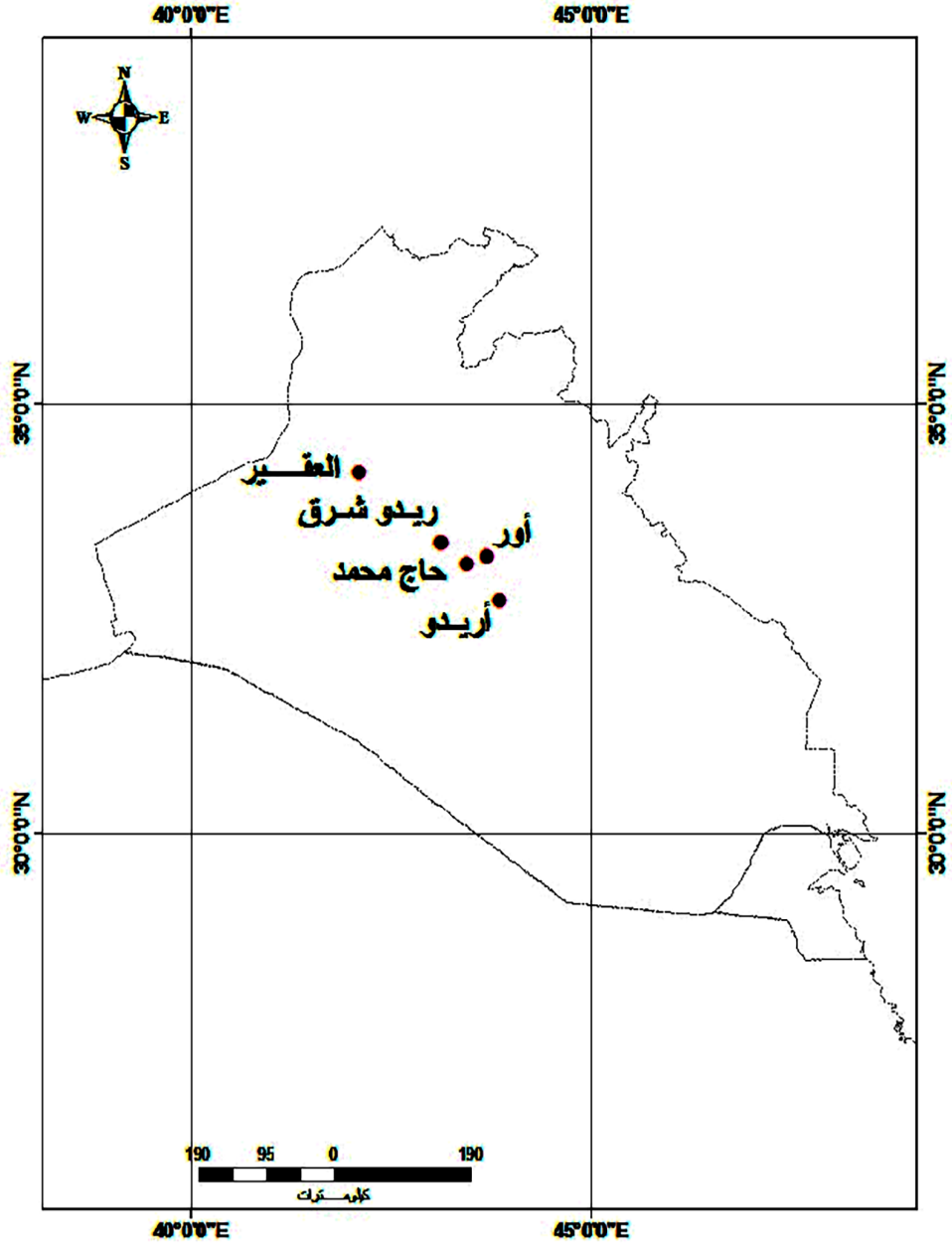

الخارطة (3): أبرز مواقع حضارة العُبيد بدول الخليج العربي:

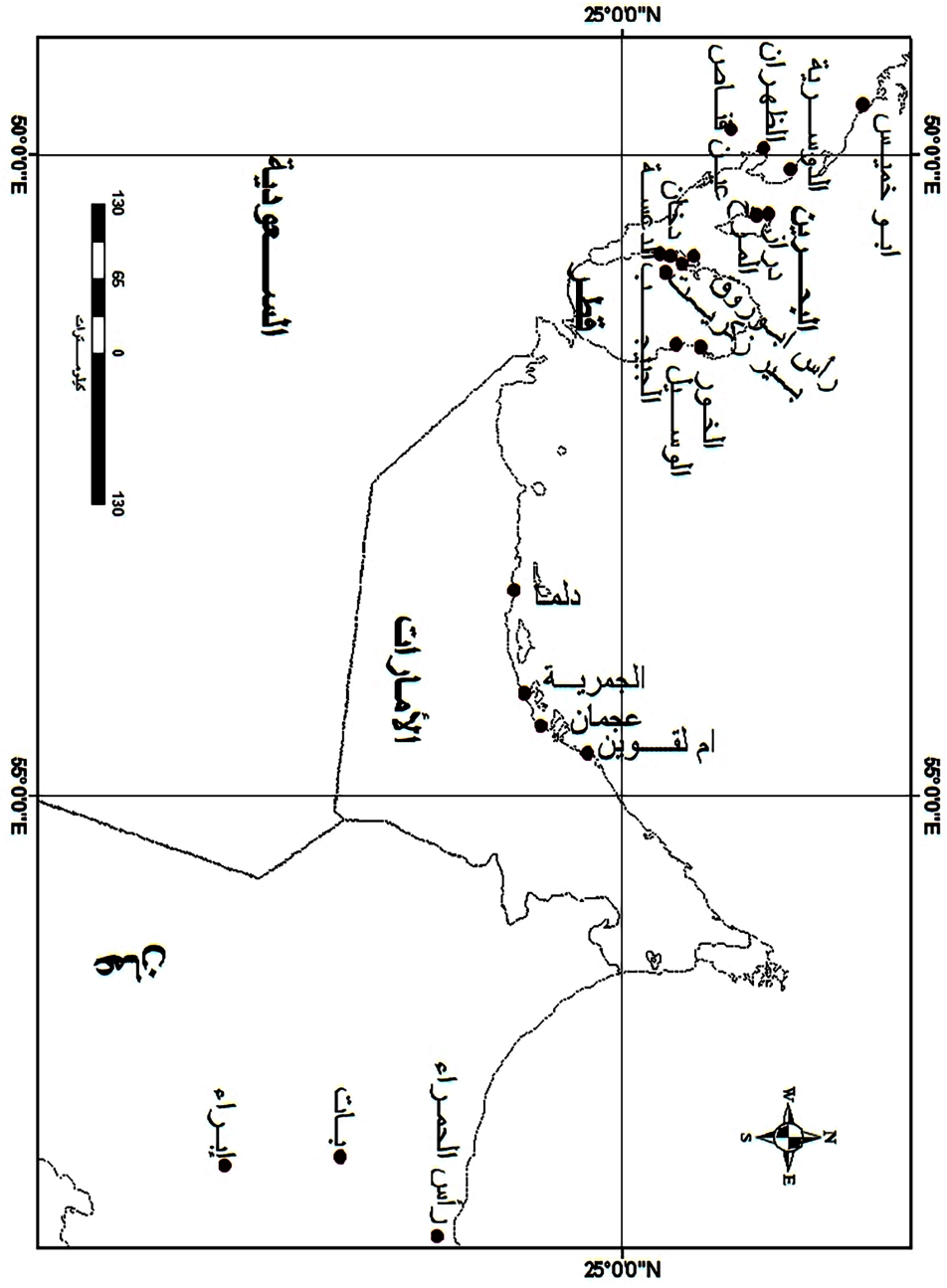

شكل ١.

نماذج من الفخار المنسوب الطور الرابع من حضارة العبد

(عن: البدر ١٩٧٤: ٥١)

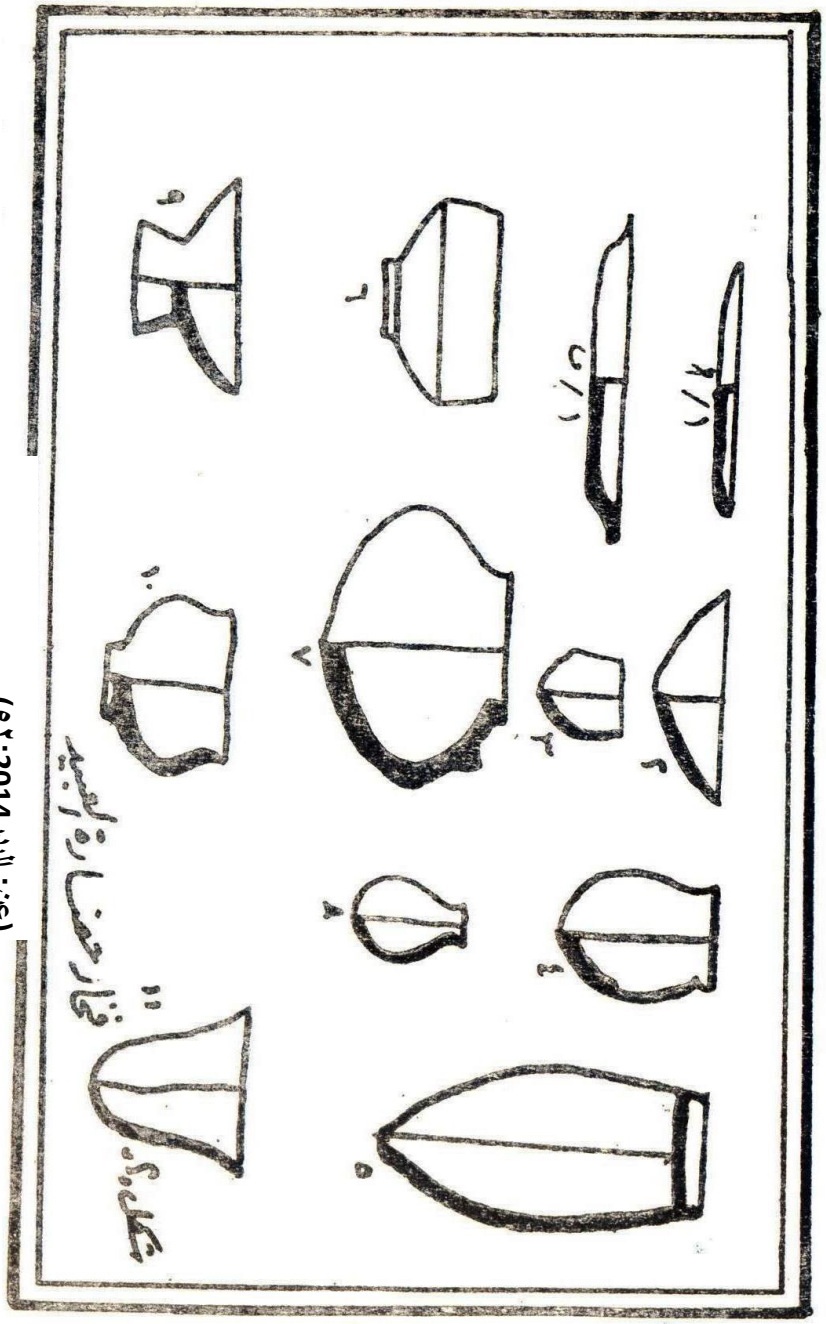

(عن: البدر2014: ٥٢)

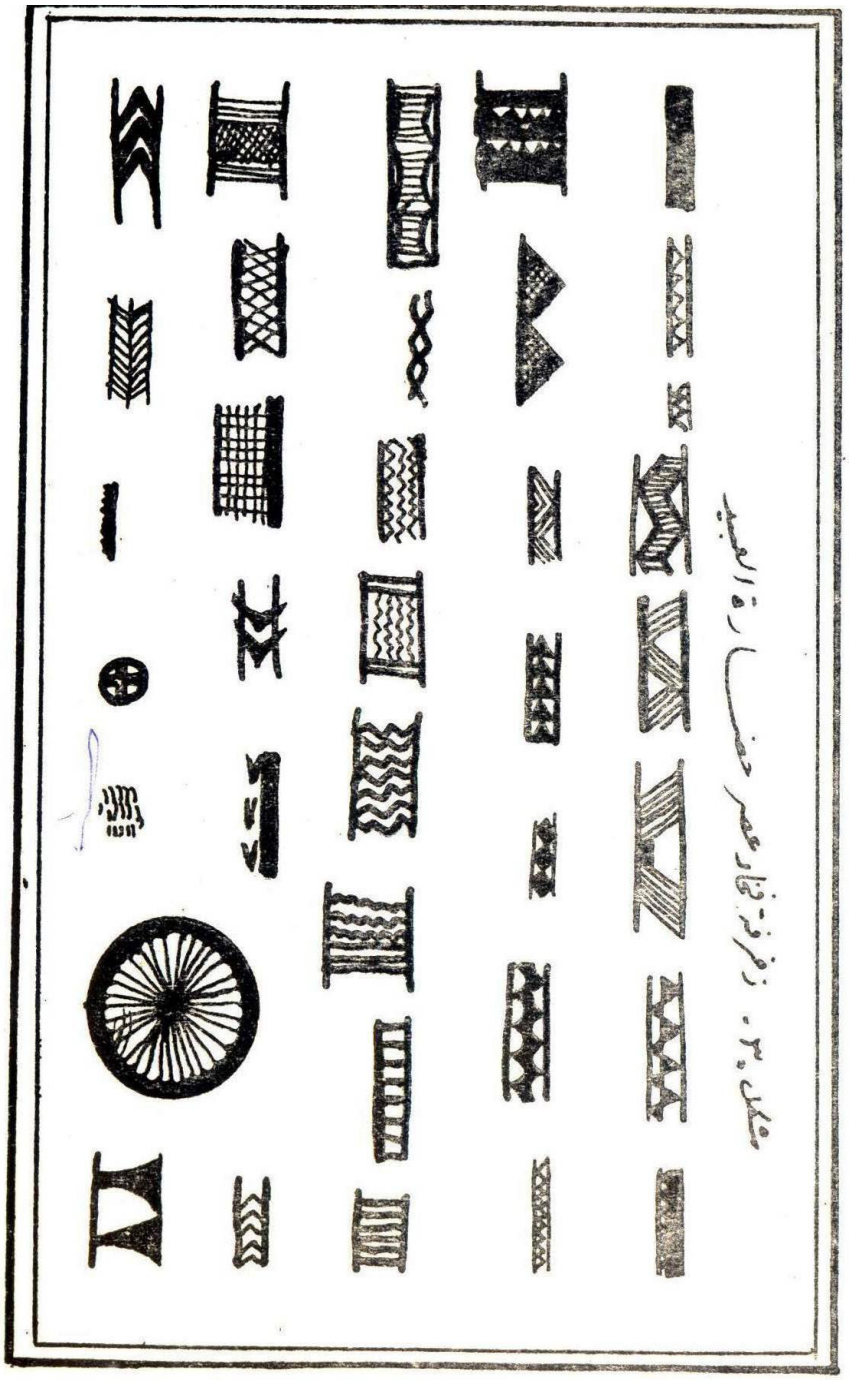

شكل ٣٠ . زخارف فخار عصر حضارة العبيد

(عن : البير ١٩٧٤ : ٥٢)

**المملكة العربية السعودية:**

شكل (4): فخار من موقع عين قناص يشابه فخار العُبيد

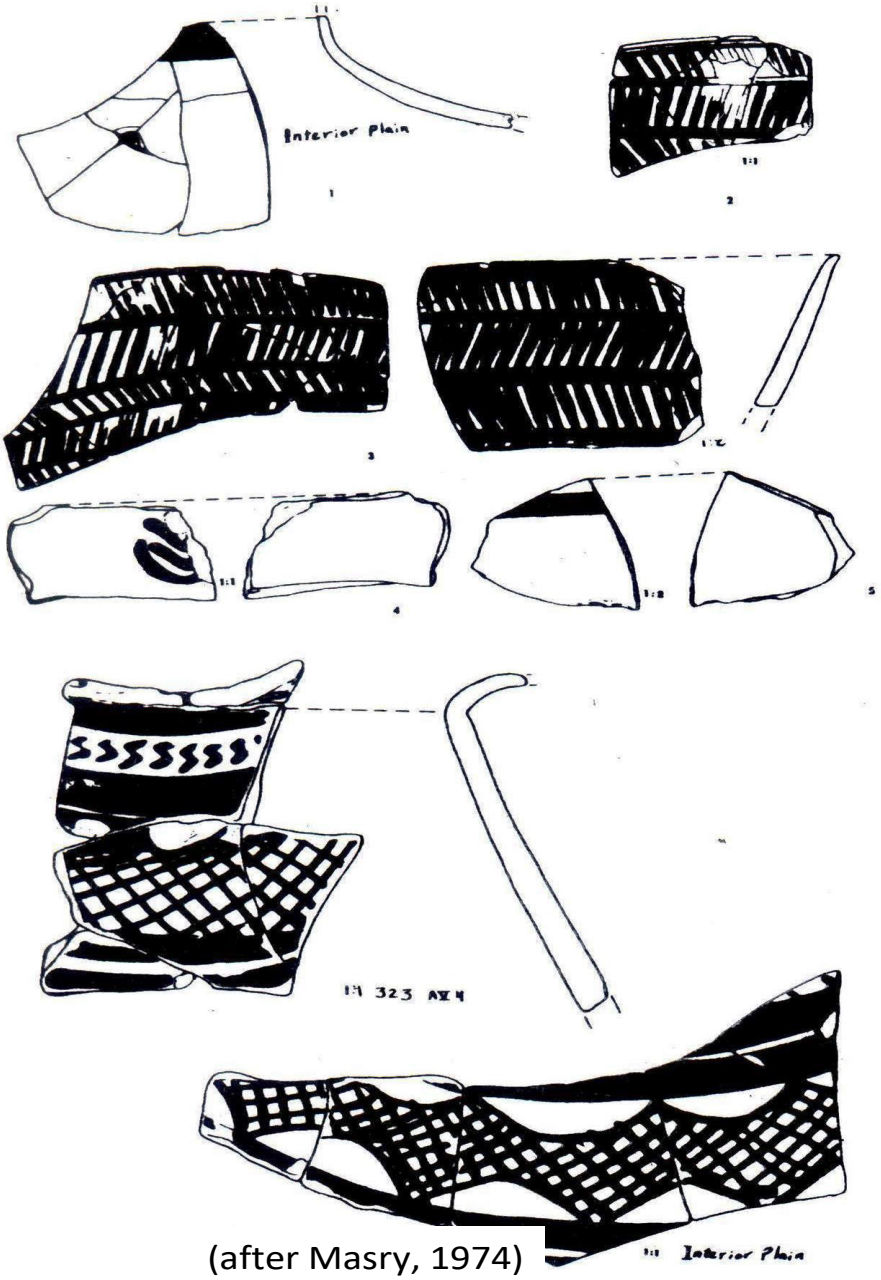


(after Masry, 1974)

شكل (5): فخار مطلي من موقع أبوخميس

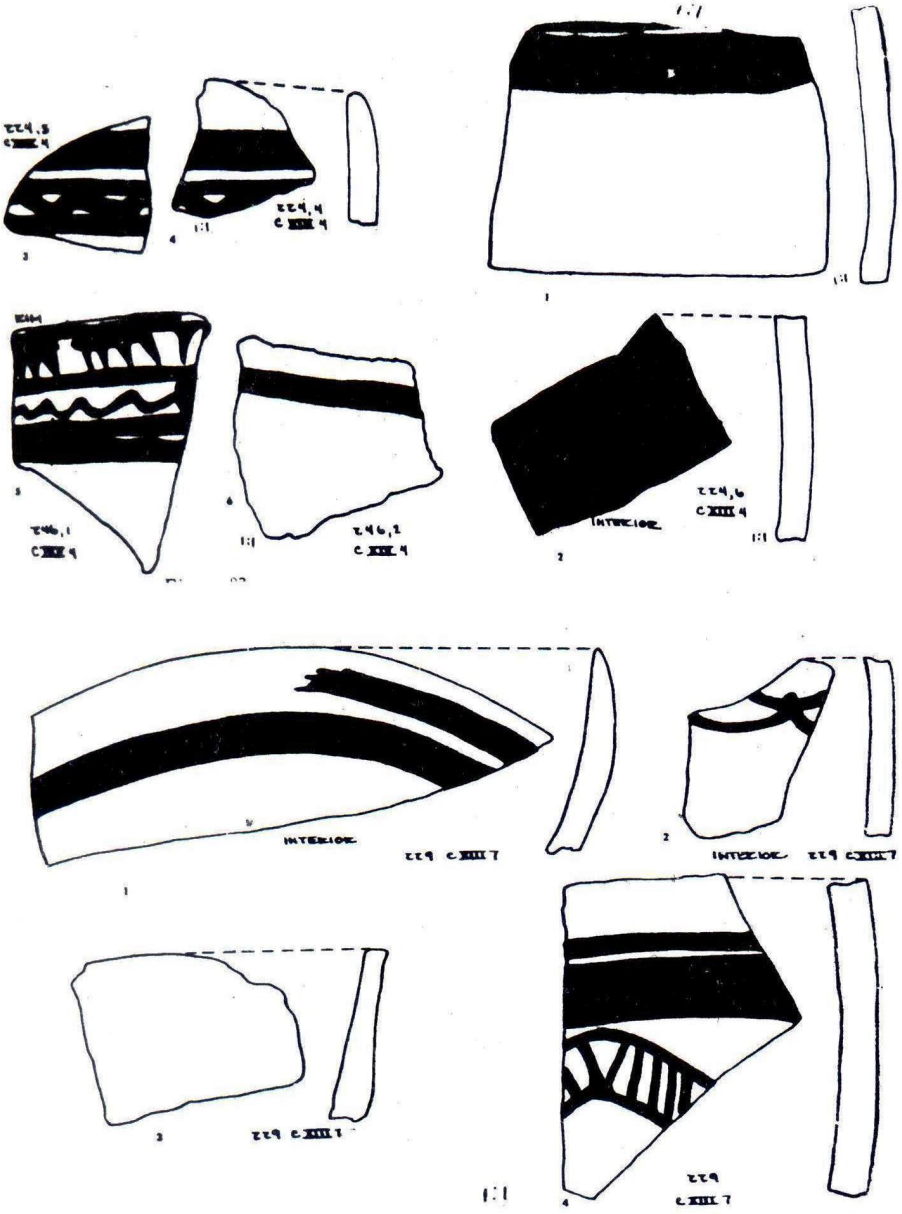

(after Masry, 1974)

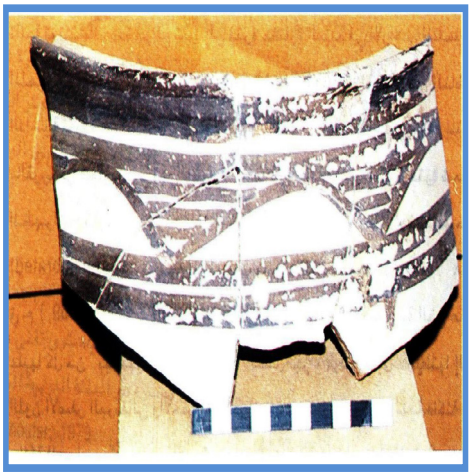

لوحات (1-4): كسر وآنية فخارية من طراز حضارة العُبيد من المنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية (عن: عبدالنعيم 1995: 213،319)

لوحة (6) فخار مطلي لحضارة العُبيد من موقع الدوسرية

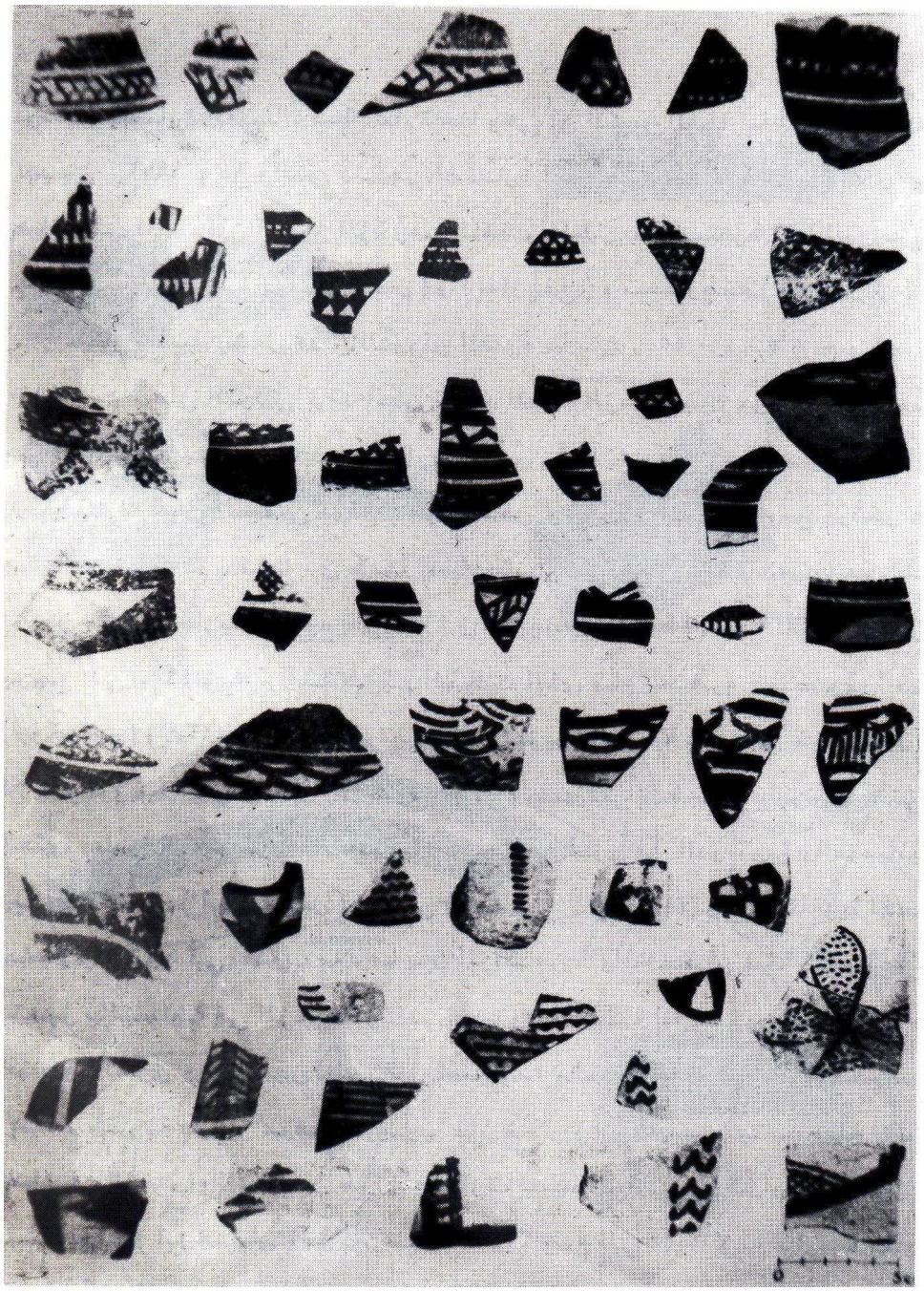

شكل (6): طاسات بأشكال متنوعة من موقع بحرة -1 (دولة الكويت)

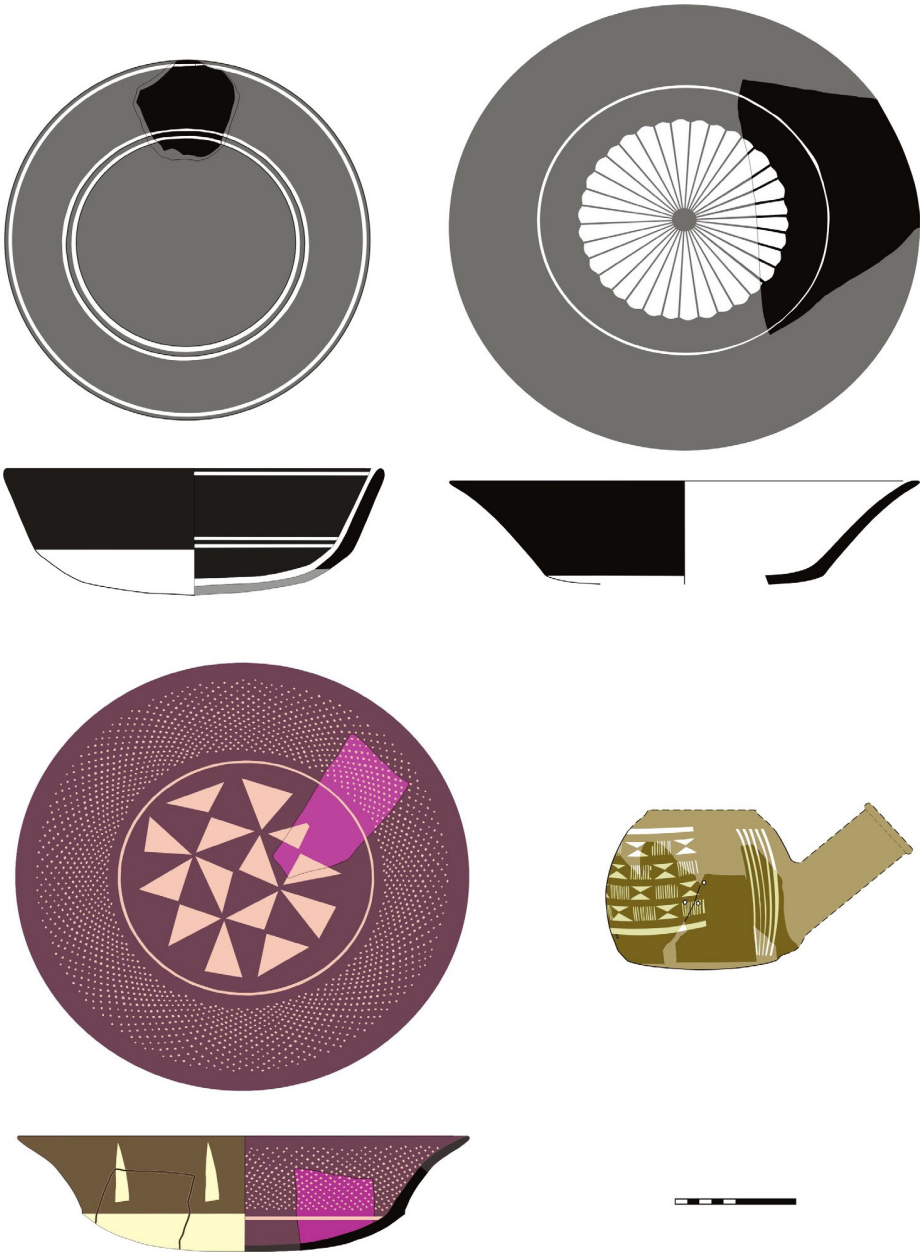

(Beech et al 2016: 146)

شكل (7): فخار العُبيد من موقع بحرة الصبية 2010 م (دولة الكويت)

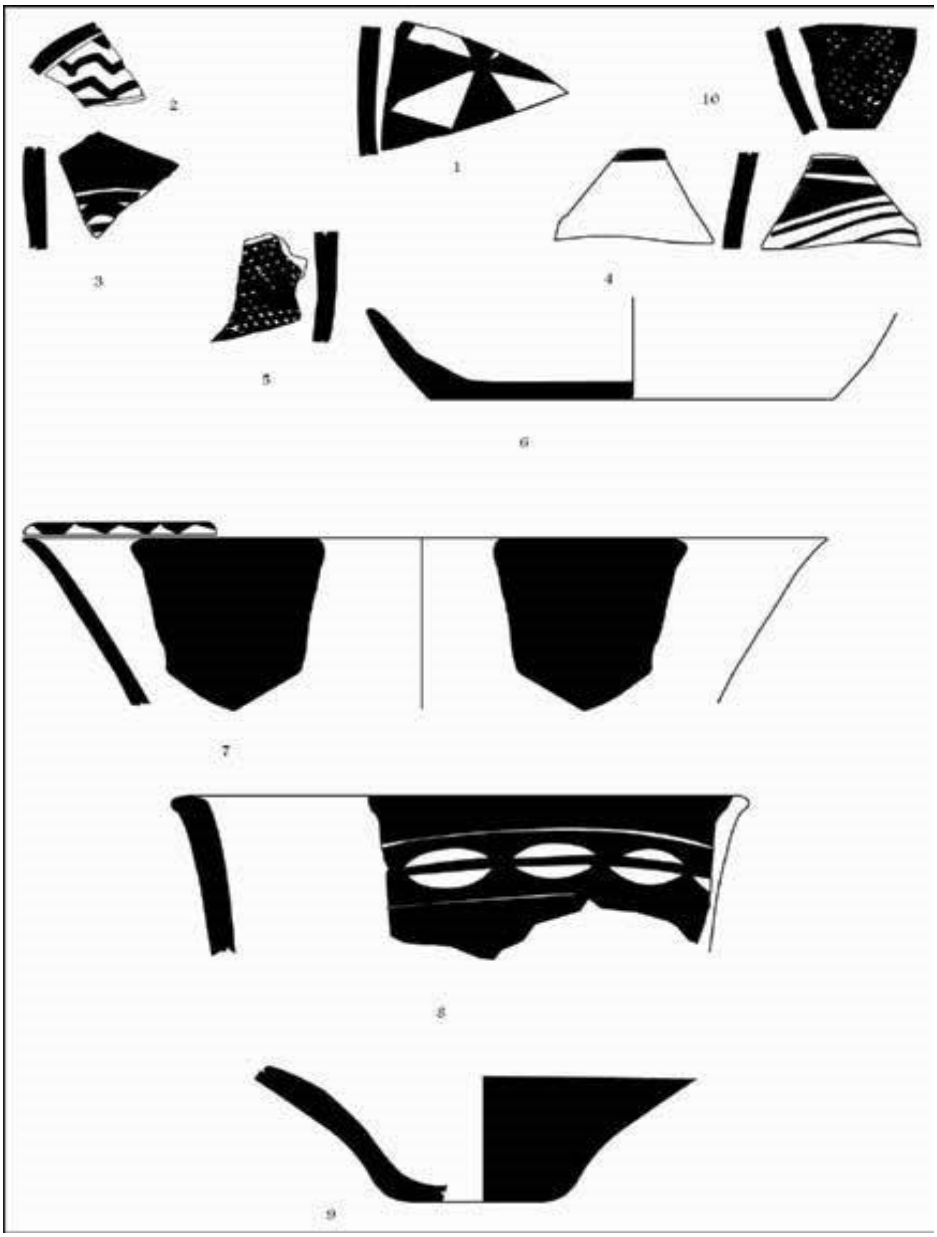

(عن: الدويش ، 2014: 403)

لوحة (7): كسر من اناء بيضاوي طراز حاجي محمد من موقع بحرة (دولة الكويت)

2016: 153) (after Beech et al

دولة الإمارات العربية المتحدة فخار مطلي من حضارة العُبيد.

لوحة (8) كسر من موقع جزيرة دلما

(after Nayeem 1994:165)

لوحة (٩) كسرة من فخار الشارقة

(after Nayeem 1994:165)

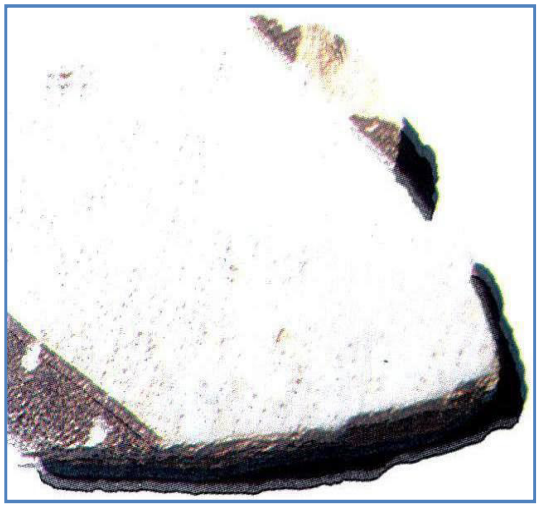

لوحة (١٠) كسرة من فخار العُبيد من جزيرة الحمراء

(after Nayeem 1994:165)

لوحة (11) : فخار العُبيد من موقع الدعسة : دولة قطر

لوحة (12) فخار العُبيد من موقع رأس أبروق

لوحة (13): كسر من فخار العُبيد : موقع الخور

(after Nayeem 1998:١٩٣)

**مملكة البحرين: فخار حضارة العُبيد**

لوحة (14) a,b,c,d  فخار العُبيد: موقع المرخ

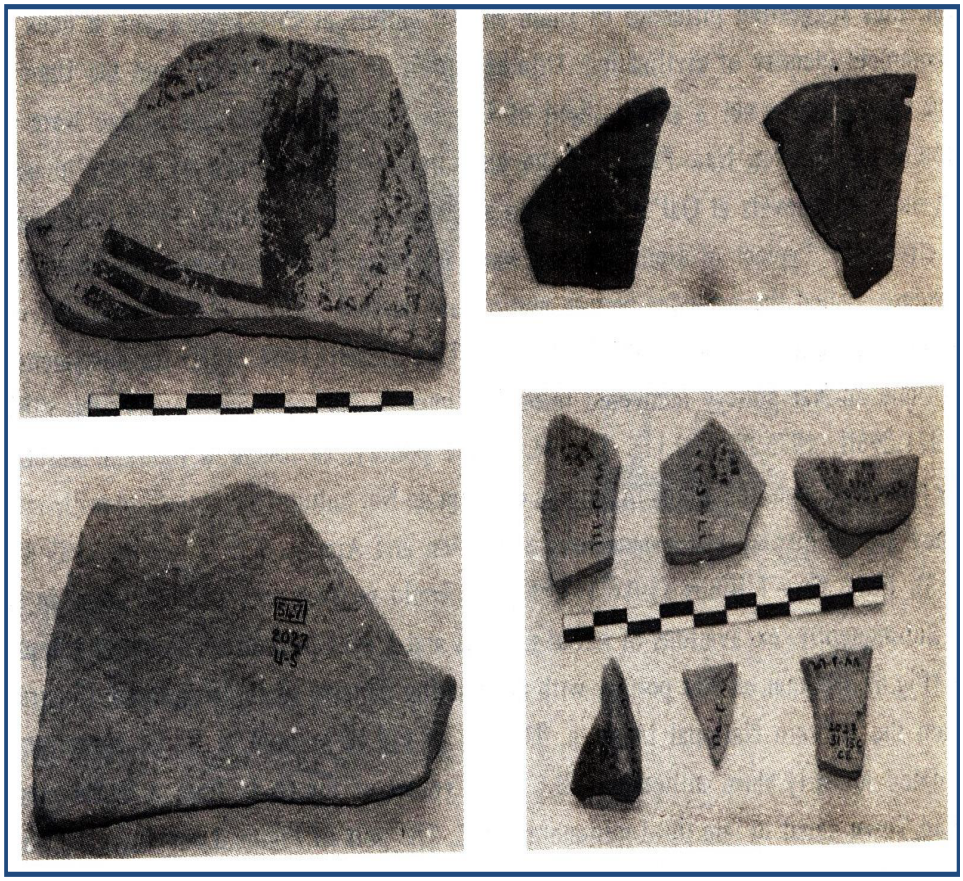

(after Nayeem 1992:306)

لوحة (15) فخار العُبيد: موقع دراز

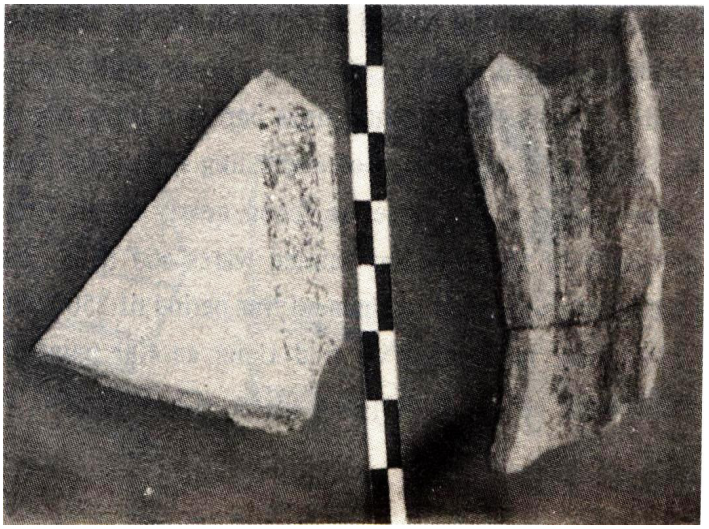

(after Nayeem 1992:306)

# النشاط المعماري الديني التعبدي للملك تهارقو في بلاد كوش

د. الأمين عثمان شعيب
كلية الآداب والدراسات الإنسانية - جامعة دنقلا

**مستخلص:**

تتناول هذه الورقة النشاط المعماري الديني للملك تهارقا في بلاد كوش-من تشييد وترميم لدور العبادة «المعابد»، وتنبعث أهمية هذه الورقة في أنَّها تعرضت لأنشطة المعابد التي كان لها شأواً عظيماً في نشر الفكر الديني المستمد من قوة الإله آمون الذي عُبِد في تلك الفترة في تلك الدُور. هدفت هذه الورقة إلى إبراز النشاط المعماري الديني للملك تهارقا وتسليط الضوء على المعبد وأهميته التاريخية ومكانته الحضارية. وتمثلت مشكلة البحث في أهمية المؤسسة الدينية التي لعبت دوراً مهماً في انتصارات الملوك الكوشيين الخارجية وبالإضافة إلى تتويجهم بها، حيث شملت مناطق مختلفة داخل مملكة كوش. اتبعت الورقة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي وخرجت الدراسة بعدد من النتائج أهمها: أن الملك تهارقا اهتم اهتمام بالغ بالمؤسسة الدينية إذ عمل على إنشاء معابد جديدة وترميم ما كان آيل للسقوط. كما عمل على جلب المهندسين المعماريين من ممفيس لتنفيذ بناء بعض المعابد وتزيينها وتلوينها ونقشها باللغة الهيروغليفية التي تدل على تدين الملك تهارقو نفسه واهتمامه بالمؤسسة الدينية التي أولاها اهتمامه قبل أن يتوج ملكاً. كما خرج البحث بعدد من التوصيات تتمثل في الاهتمام بترميم وصيانة العديد من المعابد التي شادها تهارقو في بلاد كوش والعمل على حمايتها لأنها تمثل الإرث الحضاري لهذا البلد المعطاء.

**Abstract:**

This paper deals with the religious architectural activity of King Taharqa in the country of Kush - from the construction and restoration of houses of worship "temples", and the importance of this paper stems from the fact that it was exposed to the activities of the temples, which had a great importance in spreading religious thought derived from the power of the god Amun who was worshiped at that period in those roles. This paper aimed to highlight the religious architectural activity of King Taharqa and to highlight the temple and its historical importance and civilizational status. The research problem was the importance of the religious institution that played an important role in the foreign victories of the Kushite kings, in addition to their coronation. It included various regions within the Kingdom of Kush. The paper followed the historical, descriptive, and analytical method, and the study came out with a number of results, the most important of which are: that King Taharqa paid great attention to the religious institution, as he worked on constructing new temples and restoring what was about to fall. He also worked to bring architects from Memphis to carry out the construction, decoration, coloring and engraving of some temples in the hieroglyphic language, which indicates the religiosity of King Taharqu himself and his interest in the religious institution that he paid his attention to before he was crowned king. The research also came out with a number of recommendations represented in the interest in the restoration and maintenance of the many temples that Taharqu built in the country of Kush and work to protect them because they represent the cultural heritage of this benevolent country.

## المقدمة:

تهارقا هو ابن الملكة (إبار) أخت الملك آلارا وأن والده هو الملك (بيي) والأخ الأصغر للملك شبتاكا، ويشير أحد الألواح التي تركها في معبد الكوة إلى استدعاء الملك شبتاكا لتهارقا - وهو ابن العشرين عاماً - حيث يذكر اللوح (كوة V) أنا جئت من أرض الأقواس بصحبة أخوة الملك الذين استدعاهم جلالته، وأنا سأكون معه، وهو يحبني أكثر من أخوته كلهم وأكثر من أبنائه كلهم، وأنا المفضل عنهم بواسطة جلالته - أي شبتاكا - واستلمت التاج في ممفيس عندما طار الصقر إلى السماء (أي عندما مات الملك شبتاكا)[1].

تنتشر في مملكة نبتة المعابد التي شيدت في كثير من المواقع الحضرية، وكان معظمها مكرِّساً لعبادة الإله آمون، مثل معابد جبل البركل وصنم أبي دوم، والكوة وبنوبس، فلعبت المعتقدات الدينية عموماً - والعقيدة الآمونية بصفة خاصة - دوراً أساسياً في نشأة واستقرار واستمرار دولة كوش، إذْ أنَّ قراءة نقوش ملوك هذه الدولة تؤكد الأهمية الكبيرة للجانب الديني في تلك الدولة لدرجة أن معظم ألواحهم يغلب عليها الطابع الديني، وقد شكَّل الإله آمون نقطة الانطلاق للنشاطات الكوشية الكبرى، فكل الملوك تقريباً تلقوا سلطتهم الملكية والسيادة والقوة من الإله آمون، وقضوا على أعدائهم ومنافسيهم بفضل رضائه عنهم وقوتهم التي استمدوها منه، وبرَّروا بهديه كل أفعالهم ورغباتهم، وتظهر الصورة بوضوح أكثر في نصوص اعتلاء العرش، أو تسجيل الانتصارات. رغماً عن أن بلاد كوش قد نالت استقلالها بعد خروج المصريين منها إلاَّ أنَّ ممارسة الشعائر الدينية والطقوس الجنائزية في كوش كانت شبيهة بتلك التي كانت تمارس في طيبة في أواخر فترة المملكة المصرية الحديثة[2]. واستمر الزعماء الذين تولوا زمام الأمر في بلادهم في عبادة الإله آمون أهم آلهة الدولة المصرية الحديثة، وأخذت ممارساتهم الدينية في معظمها تسير على نفس نهج المصريين؛ بل أنهم أعطوا الإله آمون ولاءً أعظم بعد قيام مملكة كوش، وبلغت حداً تجاوز مدى قوتها في موطنها الأصلي[3].

بدأت فترة النشاط المعماري الديني التعبدي الواسع في بلاد كوش بوصول تهارقا إلى الحكم في 690ق.م وقد اعتبره كثير من المؤرخين معمارياً من الدرجة

الأولى. اهتمَّ الملك تهارقا مثل سابقيه بماضي مصر، وعبَّر عن هذا الاهتمام ببناء المعابد وإصلاح القائم منها سواء كان ذلك في مصر أو بلاد كوش، إلاَّ أنَّه ركَّز بصورة واضحة على بلاد كوش، وبدأ نشاطه أولاً في جبل البركل حيث بنى المعبد الثاني للإله آمون والإلهة موت، وقطع قدس الأقداس في الصخر – ربما كان يوجد رواق يقوم على أربعة أعمدة، زُيِّن تاج كل منها برأس الإلهة حتحور[4]. انظر الصورة أدناه.

صورة رقم (1) توضح الأعمدة التي عليها رأس الإلهة حتحور

## (1) النشاط المعماري الديني بجبل البركل:

بدأ تهارقا نشاطه المعماري أولاً في جبل البركل حيث بنى المعبد الثاني وأهداه للإله آمون والإلهة موت زوجته، وقد قطع قدس أقداسه في الصخر(B.300)، وربما كان يوجد رواق يقوم سقفه على أربعة أعمدة. توجد

خلف البوابة قاعة تحتوي على ستة عشر عموداً نَسقت على صفين، وتوجد خلفها قاعة أخرى بها ثمانية أعمدة قُسمت أيضاً إلى صفين، وتقف على جانبي المدخل أعمدة مستطيلة الشكل تم تزينها برسومات الإله بس، وتقع خلف هذه الأعمدة أعمدة أخرى أعلى منها نسبياً زُين رأس كل عمود منها برأس الإلهة حاتحور. احتوى المعبد أيضاً على ممر داخلي طويل يربط القاعة الثانية بالحجرة الصغيرة المقطوعة في الصخر. وقد وُضع على جانبى هذا الممر عمود زُين بتمثال الإله بس، ونُقش عليه ألقاب الملك تهارقا، يُوجد أيضاً في الجزء الأعلى من هذا العمود بقايا نقش يبدو فيه الملك وهو يعبد الإله آمون -الذي صُور في هيئة إنسان برأس كبش – وزوجته الإلهة موت، إلى جانب احتواء هذا الجزء من العمود على ألقاب الملك تهارقا المختلفة.

تحتوي جدران المعبد على بقايا من المناظر الدينية، يبدو فيها الملك تهارقا وهو يعبد آلهة الجبل المقدس، ويقدم لها القرابين. يصور أحد المناظر زوجة الملك وهي تقدم للإلهة موت قربان في شكل آلة موسيقية. تميز قدس الأقداس بأن جدرانه كانت مزينة بسلسلة من المناظر الدينية، ولا نستبعد أن هذا المعبد كان يحتوي على تمثال الإله آمون وآخر لزوجته خاصة أنه قد أُهدي إليهما، وقد ذكر بدج أن هذا المعبد كان به مذبح من حجر الجرانيت، إلا إنه اختفى[5].

يوضح هذا المعبد من بدايته حتى اكتماله أنه كان عبارة عن معبد جنائزي مصري، فالنقوش والزخارف في الجدران نُقلت من حجرات المعابد المصرية، ولكن ما يبدو محيراً أن الملك تهارقا لم يقلد الفراعنة في تسجيل أحداث إحتلاله لمصر في حيطان المعبد الخارجية. هذا في حين أننا نجد أن بيي الذي سبقه لم يتجاهل هذا التقليد. بنى تهارقا أيضاً المعبد (ب.200) والقاعة الخارجية لمعبد آمون (ب.500).

قام الملك تهارقا بإصلاحات وإضافات للمعابد التي كانت قائمة في جبل البركل. فقد وُجدت آثاره في المعبد الذي يقع في نهاية جبل البركل، وفي المعبد الذي يقع شمال معبد الملك بيي. ذكر الملك تهارقا في نقش له وُجد في المعبد

الكبير أنه أعاد بناء معبد الإلهة موت من الحجر الأبيض. وفي نقش آخر ذكر أنه بنى منزلاً للإلهة موت سيدة بلاد كوش، وأنه قام بتوسيع وتجديد معبدها. كما احتوت حجرة صغيرة تقع بالقرب من قدس الأقداس على نقش ذكر فيه الملك تهارقا أنه بنى هذا النصب لأمه الإلهة موت، عين رع، سيدة السماء، سيدة الآلهة التي تقيم في نبتة. وقد احتوى المذبح الذي قطع من الجرانيت والذي كان موجوداً في معبد الإله آمون على الإهداء التالي « أقام الملك هذا النصب لأبيه رع، ملك طيبة وسيدها، الإله العظيم الذي يقيم في كوش.» وقد أضاف الملك تهارقا مصلى للمعبد الذي بناه الملك بيي في جبل البركل، فقد وُجد إسمه وألقابه منقوشة في مذبح من الجرانيت في المصلى[6].

**صورة رقم (2) توضح احتضان جبل البركل لعدد من المعابد تصوير الكاتب**

تم اكتشاف من عهد الملك تهارقا على قمة جبل البركل التي ترتفع حوالي 74 متراً فوق سطح الأرض، فقد اكتشف فريق من العلماء الأمريكيين عام 1986م، عن طريق استعمال آلة التلسكوب نقوشاً بالكتابة الهيروغلوفية تركها الملك تهارقا على كوة صغيرة في قمة الجبل، كان الغرض منها أحتواء تمثال صغير للملك (لم

يتم العثور على التمثال)، وقد زُينت هذه الكوة بطبقة من الصفائح الذهبية كانت آثارها باقية عند وقت الإكتشاف.

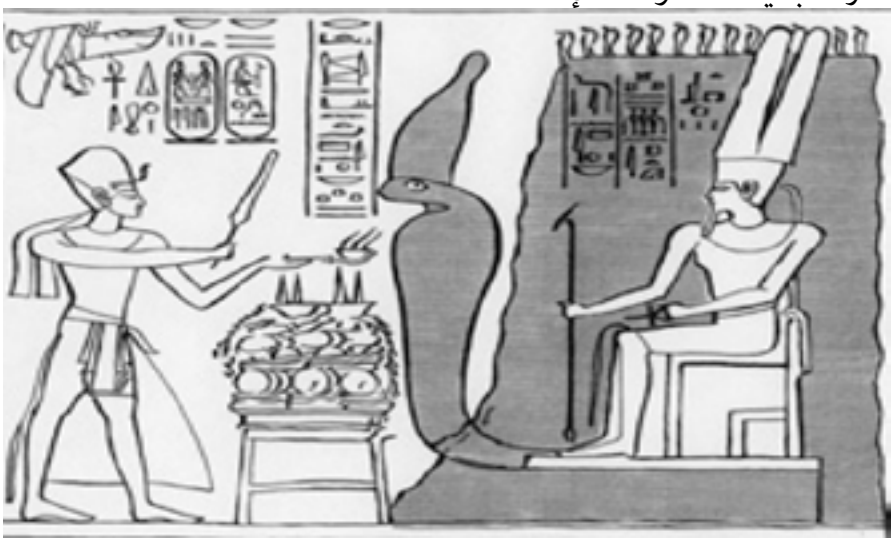

**شكل رقم (1) عن كندال 2006، ص129**

لم يقتصر مجهود الملك تهارقا المعماري في البركل، لكنه شيد معابد في كل من الكوة وصنم أبو دوم وفي تابو بجزيرة أرقو( يسمى أحياناً معبد بنوبس). وقد كُرست كل هذه المعابد لعبادة الإله آمون، وبُنيت وفق الخطة والطراز المصري الصميم، كما بُنيت جميعها على خطة واحدة.

## (2) معبد (T) بالكوة:

تقع الكوة على الضفة اليمنى للنيل، على بعد حوالي أربعة كيلومترات جنوب مدينة دنقلا، في منطقة رملية، وتغطي سطح الموقع كسارة الفخار وبقايا المخلفات السكنية. ومن قرية الكوة «الكاسورة حالياً» تمتد جنوباً لمسافة كيلومترين الأكوام الضخمة وبقايا الطوب الأحمر وجدران ضخمة من الحجر تمثل بقايا المعابد، وتنمو بعض الحشائش والأشجار المتفرقة بين النيل وهذه المعابد. ربما كانت المنطقة في الماضي مدينة كبيرة المساحة محاطة بالمزارع من ثلاث جهات[7].

عرفت الكوة قديماً باسم جم با اتن، وهذا المسمى كان ذا صلة بالفرعون

أخناتون، ويوجد بها معبد للإله آمون، أما المعبد الفرعوني الصغير الذي لا يزال ماثلاً فقد بُني في عهد توت عنخ آمون[8].

اهتم الملك تهارقا اهتماماً بالغاً بمدينة الكوة، ويبدو أن اهتمامه هذا كان نابعاً من حبه العميق لها، فقد ذكر أنه عند مروره بها في طريقه إلى مصر – وذلك في السنة الأولى من اشتراكه في الحكم مع شبتاكا – أحزنه ما آل إليه حال المعبد من دمار[9]، لذلك أعلن بعد تتويجه ملكاً في ممفيس عن رغبته في بناء معبد الكوة، لأنه كان يحس أنه مدين للإله آمون رع الذي تعهد للجد ألارا بوضع أسرته تحت رعايته، ولأنه كان يدين لآمون بالفضل في وصوله للعرش[10].

كان عهد الملك تهارقا مليئاً بالنشاط المعماري في بلاد كوش، ودلَّت الآثار التي كشف النقاب عنها في مدينة «الكوة» (جم أتون) الواقعة على الضفة اليمنى للنيل جنوبي دنقلا على النشاط المعماري الذي قام به هذا الملك، فقد انشأ بها معبداً فخماً، ويبدو على أنه على أثر اعتلاء تهارقا العرش مباشرة بدأ في بناء هذا المعبد فأرسل جماعات من أصحاب الحرف والصناعات من منف لإقامته ولتزيينه بالنقوش التي كانت تقليداً لآثار الدولة القديمة في أبو صير وسقارة. وقد صفَّحت أعمدة المعبد الجديد بالذهب، وصنِّعت الأبواب من خشب الأرز، وصُبَّت مزاليجها من البرونز، وزُرِعت الحدائق في الأراضي المجاورة بالنباتات والأشجار، وحفرت البحيرات والبرك لإمدادها بالمياه، كما زرع الكرم التي خصص لرعايتها رجال متخصصون جلبوا خصيصاً لذلك، وكانت كرم هذا المعبد تستخدم في صنع المشروبات الروحية (النبيذ) الذي قيل أنَّه يفوق في حلاوته نبيذ (الواحات البحرية). وقد صُفَّت كباش من الجرانيت على جانبي بوابة المعبد، وألحق بالمعبد مصنع للطوب ومخزن للغلال[11].وقد عثر على لوحات في الردهة الخارجية للمعبد مدونة عليها معلومات خاصة بالمعبد وتأسيسه والقيام على خدمته، وسجل بالهدايا التي قدَّمها الملك تهارقا في السنوات من السنة الثانية من حكمه حتى السنة الثامنة، وهذه الهدايا تدل على ما كانت تتمتع به البلاد من ثروة، فالأواني معظمها من الذهب، هذا بالإضافة لأنواع الأنسجة والكتان، ويدل تعدد هذه الأنسجة على تقدم صناعة الغزل في البلاد. وكذلك ذُكِر أنَّه

أمـدَّ المعبـد بالخـدم والخادمـات، كـما خصـص لـه مغنيـات وكاهنـات يقمـن بـأداء الشـعائر الدينيـة، ونلاحـظ أن العنـصر النسـائي كان سـائداً بـين خـدم وكهنـة المعبـد، ولا غرابـة في ذلـك فقـد انتهـى الأمـر إلى أصبحـت الكهانـة العظمـى في معبـد آمـون في يـد النسـاء ولمـدة طويلـة مـن الزمـن بـدلاً عـن الكاهـن الأعظـم[12].

بـدأت هبـات تهارقـا لمعبـد جـم بـا أتـن منـذ عامـه الثـاني كـما جـاء في اللـوح رقـم ثلاثـة، والـذي عـثر عليـه في القاعـة الأولى مـن المعبـد، وقـد اسـتمرت هـذه الهبـات حتـى العـام الثامـن[13]، وذكـر في اللـوح رقـم أربعـة أنـه أرسـل جيشـاً إلى جيـم بـا أتـن مـع عدد ضخـم مـن الحرفيـين المهـرة وبصحبتهـم معـماري يـشرف عـلى بنـاء المعبـد، ويذكـر اللوح أن الملـك شـيَّد هـذا المعبـد مـن الحجـر الرملـي الأبيـض ، وقـد طليـت أعمدتـه بالذهـب والفضـة ونقـش عليهـا اسـم جلالتـه وزوِّد بـالأواني الذهبية والفضيـة والبرونزيـة[14].

يبلـغ طـول المعبـد 38.7 مـتراً وهـو يشـابه إلى حـدٍ مـا معبـد صنـم أبـو دوم، والفـرق الأسـاسي بينهـما أن معبـد صنـم أبـو دوم يحتـوي عـلى صرحـين ، بينـما معبـد الكـوة لـه صرح واحـد ، إضافـة إلى اختـلاف مـكان تشـييد مقصـورتي الملـك بـكلا المعبديـن ، وهـذا الأمـر يوضِّـح أن معبـد صنـم أبـو دوم بنـي بعـد الانتهـاء مـن بنـاء معبـد الكـوة ، وصـار معبـد صنـم أنموذجـاً مطـوَّراً لمعبـد الكـوة[15].

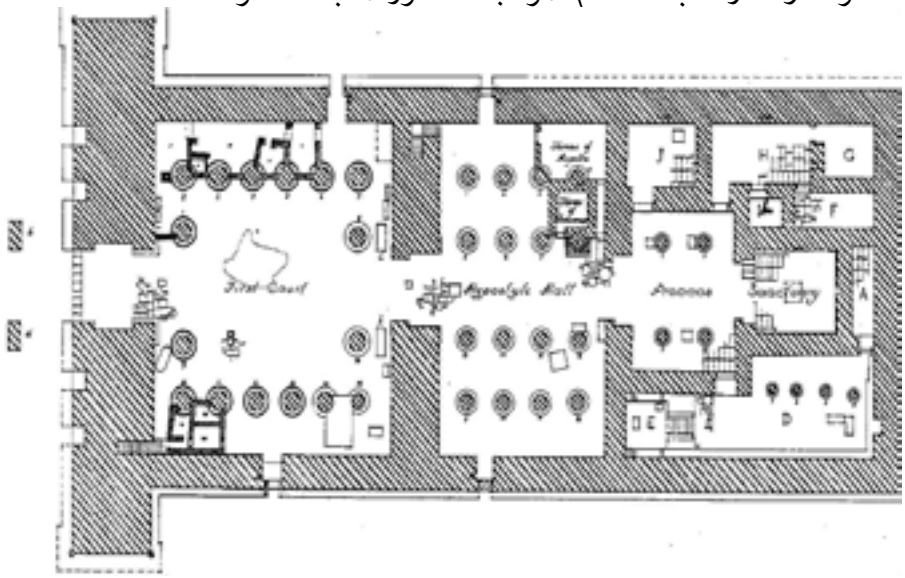

**شكل رقم (2) معبد (T) بالكوة، عن مكادم 1949**

خطـط تهارقـا الحدائـق حـول هـذا المعبـد، وزرعـت فيهـا الأشـجار التـي كانـت تسـقى مـن القنـوات التـي حفـرت مـن النيـل لهـذا الغـرض، وجلـب لـه الفلاحين من آسـيا، وزوده بالكهنـة والمغنيـات ليعزفـن أمـام الإلـه[16]. زُيِّن الطريـق الذي يـؤدي إلى المعبد بعدد مـن الكبـاش، كان كل واحـد منهـا يضـم تمثـالاً لتهارقـو وضـع بصـورة تـدل عـلى أن الإلـه يشـمل الملـك برعايتـه وحفظـه[17]. اسـتغرق بنـاء هـذا المعبـد نحـو أربعـة أعـوام تقريبـاً، فقـد بـدأ تشـييده في العـام السـادس مـن حكـم تهارقـو ، وقـد سـجَّل الملـك في اللـوح رقـم سـبعة أنَّ الافتتـاح الرسـمي للمعبـد كان في العـام العـاشر من حكمـه[18]، وقد أهـدى تهارقو هـذا المعبـد للإلـه آمـون حيـث سـجَّل ذلـك في البـاب الشـمالي للقاعـة[19].

احتفظـت الكـوة بالمكانـة التـي أرادهـا لهـا تهارقـا لقـرون عديـدة بعـده، حتـى غـدت في المرتبـة الثانيـة بعـد نبتـة مـن حيـث الأهميـة الدينيـة. ودلالات ذلـك نجـده فيـما عكسـته ألـواح تتويـج الملـوك الذيـن جـاءوا بعـد تهارقـا، ومـا أضافـه أولئـك الملـوك مـن مبـاني لآثارهـا[20].

**صورة رقم (3) توضح معبد (T) بالكوة، تصوير الكاتب**

اهتم الملك تهارقا اهتماماً بالغاً بمدينة الكوة، ويبدو أن اهتمامه هذا كان نابعاً من حبه العميق لها، فقد ذكر أنه عند مروره بها، وذلك في السنة الأولى من اشتراكه في الحكم مع شبتاكا - في طريقه إلى مصر - أحزنه ما آل إليه حال معبدها من دمار. لذلك فإنه بعد تتويجه ملكاً في ممفيس أعلن عن رغبته في بناء معبد الكوة، لأنه كان يحس أنه مدين للإله آمون رع الذي تعهد للجد ألارا بوضع أسرته تحت رعايته، ولأنه كان يدين له بالفضل في وصوله للعرش.

بدأت هبات الملك تهارقا لمعبد جم با أتن منذ عامه الثاني كما جاء في اللوحة رقم ثلاثة، والتي وُجدت في القاعة الأولى من المعبد، وقد استمرت هذه الهبات حتى العام الثامن. يبدو إهتمام تهارقا بهذا المعبد واضحاً بمالا يدع مجالاً للشك، فقد ذكر في اللوحة رقم أربعة أنه أرسل جيشاً إلى جم با أتن مع عدد ضخم من الحرفيين المهرة وبصحبتهم معماري ليشرف على بناء المعبد.ومما ذُكر في اللوحة يتضح أن المعبد قد شُيد من الحجر الرملي الأبيض، وأن أعمدته طُليت بالذهب والفضة، ونُقش عليها إسم جلالة الملك، وزود المعبد بالأواني الذهبية والفضية والبرونزية.

خطط الملك تهارقا الحدائق حول هذا المعبد، وزُرعت فيها الأشجار التي كانت تُسقى من البحيرات التي تم حفرها لهذا الغرض، وجلب الملك تهارقا الفلاحين من آسيا، وحشد الملك للمعبد المغنيات ليعزفن أمام الإله آمون، كما ملأه بعدد من الكهنة. كل ذلك لتكتمل صورة المعبد المصري لتهارقا، وكما أراد الملك فقد كان نتاج هذا المجهود معبداً مصرياً خالصاً، نقش فيه الحرفيون المهرة النقوش بدقة تامة على الطراز المصري، لا سيما نماذج المملكة المصرية القديمة الموجودة في أبي صير وسقارة حيث معابد الأسرتين الخامسة والسادسة[21].

يُعتبر ما بقي من الآثار على جدران معبد الكوة ذو قيمة تاريخية كبيرة بالرغم من أنه لم تُوجد مناظر مكتملة. ولعل أهم النقوش من الناحية التاريخية النقش الموجود في الجانب الجنوبي من المعبد، والذي صور فيه الملك تهارقا في هيئة أبي الهول - الذي كان يُعرف عند المصريين بإسم حو، وكان رمزاً للإله حرماخيس. يشابه هذا المنظر منظراً في معبد الملك ساحورع حيث صور في هذا

المعبد جسم أبي الهول مكوناً من جسم أسد و رأس صقر، أما في معبد تهارقا فإن الشكل كان يتكون من جسد أسد ورأس آدمي، وقد نُحتت تحت أرجل الأسد مجموعة من أشكال الأجانب، إتضح من النقوش المصرية أنهم ليبيون وآسيويون وبنتيون (من بلاد بنت). وقد ذُكر في النص الذي صحب هذا النحت ما يفيد أن الملك يضع تحت أرجله كل الأقطار الأجنبية، وكُتب أمام الأسير الليبي مامعناه أن الملك أخذ الأسرى وكل قطعانهم، أما الجزء الأسفل من النحت فقد رُسمت فيه مناظر تشبه تماماً المناظر في معبد ساحورع. ويرى مكادم أن المعبد ربما كان به حجرة لوضع تمثال الإلهة سيشات، إلهة الكتابة لتسجيل أسماء الأسرى كما هو الحال في معبد ساحورع[22].

يلي النحت السابق نص عمودي ذُكر فيه أن الملك تهارقا هزم الأقطار الأجنبية التي ثارت ضده، وأن الملك اضطرهم للمشي مثل الكلاب (إما طوعاً أو كرهاً)، وقد نُقش هذا النص مرة أخرى بصورة أكثر اكتمالاً على جانبي باب قاعة الأعمدة. يُوحي وجود هذه العبارة في نقوش المعبد أن هذه المناظر نُقلت نقلاً من المعابد الجنائزية التابعة للمملكة المصرية القديمة[23]. نجد وجه شبه آخر في النحت الذي على يمين النص السالف الذكر بل أن الجزء الأسفل والذي صور فيه ثلاثة من الليبيين – رجلين وإمرأة – كان مطابقاً تماماً لما وُجد في معبد ساحورع ومعبد بيبي الثاني. وقد تعدى التشابه في النحت إلى التشابه في الأسماء، إذ نجدهم حملوا أسماء واحدة في النحتين. مما يدل على أنه قد تم نقل هذه النصوص من المعبدين السابقين. تم تزيين الطريق الذي يُؤدي إلى المعبد بعدد من الكباش، وكان كل واحد منها يضم تمثالاً للملك تهارقا وُضع بصورة تدل على أن الإله يشمل الملك برعايته وحفظه.

استغرق بناء هذا المعبد نحو أربعة أعوام تقريباً، فقد بدأ تشييده في العام السادس من حكم الملك تهارقا. وسجل الملك في اللوحة رقم سبعة أن الافتتاح الرسمي للمعبد كان في العام العاشر. هذا المعبد أهداه الملك تهارقا للإله آمون حيث سجل ذلك في الباب الشمالي للقاعة.

أضاف الملك تهارقا لاحقاً لهذا المعبد مذبحاً وضعه في حجرة القرابين، وربما فعل ذلك في معبد بنوب أيضاً. لكن لم يتوصل علماء الآثار إلى أهمية هذه المزارات في العبادة. ولكن ربما تطورت هذه المزارات إلى المعابد ذات الحجرة الواحدة التي أُهديت إلى الآلهة المحلية (الإله ابيدماك والإله سبوي مكر والإله أرنسنوفيس). في أوقات الحضارة المروية.

ظلت مدينة الكوة بعد عهد الملك تهارقا لعدة سنين محتفظة بمكانتها، وربما أصبحت من حيث الأهمية الدينية المدينة الثانية بعد نبتة. وخير دليل على ذلك أن الملوك الذين تلوا الملك تهارقا أعطوها إهتماماً زائداً تمثل في ما أضافه هؤلاء الملوك إلى مبانيها، وفي إيداعهم للوحاتهم الملكية فيها. ثم زيارتها بعد توليهم العرش، كما سنعرف ذلك في الجزء الخاص بتتويج الملوك الكوشيين.

لا بدَّ أن نضيف إن ما جاء في وصف معبد الكوة فيه من الكفاية للدلالة على ما كانت عليه البلاد من ثراء يفوق حد الوصف، وقد ذكر الملك تهارقا أنه أحضر العمال والفانين وأصحاب الحرف من ممفيس ومن أنحاء القطر ومن البلاد المجاورة، هذا إضافة إلى ما أوقفه تهارقا وما أهداه لهذا المعبد بخاصة أن بلاد كوش كانت المصدر الرئيس للذهب. إن الوصف الذي كان عليه المعبد لا يضع أمام الباحث صورة لما كانت عليه البلاد من الثروة وتقدم في الفن والزراعة والصناعة والحرف فقط، بل يشير ما كان للملوك من سلطان على مصر وبلاد آسيا المجاورة .

## (3) معبد آمون بصنم أبي دوم :

تقع صنم أبو دوم بالقرب من مدينة مروي الحديثة على بعد مسافة قصيرة من جبل البركل على الضفة اليسرى للنيل ، ويعتقد بعض الكتاب أمثال شيني أن مدينة نبتة عاصمة المملكة كانت تقوم في هذا الموقع[24]. أجرت التنقيب في صنم بعثة جامعة ليفربول بقيادة خبير الآثار الإنجليزي ف.ل. جريفث الذي حدد موقع المدينة القديمة بمسافة كيلومتر واحد من النيل من ناحية ، وبمسافة مماثلة إلى الشمال من الجبانة التي تقع على الحافة الصحراوية، وعثر في الموقع أيضاً على معبد لآمون قام ببنائه الملك تهارقو[25].

كرِّس هذا المعبد لآمون «ثور تاسيتي» وهو ما يعني آمون بتجسيد نقي في محليته، فهذا المبنى ذو تاريخ غامض «غريب» كما تردد في كلمات المنقِّب جريفث «بيَّنت حفرياتنا أن المعبد في صنم كان له حجم معتبر، إذْ أنَّ به ردهة في الواجهة محاطة بأعمدة منتظمة مثبتة للسقف أُدخلت عبر بوابة هرمية مفتوحة على قاعدة مبنية على أعمدة ورائها بناء معقود وغرفة للعبادة محاطة بغرف متنوعة، كل هذا شيَّده تهارقو، ثمَّ أضاف أسبلتو - بعد قرن من الزمان - غرفة أخرى مثلها في النصف الجنوبي»[26].

يبدو أن الذين قاموا بهذا العمل من الحرفيين المصريين، فنماذج صوره استمدت من مناظر معابد الدولة القديمة في مصر، إذْ مثل تهارقو لابساً تاج الوجه البحري. ويبدو أن هذا المعبد صُمِّم في وقت متأخر بعض الشيء كان فيه ضغط الآشوريين على مصر شديداً. يتكون المعبد من مبنيين مستطيلين، أولهما الفناء الخارجي وهو ردهة ذات أعمدة يصل إليها الإنسان عبر بوابة ضخمة ، وأما البناء الثاني فيتألف من قاعة أعمدة خلفها المحراب وحوله حجرات[27]، ويبدوا أن الذين قاموا بهذا العمل أيضاً من الصناع والمهندسين المثريين، فالمعبد مصري ونماذجه صورة من مناظر الدولة القديمة في مصر، فقد مثِّل الملك تهارقو لابساً تاج لوجه البحري، كما صور على هيئة أبو الهول يدوس أعدائه بأرجله، ويبدو أن هذا المبعد قد صمم في وقت متأخر بعض الشيء كان فيه ضغط الآشوريين على مصر شديداً، وهو من مبنيين مستطيلين الفناء الخارجي من ردهة ذات أعمدة يصل إليها الإنسان بواسطة بوابة ضخمة، والبناء الثاني يتألف من قاعة أعمدة خلفها المحراب وحوله حجرات.

يوحي الخيال لكتاب عديدين أن صنم ربما كانت موقع المدينة الرئيسة لنبتة والمقر الملكي، فتكريس معبد لآمون بها يعد تبياناً كوشياً أكثر منه تجسيداً لإرادته الشاملة، ويقترح جريفث أن هذا المبنى في إحدى تجلياته دار عبادة للأسرة المالكة، لا تخضع لسيطرة الكهنة الراسخة في جبل البركل. إن الفصل الطبيعي بين النقطتين - المقدسة وغير الدينية - على جانبين متقابلين من النه ، ربما كان ضرورياً لمنع تولد الشرر الناتج عن الاحتكاك اللصيق بين السلطتين،

هنالك بالطبع إيحاء يمثل هذا الصراع في ألواح أسبلتا، إذْ مسح الكهنة احتقاراً اسم الملك من واحد منها[28].

لم يعثر أمام معبد صنم على أي نوع من الهياكل أو التماثيل أو سور، وما وجد من تماثيل أو نصب تذكارية ربما كان بعضها أقدم من عهد تهارقو، وقد وجد خرطوش كتب عليه اسم الملك بيي والإلهة حاتحور، وشعار توحيد مصر العليا والسفلى، ويمكن افتراض وجود معبد قديم في نفس المكان أو بالقرب منه، أو أنها نقلت إلى هذا المعبد من مكانٍ ما في وقت لاحق[29]. وجدت في معبد صنم مجموعة من الأسماء الملكية مثل بيي، شباكا، أتلانيرسا، سنكامنسكن، وأسبلتا، لذلك يرى جريفث أن تاريخ بناء هذا المعبد يعود إلى نهاية القرن الثامن قبل الميلاد، وبداية القرن السادس قبل الميلادي[30].

استمرَّ تقليد إصلاح وترميم المعابد أو الإضافة إليها في فترة ملوك الأسرة الخامسة والعشرين متأثرين في ذلك بفراعنة مصر، وقد سار خلفاء هؤلاء الملوك على نفس المنوال، فقام أسبلتا بعد قرن ببناء مقصورة في الركن الجنوبي الشرقي للقاعة (K) التي بنى تهارقا محرابه فيها، ويفصلهما الممر الطويل الذي يبدأ من المدخل. بُني المحراب من حوائط ضخمة عليها نقوش هيروغليفية، وفي ثلاثة مشاهد يظهر آمون - رع «ثور تاسيتي»، وقد تحطَّم مشهد الملك وتبعه أميران يمسكان بيدي آمون - رع بمصاحبة موت وخنسو، وكان الإله حاضناً الملك[31]، وكذلك وجد في هذا المعبد لوح الوقف الذي نصبه الملك أسبلتا في العام الثالث من فترة حكمه، وربما أقام أسبلتا في صنم طويلاً بعد تدهور علاقته مع كهنة نبتة. هذا المعبد طاله الخراب والتحطيم بواسطة القوات الإغريقية المرتزقة التي صحبت بسماتيك الثاني الذي قام بتحطيم صروح نبتية أخرى أيضاً[32].

نتيجة للدمار الشديد والإهمال الذي أصاب معبد صنم أبو دوم منذ وقت مبكر، تعرضت المصورات في جدرانه للتلف، ولم يعد من الممكن تصور الهيئة التي بدأت فيها[33].

شيد الملك تهارقا هذا المعبد مباشرة بعد الانتهاء من بناء معبده في الكوة، أي في العام العاشرمن حكمه، وقد استفاد الملك من تجربته في بناء معبد الكوة،

إذ يلاحظ التشابه بين المعبدين. يتكون المعبد من بنائين مستطيلين، الأول منهما عبارة عن قاعة أعمدة(Hypostyle Hall)، أما الثاني فهو عبارة عن القاعة التي يوجد خلفها قدس الأقداس، وعدد من الحجرات الإضافية، والتي يتم الدخول إليها عن طريق البوابة الثانية (الشكل رقم 3).

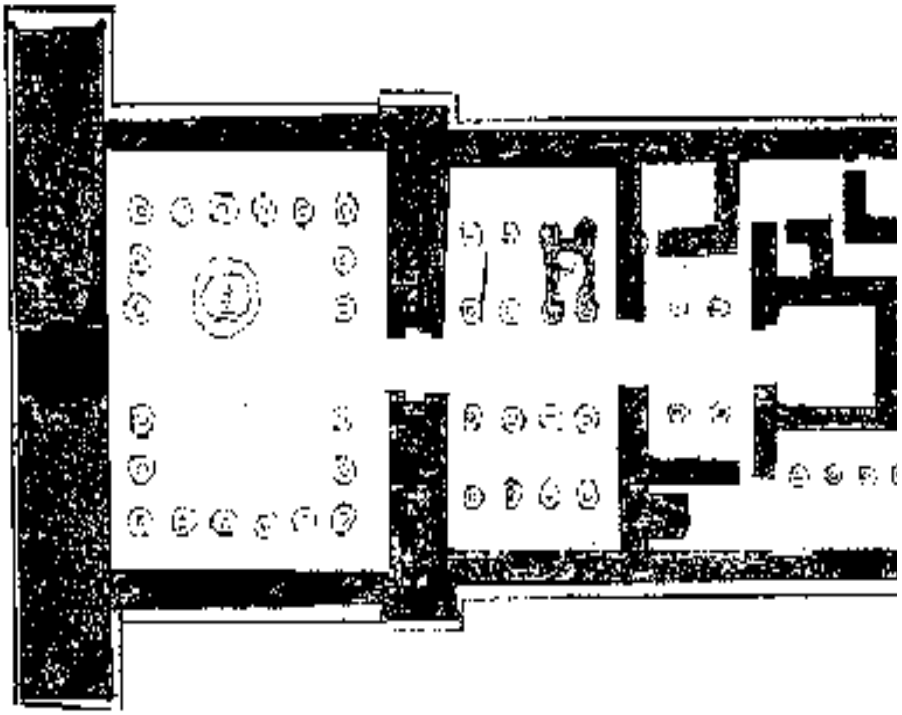

**شكل رقم (3) يوضح معبد آمون بصنم أبي دوم، عن قريفيث 1922م**

رغم أن معبد صنم أبي دوم يشبه معبد الكوة إلا إنه يوجد بينهما اختلاف أساسي يتمثل في وجود بوابتين في معبد صنم أبي دوم، ونجد اختلاف آخر في وضع السلم وفي مكان المحراب.

خلت بوابة معبد صنم أبي دوم من وجود أي نوع من الهياكل أو التماثيل أمامها، كما خلت من أي دليل على وجود سور، وما تم العثور عليه من تماثيل أو نصب تذكارية ربما كان بعضها أقدم من عهد الملك تهارقا. ومن اللقى الآثارية التي تم العثور عليها خرطوش كُتب عليه إسم الملك بيي والإلهة حاتحور وشعار توحيد مصر العليا ومصر السفلى، مما يقودنا إلى افتراض وجود معبد قديم في

نفس المكان أو بالقرب منه، أوأن هذه الأشياء قد تم نقلها إلى المعبد من مكان ما في وقت لاحق[34].

استمر تقليد إصلاح وترميم المعابد أو الإضافة إليها عند ملوك الأسرة الخامسة والعشرين متأثرين في ذلك بفراعنة مصر، وقد سار خلفاء هؤلاء الملوك فيما بعد في نفس الإتجاه، فقد قام اسبلتا بعد قرن من الزمان ببناء مقصورة في الركن الجنوبي الشرقي للقاعة (K) التي بنى الملك تهارقا محرابه فيها، كما أضاف مصلى آخراً في النصف الجنوبي لحجرة القرابين. وبعد إضافات الملك أسبلتا أضاف الملك سنكامنسكن بناء بقيت منه بعض البقايا المتناثرة في مدخل المعبد، ولكن للأسف ليس معلوم على وجه الدقة حقيقية هذا البناء، تم العثور أيضاً في هذا المعبد على نقشين لملكين آخرين[35].

أهدى الملك تهارقا هذا المعبد أيضاً للإله آمون والإلهة موت زوجته وابهما خنسو، وقد ذُكرت أسماء آلهة اخرى، مثل حورس المنتقم لأبيه، والإلهة سخمت، إلا إن الآلهة الأوائل يظلون هم الآلهة الرئيسيون في المعبد.

## (3) معبد آمون بجزيرة أرقو (تبو أو بنوبس):

هو المعبد الوحيد الذي أقيم في جزيرة أرقو، وشُيِّد من الحجر الرملي، وقد وجدت ألواح من الحجر الرمادي اللون خاصة في أساس المعبد، مما يؤكد أنَّ الألواح قد أُعيد استعمالها مرة أخرى، وأنها ربما أُخذت من مبنى أقدم، وكان أكثرها مزخرفاً وعليه نقوش بعض أسماء ملوك الأسرة الثامنة عشرة[36].

يقوم المعبد على محور شرق - غرب ، مدخله من ناحية الشرق ، ويتكون من الصرح الأول الذي يؤدي إلى بهو أعمدة، ثم الصرح الثاني ويؤدي إلى بهو الأعمدة الثاني الذي يقود إلى فناء يتقدم غرفة قدس الأقداس، التي شيدت حولها على الميمنة والميسرة غرفتان ثانويتان تفتح كلاهما في هذا الفناء. يبلغ الطول الكلي للمعبد 75.6 متراً وعرضه 31 متراً. وكلا الصرحين الأول والثاني يمتدان إلى خارج سور المعبد. ويبلغ عرض الصرح الأول 40 متراً وعرض الثاني 35 متراً؛ وهذه الأرقام توضح أن المعبد يعد من المعابد الكبيرة في السودان[37].

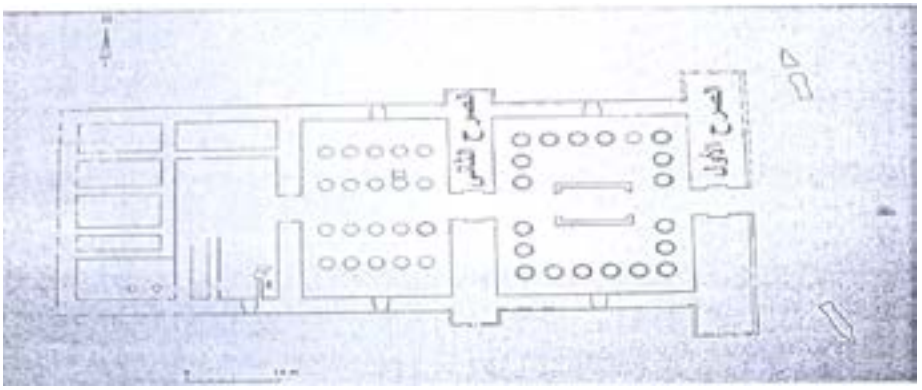

**شكل رقم (4) يبين معبد الملك تهارقا بـــ«تبو، عن 78: 1969 : Jacquet**

لم يوجد دليل من بقايا المعبد يوضح تاريخ إنشائه؛ ولكنه بُني على الطراز المصري الخالص، وكان يشبه إلى حدٍ كبير المعابد التي شيدها تهارقا في الكوة وصنم أبي دوم، ومعبد الملك بيي في البركل[38]. يتكون المعبد من رواق كبير به عدد من الأعمدة وقاعة أعمدة يقوم سقفها على أربعة صفوف من الأعمدة ، اشتمل كل صف على خمسة أعمدة، ثم حجرة صغيرة ، وأخيراً المقصورة التي تحيط بها من الجانبين حجرات إضافية صغيرة. لم يبق من معظم جدران هذا المعبد إلا الأساس، وقد نحتت في وسط قاعة الأعمدة مساحة مربعة الشكل ربما كانت موضعاً للمذبح[39].

لم يذكر اسم الإله الذي أهدي إليه هذا المعبد ، لكن من التمائم التي نحتت فيها الريشتان ورأس الكبش الذي توِّج بقرص الشمس ، من السهل الافتراض أن هذا المعبد ربما أهدي للإله آمون[40].

تعزى الحالة السيئة التي عليها تلك البقايا إلى عدم وجود أحجار بالمنطقة، مما دفع السكان المحليين لاستخدام أحجار المعبد في سقف منازلهم، بوضع الأحجار تحت كتل أخشاب السقف، حيث تشاهد هذه الأحجار في كل المنازل بالقرى المجاورة، إضافة لذلك فإن النوع الرديء من الحجر الرملي الذي استخدم في بناء معظم أجزاء المعبد ، لم يكن بمقدورها أن تقاوم عوامل التعرية التي تحدثها الرياح[41].وهو المعبد الذي أُقيم في جزيرة أرقو، ويبدو أنه شُيد في مكان مدينة برنوبس القديمة التي تقع على مسافة قصيرة إلى الشمال من مدينة

الكوة، فقد ذكرها الملك حرسيوتف مع الكوة، وذكر كل من الملكين نستاسن وأمون نتي يركي أن كل منهما قد تحرك من الكوة حتى برنوبس دون حاجة للتوقف في الطريق، جاء ذكر هذه المدينة أيضاً في اللوحة رقم ثلاثة عشر(لوحة الملك أمان – سابراك)(Aman-Sabrak) مع الكوة، وفي تقدير مكادم أنها تقع في جزيرة أرقو بين الشلال الثالث والكوة[42].

لم يتم الحصول بين بقايا المعبد دليل على تاريخ إنشائه، ولكن كان طرازه على النمط المصري الخالص، وكان يشبه إلى حد كبير المعابد التي بناها الملك تهارقا في الكوة وصنم أبي دوم، كما يشبه معبد الملك بيي في جبل البركل، ولعله لذلك السبب نسب علماء الآثار هذا المعبد للملك تهارقا. فقد تم استخدام الحجر الرملي في تشييد هذا المعبد، واحتوى أساس المعبد على ألواح من الحجر الرمادي اللون، يبدو أنها قد أُعيد استعمالها، وربما تكون قد نُقلت من مبنى قديم مجاور، كان أكثر هذه الألواح مزخرفاً وعليه خراطيش بعض ملوك الأسرة الثامنة عشرة، مثل تحتمس الثالث وتحتمس الرابع وأمنحتب الثاني وأمنحتب الثالث، مما يشير إلى وجود معبد في هذا المكان أو بالقرب منه خلال فترة هذه الأسرة[43].

كان من ضمن الأسماء المنقوشة اسم الإله آمون، لكن ما لفت نظر المنقبين أن اسم آمون تمت إزالته أولاً ثم أُعيدت كتابته مرة أخرى، مما يدل على أن أتباع إخناتون قد وصلوا إلى هذه المنطقة خلال ثورته الدينية، خاصة وأن كل هؤلاء الملوك سابقون لأخناتون، وربما كان رعمسيس الثاني هو الذي أعاد كتابة إسم الإله آمون، فقد وجد اسمه منقوشاً في إحدى الحجرات الصغيرة الواقعة جنوب المصلى. دليل آخر على وجود معبد في هذا المكان خلال المملكة المصرية الحديثة يظهر في وجود أجزاء عديدة من لوحات من الجرانيت و تماثيل عليها نصوص هيروغلوفية.

يتكون المعبد من رواق كبير به عدد من الأعمدة وقاعة أعمدة يقوم سقفها على أربعة صفوف من الأعمدة. اشتمل كل صف على خمسة أعمدة، نحتت في وسط هذه القاعة مساحة مربعة ربما كانت لوضع المذبح أو مركب

الشمس، احتوى المعبد أيضاً على حجرة صغيرة وأخيراً المصلى الذي تحيط به من الجانبين حجرات إضافية صغيرة. لم يتبق من معظم جدران المعبد إلا الأساس. تدل كثرة الأشياء النفيسة والمصنوعة من الذهب والفضة والبرونز والخزف التي تم العثور عليها في المعبد على كثرة الهبات التي كانت تقدم لهذا المعبد.

لم يُذكر اسم الإله الذي أُهدي له هذا المعبد، لكن من التمائم التي نُحتت فيها الريشتان أو رأس الكبش وقد تُوج بقرص الشمس، يمكن القول إن هذا المعبد أُهدي للإله آمون، خاصة أنه الإله الوحيد الذي ذُكر اسمه في أجزاء من النقوش التي بقيت من المعبد القديم.

بقي أن نذكر أن معبد الملك بيي في جبل البركل ومعابد الملك تهارقا تشكل المعابد الرئيسة في منطقة نبتة، وقد أطلق عليها بروفيسور حاكم على هذه المعابد معابد التتويج، وتبدو هذه الصفة ملائمة خاصة أن بعضها كان له علاقة بشعائر تتويج الملوك الكوشيين[44].

## الخاتمة:

تشابهت هذه المعابد في صفات عديدة مثل احتوائها على صروح عالية تفاوت عددها من معبد آخر، وكذلك احتوائها على أبهاء غير مسقوفة احتوت على لوحات الملوك كما في معبد جبل البركل، الذي ضم لوحات الملوك بيي واسبلتا وحرسيوتف وتماثيل الملوك من تهارقا حتى اسبلتا. وقد احتوى معبد تهارقا في الكوة على لوحاته الخمس ولوحة أنلماني. وفي تقديرنا أن افتراض بروفيسور الزاكي أن هذه الأبهاء يمكن أن يُطلق عليها أبهاء الاحتفالات.

أخيراً يمكن القول إن المعابد الرئيسة في نبتة تشابه معابد طيبة، من حيث التخطيط وما حوته من مباني، وربما احتوت المعابد الأمونية في كل من البركل وصنم أبي دوم وبنوب على حدائق كما هو الحال في معابد طيبة، إلا إن المعبد الوحيد الذي كشف فيه علماء الآثار عن وجود حدائق هومعبد تهارقا في الكوة. يؤكد صدق نتائج هذا الكشف أن تهارقا ذكر ذلك في اللوحة رقم خمسة. وقد ذكرها حرسيوتف في لوحة تتويجه وأيضاً نستاسن. ولعل الاختلاف الواضح بين معابد آمون في كوش ومعابده في طيبة يتمثل في عدم إقامة أسوار حول المعابد في كوش، إذ أن ما وُجد من الأدلة قليل ولا يؤكد أن الملوك الكوشيين اهتموا بها.

## المصادر والمراجع:

(1) أحمد محمد علي الحاكم بمساعدة أ. هربك و ج. فركوتير «حضارة نباتا ومروي»، تاريخ أفريقيا العام، ج2 ، اليونسكو، 1985م

(2) أرمان أدولف ، ديانة مصر القديمة نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكري ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1995م

(3) الأمين عثمان شعيب، مدينة جم أتون «الكوة» التاريخ والحضارة، دار المصورات للنشر، الخرطوم، 2018م.

(4) الحسن أحمد محمد الحسن، 2007م، آثار الملك تهارقو في وادي النيل (690-664ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الخرطوم.

(5) سامية بشير دفع الله، 2005م، تاريخ مملكة كوش، دار الأشقاء للطباعة والنشر، ط1، الخرطوم بحري.

(6) شوقي الجمل، 1969م، تاريخ سودان وادي النيل، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية.

(7) عمر حاج الزاكي، 1983م، الإله آمون في مملكة مروي، مطبوعات كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم.

(8) وليام ي آدمز، 2005م، النوبة رواق إفريقيا، ترجمة محجوب التجاني محمود، مطبعة الفاطيما، مصر.

(9) Budge. W., 1907 : A History of Ethiopia, Vol. 1, London,.

(10) Fontes Historiae Nubiorum. vol. 1. University of Bergen. 1994.

(11) Griffith. E.L. 1922: Oxford Excavation in Nubia. LAAA Vol,9. Liverpool.

(12) Jacquet Gorden, H, and Bonnet. C., 1969 : Pnubs and the Temple of Tabo on the Argo Island. In : JEA.London, 55.

(13) Kendall, T. 2006: "Why Did Taharqo Build his Tomb at Nuri?" An unpublished Paper Presented in the 11th Conference of Nubian Studies, Warsaw.

(14) Macadam. M.F.L., 1955 : The Temples of Kawa, Vol. 2, History and the Archaeology of the Site, Text – Plates, London.

(15) Macadam. M.F.L.. 1949: The Temples of Kawa. vol. I. Inscription. Text and Plats. London.

(16) Maystre. C., 19671968-: "Excavations at Tabo, Argo Island, 1965-1968, Preliminary Report", Kush, Vol. 15,.

(17) Reisner G.A., 1917: "The Barkal Temples in 1916", JEA, Vol. 4. London.

(18) Shinnie, P.L., 1967: Meroe a Civilization of the Sudan, London.

(19) Wenig, S., 1978 : "Africa in Antiquity". vol. 2, Brooklyn Museum, New York.

## المصادر والمراجع:


(1) FHN. Vol. 1. p. 152

(2) Shinnie. P.L., 1967: Meroe a Civilization of the Sudan, London, P. 141.

(3) 3 () أرمان أدولف، ديانة مصر القديمة نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكري، مكتبة مدبولي، القاهرة ، 1995م ، ص468.

(4) Budge. W., 1907: A History of Ethiopia, Vol. 1, London, P.34.

(5) Reisner G.A., 1917: "The Barkal Temples in 1916", JEA, Vol. 4. London, p 219.

(6) Reisner G.A., 1917: "The Barkal Temples in 1916", JEA, Vol. 4. London, p 223.

(7) الحسن أحمد محمد الحسن، آثار الملك تهارقو في وادي النيل (690-664ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الخرطوم، 2007م، ص61.

(8) وليام آدمز، النوبة رواق إفريقيا، ترجمة محجوب التجاني، مطبعة الفاطيما، القاهرة، 2005م ، ص222.

(9) Macadam. M.F.L.,1949: The Temples of Kawa. vol.1. London. P. 4.

(10) op. cit, p. 15.

(11) الأمين عثمان شعيب، مدينة جم أتون «الكوة» التاريخ والحضارة، دار المصورات للنشر، الخرطوم، 2018م، ص15-18

(12) المرجع سابق، ص19.

(13) Macadam. M.F.L.,1949: op. cit.,. P. 13.

(14) Ibid, P. 16.

(15) Macadam. M.F.L., 1955: The Temples of Kawa, Vol. 2, History and the Archaeology of the Site, Text – Plates, London, P .61.

(16) Id, 1949 : P. 1516-.

(17) Wenig, S., 1978 : "Africa in Antiquity". vol. 2, Brooklyn Museum, New York, P. 48.

(18) Macadam, M.F.L., 1955. P. 42.

(19) Id. P. 66.

(20) عمر حاج الزاكي، 1983م، الإله آمون في مملكة مروي، مطبوعات كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، ص18.

(21) الأمين عثمان شعيب، مرجع سابق، ص27

(22) الأمين عثمان شعيب، مرجع سابق، ص29

(23) Macadam, M.F.L., 1955. P. 42.

(24) Shinnie. P.L., op. cit. P.73.

(25) امية بشير دفع الله ، 2005م ، ص200.

(26) وليام آدمز ، 2005م ، ص260

(27) شوقي الجمل، تاريخ سودان وادي النيل، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، 1969م، ص143.

(28) وليام آدمز ، 2005م ، ص261.

(29) Griffith. E.L. 1922: Oxford Excavation in Nubia. LAAA Vol,9. Liverpool. P.83.

(30) Griffith. E.L., 1922: op. cit. P.89.

(31) Griffith. E.L., 1922: op. cit. P.108.

(32) Ip. P.8889-.

(33) عمر حاج الزاكي ، 1983م ، ص20.

(34) Jeremy Pope; 2014: The Double Kingdom Under Taharqo. Studies in the History of Kush and Egypt, c. 690664- BC. Culture and History of the Ancient Near East. Leiden * Boston.p58

(35) Griffith. E.L. 1922: Vol,9. Op. cit.. P.109.

(36) Maystre. C., 19671968- : "Excavations at Tabo, Argo Island, 19651968-, Preliminary Report", Kush, Vol. 15, P. 190.

(37) الحسن أحمد محمد الحسن ، 2007م ، ص57.

(38) Maystre.C., Ibid, P. 196.

(39) Id. P. 197.

(40) Id, P. 199.

(41) 41 () Jacquet Gorden, H, and Bonnet. C., 1969 : Pnubs and the Temple of Tabo on the Argo Island. In : JEA.London, 55. P.105.

(42) 42 ()Macadam. The Temples of of Kawa. History and Archaeology of the Site. Text. vol. 2. 1955. p. 1

(43) 43 ()Maystre, C., 19671968-: "Excavations at Tabo, Argo Island, 19651968-, Preliminary Report" Kush, Vol. 15, P.195.

(44) أحمد محمد علي الحاكم بمساعدة أ. هربك و ج. فركوتير «حضارة نباتا ومروي»، تاريخ أفريقيا العام، ج2 ، اليونسكو، 1985م، ص285

# مراحل تطور فك رموز اللغة المروية

د. صديـق مهدي عبـد الرحمن

أستاذ مشارك- قسم التاريخ - كلية الآداب
جامعة بخت الرضا

**المستخلص :**

هدفت الدراسة الى متابعة المراحل التي مرت بها الدراسات للمحاولة لقراءة اللغة المروية . وتمثلت اهمية هذه الدراسة في وجود محاولات جادة من قبل الباحثين لفك طلاسم هذه اللغة . كما اتبعت الدراسة المنهج التاريخي التحليلي الوصفي بغية الوصول الى نتائج . أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة تتمثل في أن اللغة المروية هي أول لغة محلية مكتوبة تكلمها السودانيون القدماء في منطقة مروي . ويرجع تاريخ أقدم لوحة مكتوبة باللغة المروية إلى القرن الثالث قبل الميلاد عندما بدأ نفوذ اللغة الهيروغليفية المصرية في التقلص والزوال. وتتميز اللغة المروية باستعمال علامات فاصلة بين كل كلمة وأخرى.

**الكلمات المفتاحية:** مروي ، مملكة ، ابيدماك ، الهيروغليفية

## Abstract:

The study aimed to follow up the stages that the studies went through to try to read the Meroitic language. The importance of this study was the presence of serious attempts by researchers to decipher the talismans of this language. The study also followed the historical analytical descriptive method in order to reach the results. The most important findings of the study are that the Meroitic language is the first written local language spoken by the ancient Sudanese in the Meroe region. The oldest written tablet in Meroitic dates back to the third century BC when the influence of the Egyptian hieroglyphs began to diminish and disappear. The Meroitic language is characterized by the use of comma marks between each word and the other.

**Keyword:** Merowi -Kingdom–Abedmak-Hieroglyphic

## مقدمة:

تقع مملكة مروي على ضفة النيل الشرقية على بعد 877 ميلاً من وادي حلفا. وأقدم اسم عرفه الأثريون لمروي القديمة هو (بابوا) ولا نعرف معنى لهذا الاسم حتى الآن.[1] وكانت مروي القديمة مرفأ للسفن وكانت لها حركة نقل نهرية نشيطة كما يظهر من بنائها المشيد من الحجر على مقربة من الشاطئ يقع سور القصر الملكي الذي سكنه ملوك مروي. شمال القصر عمود يتيم قال عنه بعض الأثريين أنه ينتمي إلى عهد تهارقا.[2]

ويعتقد بعض علماء الآثار أن مروي كانت مدينة كبيرة على عهد بعانخي وأنها قد طاولت نبتة أبهة وعظمة في عهد تهارقا.

وينسب المرويون لحاضرة بلادهم ومقر ملكهم مدينة مروي إذ تقع آثار المدينة القديمة بالقرب من مدينة شندي الحالية .

وأول من ذكر مروي بهذا الاسم من الكتاب الكلاسيكيين هو هيرودوت (439ق.م) ضمن كتابه التاريخ.[3]

أما المرويون أنفسهم فقد كانوا يكتبون اسم مدينتهم بطريقة مختلفة عن الطريقة التي نطقها بها الكتاب الكلاسيكيون وورثناها عنهم وقد ورد اسم المدينة مكتوباً باللغة المروية على ثلاث أشكال هي:

1. بدوى : وهذا النقش القديم هو نطق الصحيح للاسم ويكون بكسر الباء والدال وتسكين الياء.
2. مَرَوى: أما الواو فيبدو أنها لابد أن تكون مفتوحة أو مضمومة حتى تتمكن الراء من النطق .
3. مروى:

وقد ظل موقع المدينة مروى التي أشار إليها الكتاب الكلاسيكيون مجهولاً حتى مطلع القرن العشرين.[4]

## وأيضاً تكونت المدينة من ثلاثة أجزاء هي:

- المدينة الملكية:
- تقع الى الغرب من معبد آمون طولها حوالي 300متر وعرضها 150 متر

سورها شيد من الحجر يحتوي على عدد كبير من المباني المشيدة من الطوب الطيني المجفف بالشمس.

- وتقع في منتصف المدينة الملكية قصران كبيران، وهنالك مباني أخرى يعتقد أنها عبارة عن مخازن، وكذلك قصران للقائمين نجد منه القصور الملكية.[5]

وقد ظهرت الحفريات التي قامت في المدينة الملكية أن مبانيها تمثل ثلاث حقب متعاقبة يعود أصلها للقرن السابع أو الثامن قبل الميلاد والتي تميزت بتأثيرات الحضارة الفرعونية ولكن نجد أن تأثير الحضارة الإغريقية هو المسيطر.[6]

## الحمام الروماني :

هذا المبنى تبرز فيه التكييف القوي لهندسة الحمامات الرومانية حتى تتناسب مع تقاليد المروية الموروثة. وكان يستعمل كحوض سباحة خاص بواسطة الأسرة المالكة.[7]

ويتكون الحمام من حوض وهو حفر على الأرض وبني بواسطة الطوب المحروق ، أما الحائط الداخلي فقد غطي بطبقة من الجبس وهنالك تماثيل حول أطواف الحمام بألوان مختلفة.[8]

## معبد أمون الكبير :

بالقرب من السور الكبير الذي يحيط بالمدينة الملكية هنالك سور أخر أصغر منه يحيط بمعبد أمون الذي يعتبر الند الجنوبي لمعبد آمون الكبير المقام على جبل الكبر ، والذي بقاربه من حيث الحجم والمساحة ويبلغ الأربعمائة متر في الطول والمعبد مبني من الطوب المجفف بالشمس (الأخضر). ما عدا الواجهة هي مبنية من الطوب (الأحمر) والأعمدة والبوابات هي مبنية من الطوب (الأحمر) والأعمدة والبواباتوالمدخل فقد صممت من الحجر الرملي.[9]

ويتكون المعبد من صالة خارجية تحيط بها الأعمدة وقد سميت بصالة الأعمدة وأما وظيفتها في المعبد فهي غير معروفة بعد وقد بني هذا المعبد في القرن الأول الميلادي.[10]

معبد الاله آمون بمروي- الباحث

## (3-2) مملكة مروي :

نشأة مروي منذ أزمان العصر الحجري الحديث لأن المدينة نشأت في القرن الثامن قبل الميلاد لما تشير الموضوعات الفخارية المكتشفة من مدافن القوم المعاصرين لملك بيا والذين يتم دفنهم وفق التقاليد الكوشية على عنقريب لا في تابوت ويبدو أنه بأزمان سابقة الى انتقال العاصمة عاش هنالك أفراد الأسرة المالكة. وكانت المدينة في زمان هيرودوت مدينة كبيرة ويرى بعض الباحثين أن الآثار الخاصة بالملك أسبلتا التي عثر عليها في المدينة قد تشير الى انتقال العاصمة إليها قد تم في عهده . ولكن يبدو لنا في الوقت الراهن الابتعاد عن محاولة تحديد دقيق للانتقال العاصمة من نتبه الى مروي تم ذلك في تاريخ ما من النصف الثاني للقرن السادس قبل الميلاد.[11] وقد ذكرت قبل ذلك بأن اسم مروي جاء في ضمن كتاب التاريخ لهيرودوت 439ق.م ولم يصل هيرودوت مروي غير أنه وصل أسوان نقل إليها معلومات عن بلاد المرويين من هنالك ضمن ما أورده وصف الطريق إليها أطماع الفرس فيها عاصمة الأثيوبيين (السود) وفي المصادر المحلية جاء أول ذكر لمروي في لوحة للملك آمون توتي عام (435-417ق.م).[12] وقد أطلق اسم العاصمة على الدولة من قبل المؤرخين المحدثين خاصة إنما هو لغرض التبسط والدراسة وتحديد فترة تاريخية بعينها وفي حقيقة الأمر إن تلك الدولة التي قامت في شمال السودان منذ سقوط الدولة الوسطى المصرية، ثم دخلت في زمرة الدولة المصرية زمن الدولة الحديثة ، وبعدها ظهرت على مسرح الأحداث العالمية متخذة نبتة عاصمة لها ، وتلي ذلك نقل العاصمة الى مروي، إنما كانت دائماً تسمى في وثائق ذلك العهد كوش (كوس، كاس ، كش ، كاسي) وأخيراً في المصادر النوبية القديمة حيث سميت كوش باسم (كاس).[13]

وتدل الشواهد على أن مدينة مروي كانت مأهولة بالسكان منذ مطلع تاريخ مملكة نبتة ، وبما في ذلك المدينة والجبانة الملكية. وهنالك من يقول من المؤرخين بأن إقامة فرع من الأسرة الملكية في مدينة مروي كان يتبع الحكومة المركزية في نبته منذ بداية ظهور البيت الحاكم في نبته.[14] ويبدو أن دولة كوش قد امتدت في مساحات شاسعة . شمالاً حتى معبد (في النبوة السفلى) أيضاً

امتدت حتى النيل الأبيض قد يشير على أنها امتدت حتى النيل الأبيض. قد يشير على أنها امتدت الى ما بعد سنار ومدينة كوستي حتى إقليم أعالي النيل. ولقد شهدت في هذه الفترة ظهور العناصر الثقافية المحلية مع وجود القليل من عناصر الثقافة المصرية والتي بقيت حتى نهاية الدول وبعض الآلهة المصرية وبعض الكتابات الهيروغليفية.[15] وأن الإرث المادي لهذه الفترة المروية تبلو في مواقعهم الأثرية التي اكتشفت على طول نهر النيل من جنوب أسوان حتى جنوب الخرطوم نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر لمواقع (صاي، وأمير عبد الله، ومنطقة الشلال الثالث وكرمة، وخطيرة مروي والنقعة ، المصورات، وود بانقا، جبل موية وتمثل هذا الإرث فيما أظهرته مبانيهم من لوحات رائعة وعناصر معمارية فريدة في المعابد والاهرامات والقصور والأثاث الجنائزي الذي يعكس التطور الرائع للفنون والصناعة متمثلاً في الفخار- وأدوات الزينة الذهبية وخلافها، والمثايل والتمائم والنقوش البارزة والرسوم الجدارية.

نشير الى أن علاقات دولة كوش الخارجية خلفت بصماتها في بعض التأثيرات في النتائج الحضاري الفني في عهديها نبتة – مروي في بعض العناصر المعمارية في بعض المواقع الأثرية مثلاً في (نبتة ومعبد آمون، والنقعة : الكشك الروماني، وفي المصورات الصفراء، وفي العاصمة مروي الحمام المروي (الروماني) والتأثرات الرومانية في تماثيله ، والصناعات الزجاجية بصادنقا.[17]

إن الدلائل الاثرية والتراثية تؤكد أن علاقات دولة كوش في العهد المروي مع جيرانه كانت مزدهرة ومتواصلة مثلاً مع جيرانها في الشرق ( الهضبة الأثيوبية)- وربما كانت مروي مركز الشعاع الحضاري وصناعي لقلب أفريقيا السوداء وغيرها ولقد كان لدولة كوش في العهد المروي دور حضاري وسياسي بارز مع جيرانها من الدول والممالك أفريقية. وتصيب علاقتها الودية والدبلوماسية فترات تأزم وحروب على الحدود ويبدو أن العلاقات والحركة التجارية السليمة كانت منتعشة وأحياناً أخرى متوترة. كما كان الحال في عهد الرومان في مصر.[18] وفي أواخر القرن الرابع الميلادي شهدت مملكة مروي ضعفاً اقتصادياً وأمنياً وإدارياً مما أثر على تماسك دولة مروي بالرغم من أن نهاية الدولة الكوشية في العهد المروي. وفي

نفس الطريق الذي نلجأ إليه للبحث عن مصادر تاريخ الحضارة المروية كان من الضروري البحث عنها من خلال المصادر المروية نفسها وذلك بسبب ندرة أعمال الكشف عن التراث السوداني نسعى الى التراث الحضاري للدولة المجاورة لمملكة مروي والتي كانت لها علاقات معها لمعرفة شيء مؤكد عن الأيام الأخيرة لأصحاب الحضارة المروي.[19]

معبد الاسد – النقعة – مكتبة المتحف القومى

وقد لفت انتباه المؤرخين لتاريخ السودان القديم لوح الملك (عيزانا) ملك مملكة أكسوم في الحبشة – والنص مكتوب بالإثيوبية القديمة ويوجد فيه معلومات قيمة تشير الى تلك الأيام الأخيرة من عمر الحضارة المروية.

فالملك عيزانا ملك أكسوم يدعي سيطرته في شبه الجزيرة العربية في سبأ وحمير ومنطقة البجا وهي المنطقة التي تقع في الصحراء الى الشمال الغربي من أكسوم بالإضافة الى سيطرته على كوش أي مملكة مروي ويمكن القول أن حملة عيزانا على مناطق الحضارة المروية وقعت حوالي عام 325م والجدير بالذكر أن هذه هي المرة الأخيرة التي يذكر فيها اسم كوش .(أي مملكة مروي في الوثائق التاريخية لذلك العصر).[20]

إن وجود مملكة مروي واستمراريتها تؤكد على أنها كغيرها من الأمم القديمة استند على مصدرين أساسين هما الآثار والنقوش التي تركتها الأمة نفسها. أما بالنسبة للمرويين تعتبر مدافن الملوك (أهم الآثار المميزة مثل بقايا معابد الإله آمون في البركل والكوة ومروي وبقايا معابد الإله أبيدماك في مروي والنقعة والمصورات وغيرها . وهذه أيضاً وجدت بها نقوش وتصاوير أضافت الى مروي قيمتها المعمارية وأخرى تاريخية وفنية.[21] وكل هذه الآثار والنقوش كانت مؤشرات على حيوية ملوك مروي وقيامهم بواجباتهم حسب مفاهيم العصر الذي عاشوا فيه وامتدت لأكثر من ألف سنة على دفن رفات ملوكها في غرف مقطوعة من الصخر يعلو أهرامات ومعابد الجنائزية. لذلك فإن توقف بناء هذه المدافن أصبح دليلاً على نهاية المملكة.

الاله ابيدماك- عن زابكر

## اللغة المروية:

اللغة المروية هي أول لغة محلية مكتوبة تكلمها السودانيون القدماء في منطقة مروي وأيضاً هي أول لغة سودانية مكتوبة يعرفها السودان ، ونعلم بأن اللغة المكتوبة ذات الأصول والقواعد دلالة على مستوى التطور .. الحضاري ومؤشر للمستوى الراقي الذي بلغه المجتمع من التطور.[22]

ويرجع تاريخ أقدم لوحة مكتوبة باللغة المروية إلى القرن الثالث قبل الميلاد عندما بدأ نفوذ الهيروغليفية المصرية في التقلص والزوال.

وقد تكلمها النبتيون كلغة تخاطب لكن المرويين اخترعوا نظامها لكتابتها. وبدأ بعض المفكرين في السودان بتسجيل لغتهم بالأحرف الهيروغليفية . ثم جاء بعد ذلك وقت زالت فيه صور الأحرف الهيروغليفية ودونت مكانها أحرفاً سودانية مبتكرة متطورة مع زمانها فلم تعد الكتابة السودانية تأخذ أحرفاً مصورة لترجمة أصواتها إنما صار لكل حرف رمز يميز صوته.[23]

والدليل على قدم اللغة المروية نجده في أسماء النبتيينمثلاً (اسم الملك كاشتا) حيث أنه يتكون من عناصر ومكونات لها معاني في اللغة المروية بالرغم من مجاورتها للغة الحبشية وهي لغة سامية ومجاورتها للغة المصرية وهي لغة فيها أثر سامي واضح . وتعتبر اللغة المروية لغة أفريقية بعيدة كل البعد عن الأثر السامي. والأدلة على أفريقية اللغة المروية كثيرة منها :

1. نجدفيهاالسماتالساميةالمعروفةمثلالتأنيثبالتاء،الإفرادوالتثنيةوالجمع.
2. احتوائها على صفات وخصائص لا توجد في اللغات السامية مثل :

- غياب أصوات سامية أساسية مثل تؤنث بإضافة التاء.
- لا يوجد في اللغة المروية أسماء مؤنثة بطبيعتها كما هو الحال في اللغات السامية.
- نجد في ترتيب الجملة الفعلية في اللغة المروية يخالف الترتيب المعروف في اللغات السامية.

وتدل الأبحاث الجارية حول اللغة المروية بأنها متطورة والفرق واضح بينها وبين اللغة الهيروغليفية .. اللغة المروية لا تستعمل الرسومات في أخر

الكلمات للدلالة على الكلمة أو المعنى كما هو الحال بالنسبة للغة الهيروغليفية .. واللغة المروية تستعمل حوالي ستة عشرين حرفاً وهي حروف مشكله , وتتميز باستعمال علامات فاصلة بين كل كلمة وأخرى وكلها سمات لم تكمن موجودة في اللغة الهيروغليفية.[24]

إن كل ما ذكرنا عن اللغة المروية يجب أن لا يذهب بذهن القارئ للاعتقاد بأننا نفهم قواعد اللغة المروية بل للأسف فإن الأبحاث لم تحقق هذا الهدف بعد بالرغم من مرور أكثر من تسعين عاماً منذ أن تمكن قريفث من فك رموز اللغة المروية والذي نعني به توصلهإلى معرفة القيمة الصوتية للحروف بحيث يستطيع المرء قراءة النص ولكن من غير أن يفهم معناه .[25]

أما تاريخ ظهور الكتابة المروية لا يعرف بالتحديد متى كتبت اللغة المروية لأول مرة . أقدم نموذج مكتوبة بالخط المروي الهيروغلوفي هو اسم الملكة شنكدختو(170-150ق.م) ويلاحظ عليه أن الرموز فيه هي نفس الرموز التي وجدت في الكتابة المروية في تاريخها .. معنى ذلك أنه في زمن كتابه اسم الملكة شنكدختو كانت الكتابة المروية قد ترسخت أقدامها . واتخذت شكلها الكامل .[26]

أما أقدم نقش مكتوب بالمروية فهو نقش الملك تأنيد أماني الذي ربما حكم حوالي سنة 100ق.م وهو نقش طويل جداً يتكون من 160 سطراً.

**طبيعة الكتابة المروية :**

يعتبر المرويين ثاني أمه في أفريقيا بعد المصريين تتمكن من اختراع نظام لكتابة لغتها ، وقد كتبت اللغة المروية بكتابة تكاد تكون أبجدية مطلقة . وقد استخدم المرويين نمطين الأول تصويري ويعرف بالمروي الهيروغليفي وهو مقتبس من الخط المصري الهيروغليفي. والثاني عبارة عن رموز مبسطة ويعرف بالمروي المختزل . وهو ينحدر من الكتابيتين المصريتين الهيراطيقية المتأخرة والديموطيقية المبكرة.

الكتابة المروية تكتب أفقياً من اليمين إلى الشمال أو العكس كما يشاء الكاتب. وفي الحالتين توجه العلامات نحو نهاية السطر كما بالإمكان كتابتها عموديا.

مع تقدم المعرفة في دراسة اللغات الأفريقية برزت في ذات الوقت نظرية تقول بأن اللغة المروية تنتمي لمجموعة اللغات السودانية الشرقية هذه المجموعة تضم اللغة النوبية والعديد من اللغات النيلية وقد سار في هذا الاتجاه كثير من الباحثين المعاصرين على رأسهم الأستاذ عبد القادر محمود يدعو الباحثين لمعرفة المزيد من اللغة المروية قبل الشروع في تحديد سلالتها كما يدعو كذلك للتعرف على اللغات الأفريقية المعاصرة قبل البدء في مقارنتها باللغة المروية.[27]

## فك رموز اللغة المروية:

أما قصة فك رموز اللغة المروية : الدور الحاسم في فك رموز اللغة المروية قام به الأستاذ قريفث لكن هنالك عالمان كانت لهما اجتهادات مقدرة واستطاعا أن يحققا بعض النجاحات وهما بروفتشوايرمان.

واستعمل بروفيش نقوشاً من المروية الهيروغلوفية فقط واستطاع أن يصل الى معرفة القيمة الصوتية لاثني عشر رمزاً من رموز اللغة المروية الثلاثة والعشرين.

أما أيرمان لم يستخدم نماذج من المروية ولم يوفق لمعرفة الاتجاه الصحيح لرموز الكتابة المروية.[28]

## نماذج للكتابة المروية عن عمر حاج الزاكي:

| الرقم المتسلسل | الرمز | | القيمة الصوتية | |
|---|---|---|---|---|
| | المختزل | الهيروغليفي | العربية | اللاتينية |
| ١ | 𐦀 | 𓄿 | ا | a |
| ٢ | 𐦁 | 𓇋 | كسرة | e |
| ٣ | 𐦂 | 𓅱 | واو مدّ | o |
| ٤ | 𐦃 | 𓇌 | ياء مدّ | i |
| ٥ | 𐦄 | 𓏏 | ي : الحرف الساكن | y |
| ٦ | 𐦅 | 𓅱 | و : الحرف الساكن | w |
| ٧ | 𐦆 | 𓃀 | ب | b |

أما قريفث نجده على عكس بروفيشوايرمان قد اهتم في البداية بالكتابة المروية واستعان على فك رموزها الكتابتين الهيراطبقيةوالديموطيفية ومن مادة معينة هي مجموعة نقوش جمعت من مواقع النوبة السفلى.

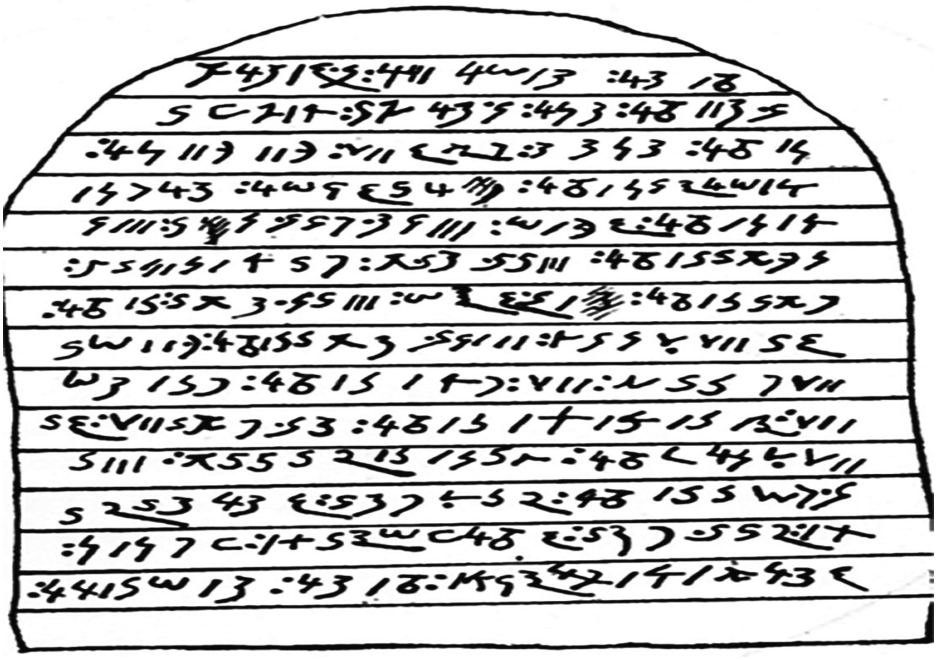

وقد نجح قريفث في فك شفرة الكتابة المروية وقام قريفث بنشر أساسيتها في مؤلف بعنوان المخطوطات المروية مستخلصاً ما توصل إليه من موقع بالنوبة . تم العثور فيه على الكثير من المخطوطات المروية لقد استطع فهم بعض الكلمات. خاصة في النصوص الجنائزية لكن لم يستطيع فهم النصوص لأن اللغة كانت مجهولة وليست لها صلة واضحة ومؤكدة بأي لغة أو لهجة معروفة دون التمكن من الوصول إلى فهم حقيقي للنصوص.

بذا نستطيع القول بأن المروية يمكن أن تقرأ لكن لا يمكن ترجمتها بعد.[29]

إن هذا الوضع ليس فريداً في تاريخ فك رموز النصوص القديمة ففهم اللغة وكتابتها ليس أمرين مترادفين وهناك ثلاثة أمثلة :

- لغة وكتابة مجهولتان.
- كتابة مجهولة لكن لغتها معلومة.
- كتابة معلومة لكن اللغة مجهولة.

وفي الحالة الأولى اللغة والكتابة مجهولتان وهو ما ينطبق على مخطوطات وادي الهندوس التي تعود للألفية الثالثة قبل الميلاد. وفي الحالة الثانية الكتابة مجهولة ولكن اللغة معلومة وذلك كان بمثابة مفتاح ساعد في فك رموز هذه الكتابة لكن بقيت مشكلة اللغة ولكنها كانت معروفة نوعاً ما.

هنالك الحالة الثالثة تكون فيها الكتابة معروفة لكن اللغة تكون مجهولة هذه الحالة صعبة لعدم وجود نصوص أكثر تشفيراً من تلك النصوص المكتوبة بلغة مجهولة.[30] وقد أطلق الباحثون والمؤرخون على اللغة المروية بأشكالها الجديدة المختزلة من لغتهم الهيروغليفية القديمة ترجمة نوبية لبعض المقتطفات عن لغة المرويين تمثلت في بعض القطع. هي ألقاب وأسماء ملوك وكهنة وملوك الحقبة المروية.والتي وجدنا جزء الأكبر منها من كتاب النقوش المروية لـ قريفيث. وفي تقرير بروفسور عبد القادر محمود عبد الله أن اللغة المروية مسماه مروية تجاوزاً، وإنما هي اللغة السودانية القديمة التي كان يتخاطب بها الناس منذ الفترة النبتية، وربما كانت اللغة المروية هي لغة السودانيين أصحاب حضارة مملكة كوش.[31] وقد وجدت أسماء منقوشة على قاعدة مركب مقدس في ود بانقا وساعدته هذه الأسماء في حل رموز هذه اللغة ووجد المفتاح لكتابة حروفها بالأحرف الانجليزية في عام 1909م.

خلفت مجموعة من ملوك القرنين الأول والثاني الميلاديين نقوشاً تذكارية في معابد نبتة ومروي وكانت جميعها باللغة المروية. كانت أعظم هذه النقوش على الإطلاق هي اللوحة العظمى «الكبرى» للملكة أماني ريناس وأبنها أكنداد الذي كان رفيقها في العرش. وجدت هذه اللوحة في أحد معابد مروي.[32]

أما في مجالات الكتابة المروية فقد عثر على مئات النقوش ومعظم الكتابات التي وجدت كانت منقوشة على الحجارة. وعثر على القليل من الكتابات المروية المحفوظة على ورقة البردي. وأيضاً من المواضيع التي تناولتها تلك الكتابات تنقسم الى فئتين رئيسيتين هما (دينية ودنيوية)

النوع الأول: الدينية وهو الغالب فقد وجه على موائد القربان واللوحات الجنائزية وعلى جدران المعابد والمقصورات وعلى مداخل القبور.

أما النوع الثاني: من الكتابات المروية وهي الكتابات الدنيوية: فتشمل كل ما يتعلق بسيرة الملوك والأفراد والمعاملات.[33]

لقد حظيت الكتابات المروية القديمة باهتمام الباحثين شأنها في ذلك شأن آثار الأقدمين ولوجودها في ضمن تلك الآثار.

أما النقوش الطويلة للملوك التي ربما كانت تحفل بالمعلومات التاريخية فهي تبقى في الوقت الحالي غامضة . وبوصفها لغة مكتوبة بقيت اللغة المروية حية بعد نهاية الدولة. وأكثر الكتابات التاريخية حداثة هو نقش لأحد الملوك النوبيين في الحقبة بعد المروية حوالي القرن الرابع والخامس الميلادي. وقد استخدمت ثلاث علامات من الكتابة المروية في النقل الذي قام به الإغريق من اللغة النوبية القديمة.[34]

تميزت كتابة اللغة المروية سواء أكان ذلك بالهيروغليفية أو الخط المختزل بمزايا عديدة أوجزها بروفيسور عبد القادر محمود في النقاط التالية:-

أولاً: إن اللغة المروية كتبت بحروف هجائية مطلقاً، ويعد هذا أول اختلاف بينها وبين اللغة المصرية.

ثانياً: إن الكتابة المروية الهيروغليفية مكتوبة هجائياً فقط الهيروغلوفية (الهيراطبقية) التي تشترك في كتابتها الحروف الهجائية.

ثالثاً: إن الكتابة المروية الهيروغليفية متأثرة بالمصرية الهيروغليفية في إدخالها في حروفها الهجائية حروفاً مصرية ورموزاً من خارج الحروف الهجائية المصرية.

رابعاً: تحالف الكتابة المروية والكتابة المصرية في استغنائها عن الرموز المتعددة (ثنائية وثلاثية) الأصوات من خارج حروفها الهجائية.[35]

خامساً: إن اتجاه كتابة اللغة المروية الهيروغليفية وقراءتها يغاير كتابة اللغة المصرية الهيروغليفية وقراءتها، وذلك لأنه يبدأ في اللغة المروية من مؤخرة الرسومات ويسير في عكس اتجاها . أما اتجاه كتابة اللغة المروية المختزلة وقراءتها فإنه يتجه باتجاه كتابة الديموطيقية ، فهي كالأخيرة تكتب وتقرأ من اليمين لليسار.

سادساً: إن اللغة المروية الهيروغليفية استغنت عن تخصيص ومعين المعنى المعروف في المصرية الهيروغليفيةالهيراطيقية.

سابعاً: إن الكتابة المروية المختزلة أما هي منحدرة أصلاً عن الديموطيقية (المصرية) رأساً أو ملتقية معها في أصل هيراطيقي متقدم أو متأخر عهداً.

أخيراً لابد من القول إن اللغة المروية تعد واحدة من أهم عناصر الحضارة المحلية هذا على الرغم من وجود الأثر الواضح للغة المصرية.

وإن أهل كوش حافظوا على لغتهم حتى في أيام المملكة المصرية الحديثة على الرغم من اصطباغ بلاد النوبة بالصفة المصرية في مجالات شتى.[36]

وهناك لابد من تقرير حقيقة هامة وهي أن اللغة المروية التي تأثرت باللغة المصرية واقتبست منها جاءت نتاج إدراك لطبية الكتابة المصرية الهيروغليفيةوالهيراطبقيةوالديموطبقية والاستفادة منها بصورة تدل على وعي وإدراك تأمين لذلك فإنه على الرغم من تأثير الكتابة المصرية القوي واعتماد المرويين عليها إلا أنهم خرجوا بنتاج مميز وجيدة ، تمثلت في أن اللغة المروية التي لها خصائص أفريقية وصفات مغايرة للغة المصرية التي كانت تنتمي للغات السامية.

لابد هنا أن نشير أن اللغة المروية قد استخدمت في كتابة اللوحات الملكية والتي كتبت بانتظام حيث كانت السطور بعضها فوق بعض وكانت كاللغة العربية تبدأ من اليمين لتنتهي في اليسار. ولم تقتصر استعمالها على هذه اللوحات بل استخدمت في زخرفة وتزيين الأواني المنزلية وغيرها.[37]

كـما أن اللغـة المرويـة هـي أول لغـة محليـة مكتوبـة تكلمهـا السـودانيون القدمـاء في منطقـة مـروي . ويرجـع تاريـخ أقـدم لوحـة مكتوبـة باللغـة المرويـة إلى القـرن الثالـث قبـل الميـلاد عندمـا بـدأ نفـوذ اللغـة الهيروغليفيـة المصريـة في التقلـص والـزوال. وتتميـز اللغـة المرويـة باسـتعمال علامـات فاصلـة بـين كل كلمـة وأخـرى.

## المصادر والمراجع:

(1)شعبة التاريخ قسم المناهج والكتب- تاريخ الحضارات السودانية القديمة للمعلمين ، ط/ الأولى -1970 دار التحرير للطبع والنشر ، .،ص126.
(2)عمر حاج الزاكي – مروي التاريخ والحضارة ، الناشر ، وحدة تنفيذ السدود ، ط/ الأولى ، 2006م/ الطباعة: مطابع الصالحات،ص20.
(3)عبدالقادر محمود عبدالله – السودان منذ القدم – الجزء الاول – اللغة المروية – الرياض – جامعة الملك سعود – 1986م . ، ص666.
(4)عمر حاج الزاكي- مرجع سابق ، ص26.
(5)خضر أدم عيسى – السودان القديم وتاريخه وثقافته وحضارة رقم الإيداع -589 ط/2008م-ص11.
(6)صلاح عمر الصادق – المرشد لآثار مملكة مروي- مكتبة الشريف ، دمشق- ط2002م،ص10.
(7)صلاح عمر الصادق، حقوق الإنسان في الموروث الثقافي السوداني ، مركز الدراسات السودانية- القاهرة – بت-ص15.
(8)نفسه ، ص16.
(9)كارل هازا بريشة – ذهب مروي- ترجمة صلاح عمر الصادق ، دار عزة للنشر والتوزيع – القاهرة-ط/2005/ص34.
(10)أمل سليمان بادي- الرمزية في فن الحضارة المروية- رسالة ماجستير لم تنشر، جامعة الخرطوم، 1999م،ص96.
(11)أركاماني- مجلة الآثار والأنثروبولوجيا السودانية- العدد الأول ، أغسطس 2001م-ص5.
(12)عمر حاج الزاكي – مرجع سابق –ص27.
(13)حسن سليمان محمود ، تاريخ السودان في العصور القديمة / المكتبة المصرية، 1920م ، ص135..
(14)حضر أدم عيسى- تاريخ المدينات القديمة ، ط/ الأولى 2013م،ص49.
(15)خضر أدم عيسى – مرجع سابق،2013م ص50.
(16)عبد الحليم نور الدين – أستاذ اللغة المصرية القديمة بكلية الآثار ، جامعة القاهرة- مستشار مكتبة الاسكندرية ، إعداد الباحث / مهاب درويش – مكتبة الاسكندرية.

(17)سامية بشير دفع الله (2005م- مرجع سابق-ص206).
(18)مبارك بابكر الريح- الحضارة السودانية- الخرطوم1978،ص34.
(19)امية بشير دفع الله – تاريخ مملكة كوش(نبتة ومروي) ، الطبعة الأولى ،2005م،ص377.
(20)مبارك أبو بكر الريح – مرجع سابق ، ص34 .
(21)سامية بشير دفع الله _ مرجع سابق ، ص378.
(22)محمد إبراهيم بكر – تاريخ السودان القديم – جامعة القاهرة ، المطبعة الفنية الحديثة 1968م، ص22.
(23)نفسه ، ص88 .
(24)سامية بشير دفع الله – مرجع سابق ، ص380.
(25)كلودربي- كرمة ومروي خمسة محاضرات عن الآثار في السودان، الترجمة من الفرنسية: إيمان خبير ساتي ، ص27 .
(26)كلودريي- مرجع سابق،ص30.
(27)عبد القادر محمود عبد الله – مجلة كلية الآداب العدد الأول ، ص121.
(28)محمد عوض الله حمزة (كنز) – لغة الأسماء في إقليم كريمة/كرمة اللغة النوبية المروية- الكتاب الثاني، الخرطوم2000م،ص7،5.
(29)محمد عوض الله حمزة (كنز) –المرجع نفسه ،ص9.
(30)عمر حاج الزاكي – مروي التاريخ والحضارة ،ط/الأولى،2006م ، الطباعة: مطابع الصالحات الناشر : وحدة تنفيذ السدود.
(31)سليم حسن (مصر القديمة) الجزء الحادي عشر ، مطبعة جامعة القاهرة 1956م،ص88.
(32)صديق مهدي عبد الرحمن- الإله المحلية في كوش ابيدماك نموذجا- رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الزعيم الأزهري2014م،ص94.
(33)سليم حسن – مرجع سابق – ص 89
(34)حسن سليمان محمود- مرجع سابق – ص 136
(35)صديق مهدي عبد الرحمن ، مرجع سابق، ص95.
(36)كلودريي- مرجع سابق،ص31.
(37)صديق مهدي عبد الرحمن - مرجع سابق ، ص195.

# منطقة الحلاوين في ظل الدولة السنَّارية (1504-1821م)

د.محمـد الفـاتح حياتـي
قسم الآثار-جامعة الخرطوم

**مستخلص:**

من المعلوم لدينا أن منطقة الجزيرة كانت خاضعة لحكم الفونج أيام ازدهار دولتهم، فقد كانت منطقة الحلاوين جزءً من هذا الحيِّز الجغرافي. تتحدث هذه الورقة عن الوضع الذي كان يعيشه السكان في منطقة الحلاوين إبان حكم السلطنة الزرقاء، وطبيعة العلاقة بين الحاكم في سنَّار، والرعية في منطقة الحلاوين، وهل كانت هنالك مساهمات لإنسان منطقة الحلاوين خلال تلك الفترة، وإذا ما وُجدت فما هي طبيعتها؟ كما تتناول هذه الورقة بعض الشخصيات التي ربما أثرت الحركة الدينية والفكرية في منطقة الجزيرة، وكانوا جزءً من الكيان الاجتماعي لمنطقة الحلاوين. اعتمدت الورقة على ما وُجد من معلومات ضئيلة عن المنطقة في بعض المصادر التي تناولت تاريخ الدولة السنَّارية. كما اعتمدت على التحليل والاستنتاج اللذين يتكئان على الأخبار القليلة عن المنطقة وإنسانها إبان عصر الفونج. تم التوصُّل من خلال التحليل والاستنتاج إلى ما لا يدع مجالاً للشك بأن هذه المنطقة كانت كفيلة بأن تكون رافداً ثقافياً واقتصاديا لمنطقة الجزيرة، ولحكومة المركز في سنَّار. لكن لا بد من القيام بأبحاث جديدة حتى نتوصل إلى معلومات أكثر وأوثق عن هذه المنطقة.

**كلمات مفتاحية:** منطقة الحلاوين، دولة سنَّار، أربجي،ود ضيف الله، الفقيه رحمة الحلاوي، الفقهاء والصوفية.

**Abstract:**

It iswell known that theFung has ruled the area of the Gezira during theflourishing of their state, because of the Halaween region's locationwithin the Fung state geographical and culturalcontext. This paper is trying totalk about the situation of the community in Halaween area during the rule ofFung Kingdom, and the nature of the relationship between the ruler in Sennar and the citizensin Halaween area, with attempting to understand the Halaween'scontributionduring that period;what wasits nature. This paper also discusses some personalities that may have influenced the religious and intellectual movement in the area of the Gezira, and they were a part of the social entity of the Halaween region. As well, the paper based on alittle information about the area found in some of the references that involved the history of Fung kingdom.It is also relied on the analysis and the inference, whichbased on scanty news for the region and the people during the Fung era. It was resulted through the analysis and conclusion to doubtless that this area was bound to be cultural and economic tributary to the area of the Gezira, and to the central government in Sennar, but it is necessary to undertake new research in order to reachmore and strongerinformation about this area.

## تمهيد:

إن السودان بجغرافيته وتاريخه ذاخر بالإرث الثقافي، والمكتسبات الفكرية، بل إنه يتمتع بأبعاد روحية متنوعة أثرت الوجدان السوداني خلال مسيرة زمنية ليس من السهل أن نحصرها في تاريخ معين-دقيق، إذ إنها قديمة قِدم فترة ما قبل التاريخ في السودان، ونحن نفتأ نطالعها في حياتنا اليومية متجسدة في التراث المادي والروحي للإنسان.

ومع التوثيق الذي حظيت به بعض جوانب تاريخ بلادنا؛ إلا إن هنالك بعضاً من هذه الجوانب قد تركت غُفلاً، وطويت داخل جزء كبير من ذاكرة الشعب السوداني، ولم يحفظها إلا نذرٌ يسيرٌ من الناس، سيما أصحاب الاختصاص أو أصحاب الصلة الروحية أو العرقية بالشخص المعني أو الحدث المعني أو المنطقة المعنية. ولذلك؛ فقد كان من الضروري أن يتم تناول تاريخ منطقة الحلاوين خلال عصر الفونج، سيما وأن هذه المنطقة تعد امتداداً طبيعياً للنفوذ الجغرافي لحكم الفونج.

## مشكلة الدراسة:

في إطار مشروع سنَّار عاصمة الثقافة الإسلامية للعام 2017م تم تناول كل مناطق الفضاء السنَّاري والتي تضم كل الأراضي التي كانت واقعة تحت حكم الفونج، إضافة إلى الجهات التي تقع ضمن حدود الفضاء السنَّاري وما يربطها به من علائق ثقافية-اجتماعية واقتصادية وسياسية ودينية. ولذلك؛ تركِّز هذه الصفحات على الأثر الذي اضطلعت به منطقة الحلاوين إبان حكم الفونج، كما تحاول فهم طبيعة العلاقة بينهما. إضافة إلى ذلك؛ ينبغي التعرف إلى المجتمع الذي عايش ذلك العصر في هذه المنطقة.

## أهمية الدراسة:

إن المناطق التي تقع إلى الجنوب من ولاية الخرطوم لم تجد حظاً وافراً من الدراسات التاريخية والآثاريةوالإثنوغرافية، ما خلق شُحاً معرفياًيهدي إلى استقصاء هذه المناطق عن كثب. ولذلك تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تحاول جاهدة

سبر أغوار هذه المنطقة خلال عصر الفونج، خاصة وأن معظم المصادر على قلتها قد سكتت عنها، وهذا ما يحتم البحث عن كنه الحراك الثقافي الذي لازم تلك الفترة في هذه المنطقة من وجهة نظر آثارية وتاريخية.

## أهداف الدراسة:

تمت كتابة هذه الورقة بناءً على عدد من الأهداف التي تتجسد فيما يلي:

1. معرفة المكونات الثقافية والاجتماعية التي شكلت المنطقة إبَّان عصر الدولة السنَّارية، خاصة وأن المنطقة قد سُكنت من قِبل المجموعات العربية المهاجرة.
2. التعرف إلى طبيعة العلاقة بين سكان المنطقة بكافة أطيافهم ومركز السُلطة فيسنَّار، إذ إن المنطقة تقعضمن النفوذ السياسي والإداري لدولة سنَّار.
3. الاطلاع على الوجود الأثري الذي عاصر فترة الفونج في هذه المنطقة، إضافة إلى توثيق التراث الشفاهي الذي يحفظه المواطنون عن تلك الفترة.
4. التوثيق للشخصيات ورموز المجتمع التي شهدت تلك الفترة، وبخاصة تلك الشخصيات التي لم يتم التوثيق لها من قبل.
5. البحث في المهام والآثار التي قامت بها المنطقة وإنسانها فيما يخدم مصالح الحاكم في سنَّار إن وُجِد ذلك.

## منهج الدراسة:

خلال هذه الدراسة تم اتباع المنهج الوصفي التحليلي الذي اعتمد على المسح الميداني الذي جُمع من خلاله كمٌ من المعلومات التي لم تدونها المصادر المتنوعة، فقد تم سرد الوقائع التاريخية التي توثق لهذه المنطقة، وهي مرتكزة على ما تم نقله من المصادر، إضافة إلى المسح الآثاري الذي تم من خلاله تصوير بعض المواقع الأثرية، ثم الاعتماد على الروايات الشفاهية التي كانت عِماد هذه الورقة، خاصة وأن ما ذكرته المصادر شحيح جداً. ومن هنا يمكن القول بأن هنالك بعض المعلومات تذكر لأول مرة خلال هذه الورقة.

## البعد الجغرافي والتاريخي لمنطقة الحلاوين:

تعد منطقة الحلاوين بوسط إقليم الجزيرة إحدى المناطق ذات الأهمية بمكان في الخارطة الثقافية-السياسية والدينية لهذا الوطن. فهذه المنطقة تمتعت بوجود المواقع الأثرية الدالة على استيطان الإنسان منذ فترة ما قبل التاريخ، فمواقع ثقافة القوز كما سماها البريطاني بلفور بول (H. G. Balfour-Poul) خير شاهد ودليل على عملية تسلسل ثقافي بدأت من العصر الحجري الوسيط (8000-5000ق.م)،مروراً بالعصر الحجري الحديث (4500-3000ق.م)، ويحتوي بعض هذه المواقع على دلائل الفترات التاريخية كفترة مروي (900ق.م – 350م) وما بعدها، إلى أن نصل إلى الفترة المسيحية (543-1054م)[1]. فقد كان للموقع الجغرافي الذي حظيت به هذه المنطقة أثراً عظيماً في أن تزدهر خلال مختلف الفترات، إذ كان للنيل والأودية الكبيرة القِدح المعلى في رفد الحراك الحيوي في هذه المنطقة.

سكن الحلاويون هذه المنطقة بعد موجات هجرة العرب إلى السودان، فقد ذكر السير هارولدماكمايكل (H.McMichael)أنهم فرع كبير من قبيلة رفاعة ويتواجدون في منطقة رفاعة وسنَّار، كما ذكر أن جُلَّهم فقهاء[2]. وقد استقر بهم المقام في غابة ام سوتيب، وذلك حوالي العام 850هـ/1446م[3]، وهي المكان الحالي الذي أسس فيه الحلاويون قراهم، واحدة تلو الأخرى(خارطة: 1). ولا ريب أن لهذا المكان أبعاداً استراتيجية، فهؤلاء القوم قد سكنوه منذ عهد مملكة علوة المسيحية، ولذلك؛من الطبيعي أن يساهموا في اقتصاد المنطقة، إذ إنهم كانوا أصحاب ماشية، ثم ما لبثوا أن أصبحوا يعتمدون على الزراعة المطرية، وذلك نسبة لخصوبة التربة في المنطقة، وكذلك ارتفاع معدلات الأمطار في الأزمان السابقة. وقد وقفنا شهوداً على بقايا مخازن الغلال التقليدية (المطامير) التي استخدمت قبل قيام مشروع الجزيرة، ما يعني أن المنطقة وإنسانها كانا مشاركَيْن في اقتصاد البلاد حتى قبل قيام مشروع الجزيرة،إذ كان الاقتصاد في منطقة الجزيرة يعتمد على زراعة الذرة والدخن والبقوليات والتوابل، إضافة إلى تربية الأبقار والجمال والضأن والماعز، وهو شأن معظم مناطق السودان ذات الأراضي المستوية [4]. ووفقاً لتوزيع الشاطر بصيلي عبدالجليل للسكان في حوض النيل

الأوسط؛ فإن منطقة الحلاوين تدخل ضمنالمناطق التي يشتغلسكانها بالزراعة والتجارة، فهم ضمن المجموعة الإقليمية الثالثة التي يبدأ نفوذها من الجانب الأيسر لنهر عطبرة، وحتى شمالي أربجي[5]، سيما وأن هذه المنطقة قد عرفت زراعة القطن منذ العام 1800م، أي خلال أواخر عصر الفونج، وقد استفادوا منه كثيراً، وكانوا من المشتغلين بالغزل والنسيج في ذلك الوقت، رجالهم ونساؤهم، إذ انتشرت الأنوال وأدوات الغزل والنسيج في المنطقة خلال ذلك العهد بشكل لافت، وكذلك انتشرت المنتجات الصناعية القطنية،كالمفارش والملابس وغيرها. وكان يتم أخذ هذه المنتجات إلى سنَّار وغيرها من المناطق لبيعها، حيث يُشترىَ بثمنها الرقيق والبضائع المتنوعة[6].

وعند قيام دولة الفونج؛ كانت المعركة الفاصلة بينها ودولة علوة في الطرف الجنوبي لمنطقة الحلاوين، فمنطقة أربجي ليست ببعيدة عن المركز الرئيس لتواجد قرى الحلاوين. وما يؤسف له هو عدم وجود كتابات توثيقية تذكر أثر المنطقة أو عدمه في معركة أربجي، لكن ما نعرفه أن الحلاوين لهم علاقة بالقائد عبدالله جماع القاسمي الذي تربطهم به صلة رحم وهي قبيلة رفاعة الأم، إذاً فمن المرجح أن يكونوا قد ناصروا جيش التحالف بدافع الغيرة على الإسلام، ثم بدافع نصرة الدم والعرق.

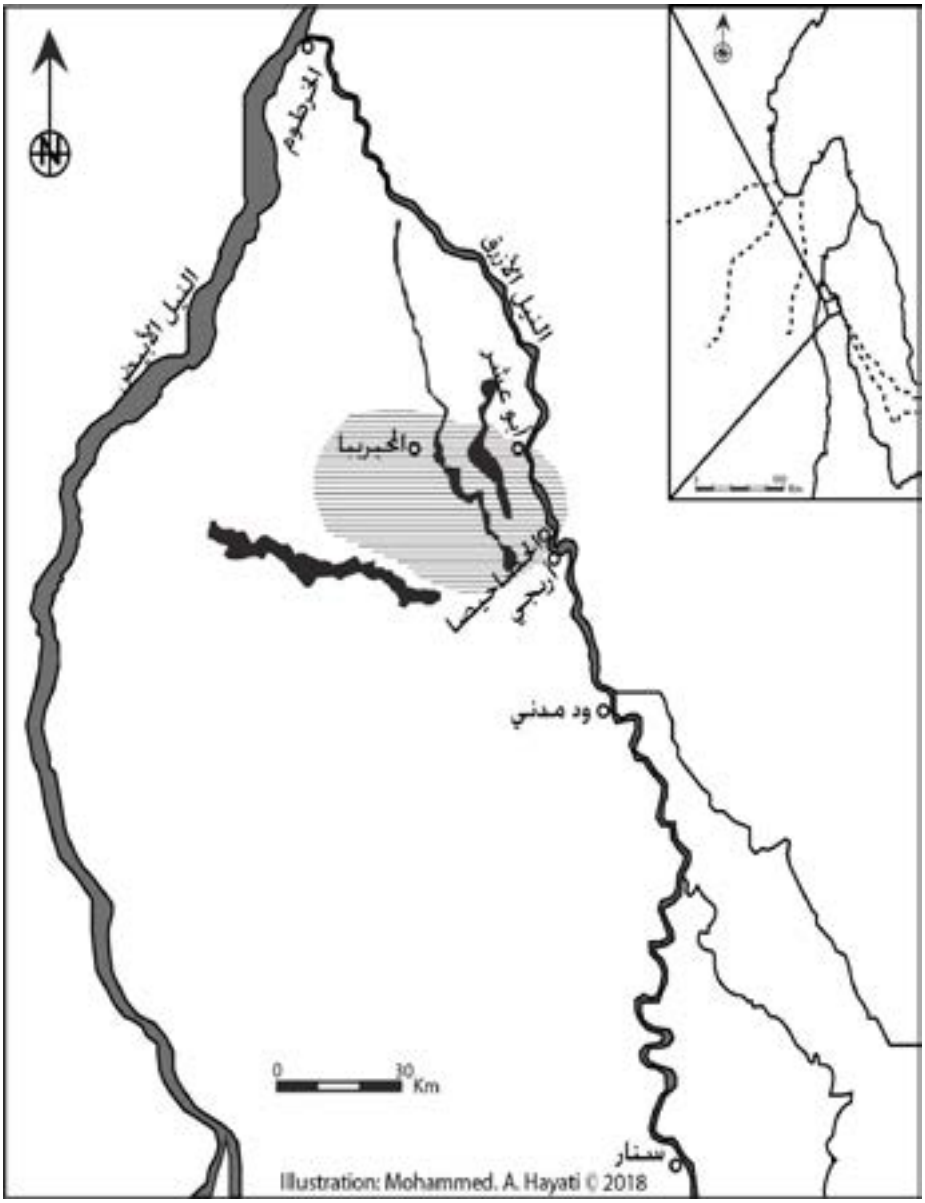


خارطة: 1. الموقع الجغرافي لمنطقة الحلاوين.

تأسست أربجي في العام 880هـ، الموافق 1459م، وقد أسسها الشيخ حجازي بن معين [7]. وعلى الرغم من أن الشيخ حجازي من الذين أخذوا الطريق القادري على الشيخ تاج الدين البهاري فإن هذا التاريخ لا يتوافق مع عهد

الشيخ حجازي، فهو قد جاء متأخراً عن ذلك التاريخ، فلربما شيد بها مسجداً، لكن لم يكن مؤسساً لها [8]. وقد كتب نيل موشو (N.Muchugh) ما نصه: «كانت مدينة تجارية منذ ازدهار مملكة علوة، وتساندها المدينة القريبة منها، وهي مدينة المسلمية. وكان يطلق على سكان أربجي اسم «الحضور». كما ارتبطت أربجي بالعالم الإسلامي والعلماء المسلمين منذ القرن السادس عشر، ولها ارتباط خاص بسواكن وجدة ومكة» [9].ويعد الشيخ حجازي بن معين، والفقيه أبو سنينة من أعمدة وركائز مدينة أربجي، إذ بلغت هذه البلدة أوجها في العلم الديني إبَّان تلك الفترة، حيث انتشر علم التوحيد والتجويد في الجزيرة[10]. ولا ريب أن الحلاوين قد استفادوا من هذه المكانة العلمية، بل إن عددا كبيرا منهم قد التحق بالخلاوي ومعاهد تدريس العلوم الدينية في أربجي. كما كانت هناك بعض الخلاوي في منطقة الحلاوين نفسها، وهذا يعيدنا إلى ما قاله ماكمايكل عن أن جُلّ هؤلاء القوم كانوا فقهاء [11]. إذاً فليس هناك منطقة أقرب من أربجي حتى يلجأ إليها معظم طلاب العلم، وهذا لا ينفي أن يهاجر بعض طلاب العلم من المنطقة إلى المناطق التي ذاع صيتها في أقاليم السودان الأخرى، وحتى إلى خارج الوطن حيث الحجاز ومصر وغيرهما من البلدان الإسلامية. ولا نملك بينات كاملة عن سيرة الجيل الأول من الفقهاء الحلاوين المعاصرين لمملكة الفونج، وذلك فيما يتعلق بتعليمهم، وطلابهم، وإنجازاتهم العلمية، ومساهمتهم في دفع الحركة الثقافية إبَّان تلك الفترة. فما وجد من معلومات شحيح للغاية. وعلى أية حال فهناك بعض الشخصيات ذات الأهمية في تاريخ مملكة الفونج قد سكنت هذه المنطقة، وأسست دوراً للعلم، ومن هذه الشخصيات:

## الفقيه بركات:

هو أحد الفقهاء الذين ذاع صيتهم في المنطقة إبان عصر السلطنة الزرقاء وفقاً لما ذكر الراوي الماحي محمد عثمان منصور[12]. وعلى الرغم من ذلك لم نجد له ذكراً في طبقات الشيخ ود ضيف الله. وقد ذكرت الرواية الشفهية أن أصل هذا الرجل كان في قرية السنية، وتوجد أسرة كبيرة تحمل اسم البراكيت نسبة إلى الفقيه بركات، لكنهم تفرقوا في قرى الصعيد، أي المناطق التي تقع إلى

الجنوب من مدينة واد مدني. ويقول الراوي عبدالرحمن يوسف الحسن أن آل بركات يعيشون الآن في مدينةالدندر[13].

## الفكي محمد أبو مطايب:

ورد اسم هذا الشيخ عند أهالي المنطقة كأحد الرموز الدينية القديمة التي ذاع صيتها في المنطقة، وجدير بالذكر أن اسمه مذكور في شجرة نسب الحلاوين المنتشرة بين الأهالي في المنطقة، وذريته تمثل جزءً كبيراً من فرع العصامنة الحلاوين. ويذكر الراوي الماحي محمد عثمان منصور نقلاً عن الرواية المتوارثة بين الناس في المنطقة أن هذا الرجل كان موجوداً في هذه المنطقة حوالي عام 1000هـ/1579م[14]، وهذه التواريخ موافقة لعصر الفونج. لكن على الرغم من ذلك لم يرد ذكره في طبقات الشيخ ود ضيف الله، فربما لم تصله أي أخبار عنه. كما تشير الروايات إلى أن الفقيه رحمة الحلاوي تزوج من فاطمة بنت الفكي محمد أبو مطايب وأنجب منها بنتاً واحدة، وهي التي تزوجها كنين الصوفي، وربما كان اسمها فاطمة أيضا.

## الشيخ محمود الكباري:

تمثل ذريته أحد أكبر فروع النوايلة بمنطقة السنية وصافية وكتفية وحلة عباس، حيث ذكر الراوي الماحي محمد عثمان منصور[15](لوحة: 1)،والراوية فاطمة بشرى عبدالله [16]أن محمود الكباري كان معاصراً للفكي محمد أبي مطايب والفقيه رحمة بن جمعة الحلاوي، وكان من أهل القرآن والعلم الشرعي، وهو جد فرع الطُّرشا بالنوايلة من الحلاوين.

## الشيخ كنين الصوفي:

هو ابن الشيخ محمود الكباري، إذ يذكر الراوي الماحي محمد عثمان منصور أن كنين الصوفي قد تزوج من فاطمة بنت الفكي رحمة وأنجب منها الفكي بادي الذي ينتمي إليه أهالي قرية السنية وحلة عباس. والجدير بالذكر أن اسم بادي كان قد انتشر كثيراً في المنطقة إبان ذلك الوقت، ما يدل على مودة بين أهالي المنطقة والحكام في سنَّار، حتى أن الراوي الماحي محمد عثمان منصور

يقول إن الشيخ كنين الصوفي قد توفي ودُفن بقرية الصوفي، وهي ليست ببعيدة عن مركز سنار[17].

يُعد الشيخ كنين الصوفي من الشخصيات الدينية المهمة في المنطقة، إذ أن اسمه معروفاً بشكل واضح في المنطقة.

لوحة: 1. أخذ الروايات الشفاهية من الحاج الماحي محمد عثمان منصور.

## الفقيه رحمة الحلاوي:

هو الفقيه رحمة بن جمعةبن عفيف بن ابراهيم شمخ بن محمد زغيو (خازن) بن نائل بن حلو وهو جد الحلاوين بن حمد بن السيد رافع بن السيد عامر بن السيد الحسين بن السيد اسماعيل بن السيد عبدالله بن السيد ابراهيم بن السيد على الرضا (لم يذكر هذا الاسم عند ماكمايكل)بن السيد موسى الكاظم بن السيد جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام على زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه وعنهم أجمعين. وهذا النسب قد أورده ماكمايكل على الرغم من أنه يدَّعي أنهم

يزعمون هذا النسب زعماً، فقد ذكر أن مخطوطة هذا النسب أحضرها الشيخ عبدالله العركي من مكة المكرمة عندما ذهب للقاء الشيخ تاج الدين البهاري لأخذ الطريق القادري[18]. وهذا الشيخ هو جد الرحماب، وهم فرع كبير من قبيلة الحلاوين، ولهم شأن عظيم في المنطقة بأثرها، فقد كانت عندهم نظارة المنطقة [19]، ومنهم ينحدر الشهيد عبدالقادر محمد إمام الشهير بود حبوبة[20]. ورد اسم هذا الشيخ عند الشيخ ود وضيف الله في طبقاته كأحد الذين ترجم لهم، وكأحد الذين أخذوا الطريق القادري على الشيخ تاج الدين البهاري[21]،كما أنه كان يسلِّك الطريق القادري للمريدين. وقد بنى الشيخ خلوة كبيرة في قرية شرفت الحلاوين[22]، وربما كانت هذه الخلوة مكاناً لتدريس العلوم الشرعية، ومن المؤسف أنه لم يبق منها شيء اليوم إلا المباني الدينية التي شيدت على أطلالها، ولم يتم توثيق آثار هذه المباني. وقد تم تدوين بعض الأخبار المنقولة شفاهية عن ميلاد الفقيه رحمة. حيث يذكر الراوي الماحي محمد عثمان منصور أن الفقيه رحمة قد وُلد في منطقة أبو حمد في العام 1013هـ/1592م، وذلك عندما عاد والده من رحلة الحج، مكث في شرق السودان لفترة من الزمن، وتزوج من بنت الفكي رحمة الكاهلي في تلك المنطقة، وأنجب منها ولدين؛ وهما رحمة ومديدة. وقبيل وفاته في حوالي العام 1051هـ/1641م (هذا التاريخ بعيد عن ميلاد الفقيه رحمة المذكور أعلاه، لكنه يؤخذ كرواية شفهية)، قام جمعة بتسليم زوجِه وصهرهِ سيفَه ومصحفَه (وكان اسمه مكتوباً عليهما)، وأوصاهما بتسليمهما للولدين عند بلوغهما، وأوصاهما بأخذهما إلى أهلهما في منطقة أم سوتيب (منطقة الحلاوين الحالية)، وعند قدومهما إلى المنطقة وجدا الفكي محمد أبو مطايب والشيخ محمود الكباري، فعرفوهما واستقبلوهما في بلد أهلهما. كما قام الفكي محمد أبو مطايب بتزويج ابنته فاطمة للفقيه رحمة[23]. وهذه القصة أيضاً نقلها الإداري البريطاني ج. ب. تيم الذي كان يعمل في منطقة النيل الأزرق، إذ كان كبيراً للمفتشين الزراعيين بمكتب تفتيش دُلقا بمنطقة الحلاوين، وقد سجل عدداً من الروايات الشفهية من سكان المنطقة، فكان أن قام بنشر بعض ما سجله في مجلة السودان في رسائل ومدونات[24]. وعندما قدم الشيخ للمنطقة كان حافظاً للقرآن، لكنه تلمذ على الفكي محمد أبو مطايب والشيخ محمود الكباري في أخذ العلم الشرعي، ما يعني أنه قد ورثه من بعده وتزوج بإحدى بناته.

كما يذكر الراوي الماحي محمد عثمان منصور أن الفقيه رحمة الحلاوي قد تزوج من عدداً من النساء، فغير فاطمة بنت الفكي محمد أبو مطايب،تزوجببنت قاسم الهمجاوي بن محمد أبو لكيلك، والتي أنجب منها أولاد بُلَّة الذين يوجد نسلهم في قريتي استرحنا ومناقزا، غير أن هذه الرواية تجد ما يعارضها، إذ يذكر الإداري الإنجليزي تيم أن قاسم الهمجاوي كان قد عينه الملك محمد عدلان أبو لكيلك، وهو آخر أمراء الهمج، حيث تولى الحكم في الفترة من 1808م وحتى آخر عصر الفونج في العام 1821م [25]. إذاً فكونه معاصراً للفقيه رحمه؛ فهذا ما لا يجد سنداً تاريخياً، إذ إن مجيء قاسم الهمجاوي إلى هذه المنطقة كان متأخراً عن عصر الفقيه رحمه بما يقارب الثلاثمائة عام. وتجدر الإشارة إلى أن قاسم الهمجاوي هذا كان مسؤولاً في منطقة الحلاوين، خاصة مناطق التميد وحلة مصطفى قرشي الحلاوين التي كانت تعرف بعزاز الصهباء، وهي المنطقة التي ترعى فيها الإبل[26]، حيث كان يقوم بجمع الضرائب والزكاة وإرسالها إلى سنَّار، فهذه إشارة قوية على طبيعة العلاقة بين أهالي المنطقة وإدارة الدولة في سنَّار. لكن في نفس ذلك التوقيت، أي إبَّان إدارة قاسم الهمجاوي للمنطقة؛ كان الشيخ أحمد البصير قد ظهر في المنطقة، وكان زعيماً دينياً استطاع أن يحل كثيراً من الصراعات القبلية في المنطقة، وبخاصة الصراع التاريخي الذي كان دائراً بين الحلاوين والكواهلة[27]. ومن أبناء الفقيه رحمة أيضاًنجد عائلة الشنيناب، وهم أبناء أحمد شنينة الذين تنحدر منهم أسرة الناظر محمد أمام والد الشهيد عبد القادر ود حبوبة، ويقطن معظمهم مدينة المحيريبا.

إذاً فلا شك أن الفقيه رحمة قد كان صاحب أثرٍ طليعيٍ في نشر العلم الفقهي في المنطقة. ولكن ما نلاحظه أن الطريقة القادرية لم تنتشر كثيراً في منطقة الحلاوين، حتى أننا لا نجد إرثاً وخلافة للشيخ رحمة الحلاوي، فأبناؤه وأحفاده لم يحيوا منهجه القادري، فربما اهتم الناس بالعلم الفقهي دون الاهتمام بنشر الطريقة القادرية التي لم تحظ بانتشار واسع بين الحلاوين بقدر ما انتشرت الطريقتين السمانية والختمية فيما بعد، إذ أدخل الطريقة السمانية الشيخ أحمد البصير والشيخ القرشي ود الزين، كما أدخل الطريقة الختمية الخليفة الماحيين

الفكي الجبارة،والذي أخذها عن السيد محمد عثمان الختم[28]، وهو ابن الرسالة بنت مختار ود بل الحلاوي، وابن خالة الشيخ القرشي ود الزين[29]. ولذلك؛ومن خلال ما ذكر عن الفقيه رحمة في بعض المصادر على قلتها وقلة المعلومات الواردة فيها نرى أن هذه الشخصية لم تكن حكراً على منطقة الحلاوين فحسب، بل منطقة الجزيرة، وبشكل محصور المنطقة الممتدة على النيل الأزرق في الجزيرة، ولعل شيخه تاج الدين البهاري قد سكن قرية وادي شعير القديمة، والتي كانت تعرف بـ: ترس نقي (بالقرب من قرية العمارة كاسر) مع مضَيِّفه داوود بن عبدالجليل، حيث أقام فيها حوالي سبع سنين [30]، فهذه القرية تقع في الاتجاه الجنوبي الغربي لمنطقة الحلاوين، ولا تبعد كثيراً عن قرية شرفت التي كان يقطنها الفقيه رحمة، فربما خلق هذا القرب جسراً من التواصل المحدود جغرافياً بالنسبة لهذا لشيخ، ولم نجد له ذكراً في البلاط الفونجي، حيث إن المصادر لم تورده ضمن الذين اتصلوا بسلاطين الفونج في سنَّار، فربما كان ذلك نابعاً من زهده في ما عندهم، ومحاولته عدم الوقوف بالعلم على أعتاب السلاطين، والحفاظ على هيبة العلم الشريف وذهاب مكانته تحت صلف الحكام. ويذكر الراوي كمال عبدالله محمدأن والد الفقيه رحمة كان يطلق عليه لقب الملك جمعة ود عفيف، حيث كان يعيش في سنَّار، ومعَيَّناً من قِبل الملك على جمع الضرائب، خاصة من أبناء عمومته الحلاوين الموجودين في منطقة الدندر[31]. لكن لم نجد لهذه الرواية ما يعضدها من براهين أخرى، لذلك لا نستطيع الجزم بصحتها ما لم تظهر لنا قرائن أخرى من خلال بحثنا عن التراث في هذه المنطقة.ومهما يكن من أمر فليس من السهل الجزم بالأسباب التي أدت إلى اختفاء تراث الفقيه رحمة الحلاوي، مع عدم وجود الدليل القاطع، فما ذكرناه من حديث مجرد تحليل للأبعاد السياسية والاجتماعية التي اكتنفت حياته. وعلى كل حال فقد دفن الشيخ بقرية شرفت الحلاوين، وتم بناء قبة على قبره، وتعد من طراز البناء القديم للقباب (لوحة:2)، ولكن بكل أسف فقد أزيلت القبة القديمة وبنت في مكانها قبة على النسق الجديد (لوحة:3).

لوحة: 2. قبة الفقيه رحمة الحلاوي بقرية شرفت الحلاوين بطرازها القديم (تصوير الباحث).

لوحة: 3. قبة الفقيه رحمة الحلاوي بعد بنائها من جديد (تصوير الباحث).

**للفقيه رحمة عدد من التلامذة الذين انتشروا في المنطقة، ومنهم:**

## 1/ الشيخ سليم الخالدي:

هو من قبيلة الخوالدة، وكان يسكن قرية السيال التي تعرف الآن بقرية سليم والتي يسكنها الدُّباسيون اليوم، وتقع في أقصى غربي منطقة الحلاوين، وهي مقابلة لمدينة أبي عُشَر، وقد كانت بلداً عامراً في ذلك الوقت. «والشيخ سليم من عباد الله الصالحين، وقال عنه الشيخ حمد بن الترابي: اللهم انفعني ببركة الشيخ سليم راجل السيال؛ يعطي كسرته لله ورسوله لا لشكر ولفخر. وتوفي رحمه الله تعالى بالسيال وقبره ظاهر يزار»[32]. هذا ولم يذكر الشيخ ود ضيف الله شيئاً عن أخذه العلم أو الطريق الصوفي، لكن الراوي الماحي محمد عثمان منصور ذكر أن هذا الشيخ من تلامذة الفقيه رحمة الحلاوي في أخذ العلم والطريق القادري.

## 2/ الشيخ سليمان الزملي:

محله قرية السيال (سليم). وقد أخذ الطريقة القادرية عن الفقيه رحمة الحلاوي[33].ولم نعثر على تفاصيل أخرى عن هذا الشيخ.

## 3/ الشيخ ودَّ داد بن سليمان الزملي:

هو ابن الشيخ سليمان الزملي. وقد تلمذ على الفقيه رحمة الحلاوي، واسمه عبد الرحيم، ووطنه السيال وقد ذكر عنه الشيخ ود ضيف الله في طبقاته ما نصه: «وودَّ داد هذا كان فقيهاً ماهراً له معرفة بالأقضية والأحكام، وله مسائل في نحو الكراسين سأل عنها الشّبراخيتي شارح خليل في مصر، فهو في غاية الفائدة، تدل على نبالته وفقهه. وقد رأيت بخط الشيخ دفع الله في مكان من كتاب له مكتوب صورته: «من عند فقير الله دفع الله بن الشيخ محمد إلى عند الشيخ عبد الرحيم بن الشيخ سليمان الزمَلي المشهور بين الأقران بودَّ داد قام مقام أبيه بزيادة. إن فلان قادم إليك له حجة عند قاضي أربجيوهو ما بيحكم إلا بمشورتك، كن في عونه بالحق» انتهى» وكان صاحب ميسرة ودفن بالسيال [34].

## 4/ الشيخ عالم المسلَّمي:

هو الشيخ عالم بن الشيخ أحمد القرشي المسلَّمي. ورد اسم هذا الشيخ عند صاحب الطبقات كأحد تلامذة الشيخ مختار ولد أبو عناية، حيث أخذ عنه الطريق القادري[35]. لكن الراوي الماحي محمد عثمان منصور يذكر نقلًا عن عمه الفكي أحمد ود منصور (من أهالي قرية السنية) أن هذا الشيخ كان من تلامذة الفقيه رحمة الحلاوي[36]. ويبدو أن هناك فارقاً زمنيا بين الفقيه رحمة والشيخ عالم المسلَّمي، حيث كان الأخير متأخراً زمنيا، فابنه الشيخ ابراهيم عالم قد عاصر التركية ولقي الإمام محمد أحمد المهدي وعمل في سلك القضاء إبان الحقبة المهدوية [37]. وقد ورد اسم الشيخ عالم عند الباحث الفحل الفكي الطاهر في كتابه بالخاص بتاريخ وأصول العرب بالسودان كأحد الفقهاء بمنطقة الحلاوين[38]. كما ورد ذكر هذا الشيخ أيضاً عند الإداري البريطاني تيم كأحد الشيوخ الكبار في منطقة الحلاوين، وذكر أنه كان تلميذا للشيخ دفع الله ود محمد أبو ادريس العركي والذي عاش بين 1594-1680م، وذكر له عدداً من الكرامات [39]. وقد دفن هذا الشيخ داخل قبة معروفة بحلة قرشي الحلاوين (لوحة:4)، ودفن معه أبناؤه عبدالجليل، والشيخ ابراهيم عالم القاضي المشهور. وتذكر المصادر أن هذه القبة قد بنيت في عدد من المرات، لكن أعاد بناءها وترميمها حاج أحمد ود عالم في العام 1230هـ [40].لكن الناظر بدقة إلى التواريخ ومقارنتها بالشخصيات المذكورة في هذا السياق يلاحظ بعض الاضطراب في التوريخ للشيخ وشيوخه ومعاصريه وأبنائه، فإما أن يكون هناك عدم صحة في نقل التواريخ، والشيوخ الذين أخذ عنهم الشيخ عالم الطريق القادري، وأما أن يكون هناك تطابق في الأسماء، فلربما تكرر اسم عالم في الأسرة أو المنطقة لعدد من المرات، ما أحدث ارتباكاً في تحديد التواريخ وربطها بالشخصيات.

لوحة: 4. قبة الشيخ عالم المسلَّمي.

## الشيخ مختار ود بل الحلاوي:

هو الشيخ مختار بن حمدين بل بن حمدين بن شاور بن محمد بن حمد بن حلو جد الحلاوين، وهو من فرع العصامنة الحلاوين [41].وهو من المعاصرين لمملكة الفونج، كما إنه من رجال الدين الذين عمروا المنطقة بالذكر، فقد أخذ الطريقة القادرية عن الشيخ يوسف بن محمد الطريفي (الشيخ يوسف أبو شرا) (عون الشريف قاسم 1996: 649). وكما أورد الشيخ ودضيف الله أن الشيخ يوسف رضي الله عنه قد توفي في عام 1217هـ/1796م [42]. وهذا التاريخ يمثل مرحلة الاضطرابات في البلاط الفونجي إبان عصره الأخير. وقد صاحب الشيخ مختار الشيخ يوسف أبو شرا، حتى أنه كان يزوره في منطقة الحلاوين، وهناك راوية يتناقلها الحلاوين فيما بينهم، إذ تذكر الرواية إنه عندما زار الشيخ يوسف تلميذه الشيخ مختار في بيته عرض عليه بناته، فأنكر عليه الحلاوين ذلك، فقال الشيخ يوسف مقولة مشهورة دونها التاريخ وهي: «بنات مختار يلدن الأقمار»[43]، وقد كان ما

قال، فقد أنجبت الزيارة بنت مختار الشيخ القرشي ود الزين رضي الله عنه،وقد كان من أبرز الذين أرسوا دعائم الطريقة السمانية في منطقة الحلاوين، ومن أشهر تلامذته؛ الأستاذ الشيخ عبدالمحمود ود نور الدائم الطيبي رضي الله عنه، والإمام محمد احمد المهدي. كما أنجبت الرسالة الخليفة الماحي بن الفكي الجبارة رضي الله عنه [44]، وأنجبت فاطمة ابراهيم ود بهاي، وهو جد أهالي قرية ود بهاي المعروفة بمنطقة الحلاوين.

## الفكي الأمين ود محمدين:

هو الفكي الأمين الفكي محمدين الفكي حمدنا الله. ولد إبان عهد السلطنة الزرقاء، ولم نعثر على تاريخ محدد لولادته، وقد وُلد بمنطقة الخرطوم التي كانت تسمى وقتها بالقصير. وينتمي لقبيلة رفاعة، فرع الشبيلات كما حفظ القرآن على والده، وتلقى العلم على يد علماء سنَّار، حيث كانت هي معقل العلم وقت ذاك. اشتهر الفكي الأمين بالعلم والصلاح. ثم بعد ذلك نزح إلى منطقة أبي عُشَر وأقام بها مسيداًلتعليم القرآن الكريم، ومن أشهر تلامذته بها على سبيل المثال؛ القاضي إبراهيم شاقوق قاضي سنَّار، والفكي عبد الله العريان رجل الداداب، وغيرهم كُثر. وقد توالى على خلافة المسيد عدد من أبنائه[45]، وما زال المسيد عامراً بطلاب القرآن الكريم إلى يومنا هذا.

## الشيخ أحمد البصير:

هو الشيخ أحمد بن عبد الرازق بن محمد نور بن عبد الرازق بن الحاج بن حمد بن مديد بن جمعة بن عفيف بن ابراهيم شمخ بن محمد زغيو (خازن) بن نائل بن حلو. وُلد الشيخ أحمد في العام 1780م بقرية دُلقا التي أسسها جده الثالث الحاج ود حمد[46]، وكان ذلك موافقاً لولاية الملك محمد عدلان أبو لكيلك ملك الهمج بالسلطنة الزرقاء[47].حفظ الشيخ القرآن الكريم ودرس قسطاً من العلوم الدينية، وأخذ الطريقة السمانية عن شيخه الأستاذ الشيخ أحمد الطيب بن البشير رضي الله عنه، فقد كان الشيخ أحمد ضريراً إثر ضربة رمح أصابه إبان حروب الحلاوين مع جيرانهم الكواهلة[48]لكن الشيخ

أحمد الطيب بن البشير لقبه بالبصير لما رأى عليه من الفتوحات والقرب من الله تعالى. وقد كان من أجلِّ تلاميذ الشيخ أحمد الطيب، إذ كان الشيخ يقدره ويجلسه بجانبه، ولا يفعل ذلك مع غيره التلاميذ[49]. وأثر الشيخ الديني كبير وواضح، لكنه أيضاًيمثل مرشداً اجتماعياً بالغ الأهمية، وله كلمته بين الناس في المنطقة، وخير مثال لذلك؛ بروز شخصيته في حسم الصراع الذي كان دائراً بين الحلاوين والكواهلة في ذلك الوقت، حيث سافر الشيخ البصير إلى منطقة النيل الأبيض ليلتقي بالعقلاء من الكواهلة يبحث معهم مشروع صلح يحقن الدماء، وبالفعل كان له ما أراد، وتوج ذلك بزواجه من ابنة الفكي محمد الأغبش، وهو من قادة الكواهلة. وقد أنهت هذه المصاهرة الصراع الذي دام لعقود طويلة بين الحلاوين والكواهلة[50]، وكان ذلك في العام 1244 هجرية [51]. وعندما جاء قاسم الهمجاوي بن الملك محمد عدلان أبي لكيلك إلى المنطقة، وأحدث عنفاً في جمع الضرائب؛ تذكر الروايات أن الملك محمد عدلان أبو لكيلك استدعى الشيخ البصير وأكرم وفادته، واعتذر له عما بدر من قاسم الهمجاوي، وسلمه مكتوباً ينص فيه على تسليمه أرضاً يقوم بزراعتها، وهذا نص المكتوب: «حجة سلطانية مرضية بالديار الفونجية، بمدينة سنَّار المحمية، لدى متوليها وابن متوليها، القابض أعنة قاصيها ودانيها، السلطان بن السلطان محمد أبو لكيلك. إنه قد تصدق على الشيخ أحمد البصير بدار خلته مطرية كانت أو بحرية، فهذه الحلة لا عليها كرشة ولا مُخلاية ولا متورت ولا غيرها من السبل العادية. والصدقة المذكورة ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. فنؤكد عليكم أيها الجابين ألا تتعرضوا لهذه القرية، فمن تعرض لها فكأنما عرَّض نفسه للوبال والهلاك. والسلام»[52]. ويروي تاريخ الحلاوين أن الشيخ أحمد البصير قد توفي في العام 1244 هجرية، أي نفس العام الذي عقد فيه الصلح مع الكواهلة[53].

من الواضح جلياً أن منطقة الحلاوين كانت غنية بالفقهاء والصالحين العُبَّاد، ما يشير إلى أن هذه المنطقة قد نالت حظاً وافراً من التعليم الديني في ذلك الوقت، ولعلنا نلاحظ أن المنطقة قد ازدهرت بصورة أكثر خلال الفترة التركية، إذ أنشئت الخلاوي والمعاهد الدينية في معظم قرى منطقة الحلاوين، كما

احتضنت المنطقة الثورة المهدية في مهدها، وذلك عندما كان الإمام المهدي تلميذاً عند الشيخ القرشي ود الزين.

أما فيما يتعلق بالزعامات السياسية والإدارية المحلية إبان تلك الحقبة فلم نجد ذكراً لشخص ذائع الصيت إلا للملك بلولة، ويبدو أنه أحد الذين تعاقبوا على زعامة المنطقة خلال عصر الفونج، لكن لم نجد له إرثاً تاريخياً موثقاًبشكل مستفيض، غير أن ذكره قد جاء خلال المعارك التي كانت تنشب بين الحين والآخر بين الحلاوين والكواهلةالقِريشاب في منطقة عديد أبو عشر، فقد قُتل هذا الرجل خلال تلك المعارك[54]. وكذلك الشيخ محمد القرشي المعروف بمحمد الهدو، وهو أحد أبناء أتباع الشيخ عالمالمسلَّمي، وكان معاصراً للملك ناصر الأمين زعيم العبدلَّاب، وكان الشيخ محمد الهدوحاضراً عندما هاجم الملك ناصر الأمين المنطقة إبان بعض النزاعات بين الفونج والعبدلاب[55]. ولعل الزعامات الدينية كانت تضطلع بأثر كبير في الإدارة الأهلية، كما ورد ذلك عن الشيخ أحمد البصير في حلِّ الخلاف بين الحلاوين والكواهلة.

## مناقشة وتلخيص:

ثمة ما يمكن الإشارة إليه في هذا الصدد، فبما أن منطقة الحلاوين تعد جزءً لا يتجزأ عن الأقاليم القريبة من سنَّار، فبالأحرى أن تكون ذات أهمية بالنسبة للحاكم في سنَّار، فهذه الأهمية تتجسد في النواحي السياسية، والاقتصادية، والأمنية، والدينية. فليس من المعقول أن تكون هذه المنطقة بمنأى عن سياسات الحاكم، سواء كان في سنَّار العاصمة، أم في مركز أربجي، أو مركز المسلمية. وفي هذا المقام يمكن أن نورد عدداً من البراهين التي تؤكد أن لهذه المنطقة شأناً خلال فترة حكم الفونج لجزء كبير من السودان. ولعل الدراسات اللاحقة تزيد هذه البراهين تأكيداً، لأن شح المعلومات والمصادر المتحدثة عن هذه المنطقة إبان عصر الفونج يعد من العوامل المؤثرة على كتابة تاريخها ولو لفترة مؤقتة، فلعل الأبحاث الاجتماعية والآثارية المستقبلية تمدنا بمعارف جليلة عن هذا الشأن. وتتمثل البراهين فيما يلي:

1. يمثل وجود الفقيه رحمة الحلاوي في هذه المنطقة منبعاً لروح العلم وتجسيداً لشخص الشيخ المعلم المربي، والزعيم الذي يجتمع الناس عند كلمته وتحت رايته، سيما وأنه يعد أبا لفرع كبير من فروع الحلاوين، والذين آلت إليهم نظارة القبيلة، بل والمنطقة بأثرها خلال الحكم التركي، وذلك في عهد الناظر محمد إمام ود إدريس[56].

2. يعد قرب المنطقة من مراكز الإشعاع في ذلك الوقت سببا كافيا لأن يخرج إنسانها باحثا عن كافة دروب الحياة، فأربجيوالمسلمية كانتا على قدر من الازدهار والتقدم الحضاري، وبخاصة مدينة أربجي[57]، فقد كانتا حلقة وصل بين المنطقة ومركز السلطة في سنَّار. وعلى الرغم من ذلك فإن الباحث مصطفى مسعد يقول إن مدينة أربجي كانت الحد الفاصل بين نفوذ عبدالله جماع الذي امتدت سلطته على جميع الوحدات القبلية حتى حنِّك شمال دنقلا، على حين أن سلطة عمارة امتدت على ما يلي هذه الأقاليم جنوبا [58]، ما يعني تبعية الحلاوين لسلطة عبدالله جماع، ولا ننسى رابطة الدم بين الحلاوين والعبدلاب القواسمة الذين تجمعهم قبيلة رفاعة الأم، لكن هذا لا ينفي إمكانية استفادتهم من كل الثروات التي كانت تذخر بها مدينتي أربجي والمسلمية.
3. يُلاحَظ من خلال الروايات الشفهية التي قمنا بتوثيقها أن جُل الذين ذُكروا في هذه المنطقة كانوا عبارة عن فقهاء وصوفية، وهؤلاء الزعماء الروحيون كانوا يسوسون حياة الناس مع بعض أصحاب الجوانب الإدارية والسياسيةكقاسم الهمجاوي وبعض الزعماء الذين ينتمون لمجتمع الحلاوين.
4. تعد المنطقة أنموذجاً للأراضي الصالحة للزراعة، سواء كانت مروية بالسواقي من النيل أو مزروعة بالأمطار، فهي خصبة غنية وفيرة الإنتاج، ويمكن أن تكون رافداً اقتصادياً مهماً بالنسبة للحكام سواء كان في الضرائب التي تجبى من المزارعين، أو في الغلال التي تغذي الأسواق في المنطقة.
5. كما أن المنطقة صالحة للرعي، فهناك مساحات شاسعة من المراعي الطبيعية الصالحة لتربية كافة أنواع الأنعام، وهذا مصداقا لما كتبه نيل موشو[59]، فالسكان كانوا يربون الماشية في الأزمان السابقة، على الرغم من أن الوضع قد تغير كثيرا اليوم، إذ اشتغل الناس بالوظائف الحكومية، والهجرة، والتجارة، والزراعة أكثر من تربية الحيوانات كثروة اقتصادية.
6. لا شك أن التجارة أيضاًقد كانت ذات أثر كبير في إثراء حركة التنمية بالمنطقة، فطالما أن المقومات الأساسية للتجارة متوفرة، وحركة الملاحة النيلية كانت منسابة عبر النيل الأزرق، والمراكز التجارية كأربجي والمسلمية موجودة. فليس هناك ما يمنع أن تكون هذه المنطقة مركزاً تجارياً يمثل أحد قنوات الدعم المالي لخزينة الدولة السنَّارية.

## المصادر والمراجع:


(1) Balfour-Poul, H. G. 1952. “Early Cultures on the Northern Blue Nile”, Sudan Notes and Records 33. pp. 202216-.

(2) McMichael, H. A. 1922. A History of the Arabs in the Sudan, Vol 1. Cambridge University Press.

(3) Tame, G. B. 1934. “Legends of the Halawin of Blue Nile Province”, Sudan Notes and Records 17, Part 2: 201216-.

(4) 4 ()Muchugh, N. 1994. Holy men of the Blue Nile: The making of an Arab-Islamic Community in the Nilotic Sudan 15001850-. Northwestern University Press.

(5) الشاطر بصيلي عبدالجليل. معالم تاريخ سودان وادي النيل، من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر. الطبعة الأولى. مطبعة أبو فاضل. القاهرة. 1955.

(6) Tame, G. B. 1934. Op. cit. p.206.

(7) الشاطر بصيلي. 1955. مرجع سابق. ص ص 256-260.

(8) محمد النور ود ضيف الله. كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان. تحقيق يوسف فضل حسن. جامعة الخرطوم، الطبعة الأولى. دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر. 1971.

(9) Muchugh, N. 1994. Op. cit. p. 38.

(10) كاتب الشونة، أحمد ابن الحاج أبو علي. مخطوطة كاتب الشونة في تاريخ السلطنة السنّارية والإدارة المصرية. تحقيق الشاطر بصيلي عبدالجليل. الطبعة الأولي. الدار السودانية للكتب. الخرطوم. 2009.

(11) McMichael, H. A. 1922, Vol. 1. Op. cit. p. 242.

(12) الماحي محمد عثمان منصور. العمر: 80 سنة. السكن. السنية الحلاوين. المهنة: مزارع. 2018م.

(13) عبدالرحمن يوسف حسن. العمر: 67 سنة. السكن: الجريف غرب. المهنة: معلم. 2018م.

(14) الماحي محمد عثمان منصور. راوي سابق.

(15) الماحي محمد عثمان منصور. نفس الراوي.

(16) فاطمة بشرى عبدالله. العمر 80 سنة. السكن: السنية الحلاوين. المهنة: ربة منزل. 2018م.

(17) الماحي محمد عثمان منصور. راوي سابق.

(18) McMichael, H. A. 1922, Vol. 2. Op. cit. p. 166.

(19) عون الشريف قاسم. موسوعة القبائل والأنساب في السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن. الخرطوم. الجزء الثاني. 1996.

(20) عثمان عوض الكريم محمدين. عبدالقادر ود حبوب، والعوامل المؤثرة على شخصيته. شركة مطابع السودان للعملة. الخرطوم. 2008.

(21) محمد النور ود ضيف الله. 1971. مرجع سابق. ص 216.

(22) محمد الطيب البصير. سلسلة أعلام الحلاوين (1) الأمير محمد الطيب البصير (ود البصير) نائب الإمام المهدي وأمير أمراء الجزيرة. الطبعة الأولى. مطابع السودان للعملة 2010.

(23) الماحي محمد عثمان منصور. راوي سابق.

(24) Tame, G. B. 1934. Op. cit. p. 202.

(25) Ibid. p. 206.

(26) كمال عبد الله محمد. العمر: 55 سنة. السكن: قرية شرفت. المهنة: مزارع. 2018م.

(27) Tame, G. B. 1934. Op cit. pp. 202206-.

(28) عثمان حمد الله. التعارف والعشيرة. دار الثقافة، بيروت. 1965.

(29) عون الشريف قاسم. 1996. مرجع سابق. ص 649.

(30) محمد النور ود ضيف الله. 1971. مرجع سابق. صص127-128.

(31) كمال عبد الله محمد. العمر: 55 سنة. السكن: قرية شرفت. المهنة: مزارع. 2018م.

(32) محمد النور ود ضيف الله. 1971. مرجع سابق. ص 222.

(33) نفس المرجع. ص 222.

(34) نفس المرجع. ص 371.

(35) نفس المرجع. ص 346.

(36) الماحي محمد عثمان منصور. راوي سابق.

(37) محمد الطيب البصير. 2010. مرجع سابق. ص 39.

(38) الفحل الفكي الطاهر. تاريخ وأصول العرب بالسودان. الخرطوم. 1976.

(39) Tame, G. B. 1934. Op. cit. p. 204.

(40) Ibid. p. 205.

(41) عثمان حمد الله. 1965. مرجع سابق. ص 48.

(42) محمد النور ود ضيف الله. 1971. مرجع سابق. ص 374.

(43) عثمان حمد الله. 1965. مرجع سابق. ص 49.

(44) عون الشريف قاسم. 1996. مرجع سابق. ص 649.

(45) صديق محمد أحمد البادي. معالم وأعلام. المروة للطباعة والنشر. الخرطوم. 1994.

(46) نفس المرجع. ص 110.

(47) التجاني عامر. دراويش وفرسان. مطبعة التمدن المحدودة. 1977.

(48) صديق محمد أحمد البادي. 1994. مرجع سابق. 110.

(49) عبد المحمود نور الدائم. أزاهير الرياض. مكتبة القاهرة. القاهرة. 1997.

(50) Tame, G. B. 1934. Op. cit. p. 206.

(51) عبد المحمود نور الدائم. 1997. مرجع سابق. ص 291.

(52) Tame, G. B. 1934. Op. cit. p. 213.

(53) Ibid. p. 208.

(54) Ibid. p. 203.

(55) Ibid. p. 205.

(56) عون الشريف قاسم. 1996. مرجع سابق. ص 649.

(57) Muchugh, N. 1994. Op. cit. p. 38.

(58) صطفى محمد مسعد. الإسلام والنوبة في العصور الوسطى. مكتبة الأنجلو المصرية. 1960.

(59) Muchugh, N. 1994. Op. cit. p. 42.

# إدارة المصادر الآثارية وفق التطبيقات الحديثة والمعطيات الآثارية الجديدة(مدينة مروي القديمة أنموذجاً)

د. محمد البدري سليمان بشير
قسم الآثار - كلية الآداب - جامعة الخرطوم

**المستخلص:**

تعني إدارة المواقع الآثارية تهيئة الموقع الأثري لزيادة المعلومة الآثارية، وإبقاءه لجعل هذه الزيادة مضطرده، وهي بالتالي تعني حفظ الموقع ودراسته وحمايته وتفسيره سواء كان موقعاً معقداً أو فرداني.وفقاً لهذا المنظور تناقش الورقة إدارة موقع مروي القديمة «المدينة الملكية»، في الفترة من (1909-2021م)- والتي تقع شمالي الخرطوم بحوالي 250 كيلوميترا. وتعتبر من أهم المواقع الآثارية بالسودان نسية لكونها عاصمة مملكة مري التي اذدهرت في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد الى القرن الرابع الميلادي- وهي موقع استمر فيه العمل الكشفي والمسحي والتحليلي لمدى طويل من الزمن،وذلك عن طريق تقييم ماتم من أعمال آثارية بالموقع، وتحليلها وصولا لرؤية متكاملة تضمن استمرارية الموقع ومستقبل الدراسات الآثارية فيه. كذلك تناولت الدراسة سُبل صيانة الموقع وحمايته وتنمية السياحة المستقبلية فيه.

**كلمات مفتاحية:** المدينة الملكية، إدارة المصادر الثقافية، الترميم، الصيانة، الجذب السياحي

## Abstract:

The management of archeological sites means preparing and preserving the sites in order to expand the archeological information and ensure the stability of the sites. Thus, it is about the preservation, study, protection and interpretation of sites, whether it is

a complex or a single site.From this point of view, this paper discusses the management of the ancient site of Meroe, the “royal city”(1909-2021), which is located about 250 km north of Khartoum and is considered one of the most important archeological sites in Sudan, as it was the capital of the Meroitic kingdom that flourished from the fourth century BC to the fourth century AD.The archeological site of Meroe was investigated over a long period of time (1909-2020) by various archeological missions. This study will evaluate and analyze this work to arrive at an integrated vision that will help the site achieve sustainability and guide its future studies.The study will also provide insights into the conservation, protection, and future tourism development of the site.

**Key words**: The Royal City, Cultural Resource Management, Restoration, Treatment, Tourism attraction

**مقدمة:**

ان ادارة المواقع الاثرية او ادارة مواقع التراث الثقافي هي جزء من مايسمى بإدارة المصادر الثقافية (Cultural Resource Management) والتي يطلق عليها اختصارا (CRM) فادارة المصادر الثقافية أشمل لأنها تختص بدراسة كل مايتعلق بالآثار والتراث من منقوله وغير منقوله، بينما تختص ادارة المواقع الأثرية بالجانب الغير منقول من الآثار، أي المواقع، بمعنى آخر المدن والقرى والمنشأت والمباني والعمائر الأثرية، وجميعها يمكن ان يطلق عليها تسمية «ادارة المواقع الاثرية» او «ادارة مواقع التراث الثقافية»، [2-1]. وقد أدَى التطور التقني في بدايات القرن العشرين الى تطوير مناهج وطرق ووسائل علم ادارة الموارد الثقافية، وذلك لمجابهة التحديات والمخاطر البشرية والطبيعية التي يتعرض لها التراث الثقافي في

جميع انحاء العالم، نتيجة للتحولات الاقتصادية والاجتماعية التي اعتمدت بصورة رئيسية علي المشروعات التنموية الكبرى بمختلف انواعها، والتي قامت وتوسعت خصما على موارد التراث الثقافي [3].

تهدف ادارة المواقع الاثرية او ادارة مواقع التراث الثقافي الى استدامة المواقع الأثرية عن طريق وضع وسائل وأساليب لتخفيف الآثار السلبية للتهديدات، سواء كان ذلك بوضع وتنفيذ مشاريع وقوانين وسياسات تساهم في حماية وحفاظ وحسن استخدام الموارد الأثرية على المستوى الوطني وعلى المستوى الاقليمي والعالمي ايضا، من خلال مسح وجمع وادارة البيانات وانقاذ الموارد الأثرية في مواجهة التنمية الحديثة والاتجار غير المشروع، مرورا بالتعليم والتدريب لكل من الجمهور بشكل عام والمهنيين بشكل خاص [4]. كذلك يتضمن مصطلح إدارة المصادر الثقافية وضع خطة استراتيجية متوسطة وبعيدة الأجل للموقع تضمن تطويره وزيادة المخصصات المالية له بعيدا عن استمرار الرقابة الفنية العلاجية والوقائية علي الموقع [5].

تعاني مواقع التراث الأثري في السودان من اهمال مستمر فيما يتعلق بأعمال الحفظ والصيانة والادارة، ويتدرج ذلك الاهمال ليشمل قلة الاهتمام بمرافق الزوار الأساسية، وتقديم المواقع الى العامة و نظم توجيه وارشاد الزوار. كما تعكس الحالة الراهنة للمواقع غياب أو عدم تنفيذ خطط شاملة لإدارتها بما في ذلك تقييمات الحالة وبروتوكولات الصيانة [6]. يشمل ذلك المواقع الأثرية التي تعد جزءاً من قوائم التراث العالمي في السودان، مثل مواقع جبل البركلو منطقة نبتة (المدرجة منذ 2003م) و»المواقع الأثرية بجزيرة مروي» (مدرجة في القائمة منذ عام 2011م). وفي المدينة الملكية احدى مواقع التراث العالمي «بجزيرة مروي»، وبالرغم من استمرارية العمل الاثري لمدى طويل من الزمن الا انه يلاحظ قلة عمليات المحافظة والترميم وتدابير الصيانة الأخرى التي تم اتخاذها خلال سنوات العمل الماضية مما أسهم بشكل رئيس بجانب تأثير تزايد أعداد الزوار في تدهور حالة البقايا المعمارية بالموقع.

بناء على ذلك تهدف الورقة الى تقديم خطة أكثر شمولية لادارة موقع مروي القديمة كمصدر آثاري مهم، بهدف تهيئته لزيادة المعلومة الآثارية واستدامته لجعل هذه الزيادة مضطرده، وذلك عن طريق تقييم ماتم من أعمال آثارية بالموقع، وتحليلها وصولا لرؤية متكاملة تضمن استمرارية الموقع ومستقبل الدراسات الآثارية فيه.

## مدينة مروي القديمة الجغرافيا والتاريخ:

تقع مدينة مروي القديمة- عاصمة مملكة مروي- على الضفة الشرقية للنيل شمالي مدينة شندي الحالية، وتبعد حوالي 250كيلومتر شمالي الخرطوم، وقد تمت دراستها كعاصمة ثانية لمملكة كوش بعد نبته (خريطة رقم 1).

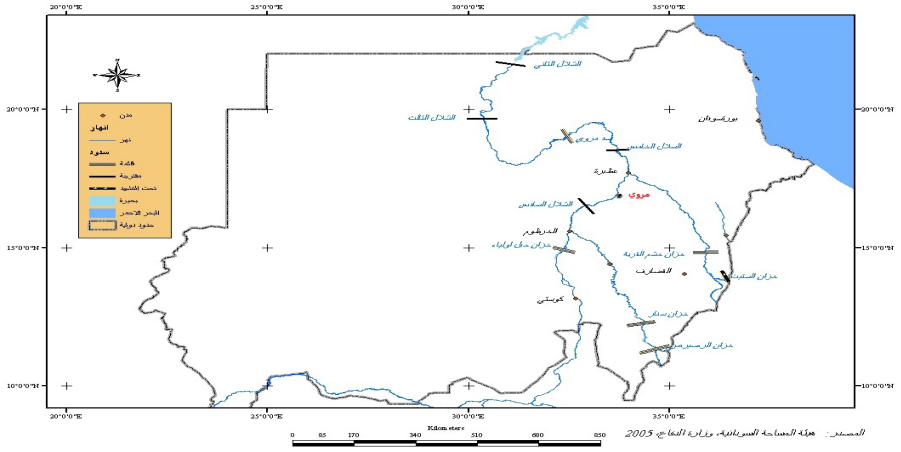


شكل رقم (1)، الموقع الجغرافي لمدينة مروي القديمة

تطورت مدينة مروي خلال تاريخها لتصبح أكبر مدن السودان القديم، وهي تُظهر في تطورها العديد من سمات المدن المعقدة مع القصور والمعابد والعديد من المباني، بالاضافة الى بعض الصناعات، وقد تم انتاج الحديد والفخار بنسب كبيرة، كما ان هناك العديد من الأدلة لمجموعة صناعات أخرى [7].

يتيمز اقليم مدينة مروي القديمة المحصور بين النيل ونهر عطبرة بالاراضي الخصبة المسطحة التي تكوّن أرض البطانة، وبالأودية الموسمية الكبيرة والصغيرة التي تصب في النيل على طول المسافة بينها وبين الشلال السادس، والتي من أهمها وادي العواتيب ووادي الهواد جنوبا وادي الدان وعيش شمالا [8].

عُرفت مروي في المصادر القديمة لدى الإغريق منذ عصر هوميروس [9]، وقد سمى الكتاب الكلاسيكيون اقليم مروي بجيزة مروي اما بحسبانه محصوراً بين النيل ونهر عطبرة أو ربما لان المدينة التاريخية كانت تقع على تل ترابي عالي بأرض مائية منخفضة. ويقع هذا التل الترابي بين فرع من وادي الهواد جنوبها وبين الجزء الجنوبي من التل الحجري الذي يقع أسفل جبل أم علي شمالها [10].

ذكر هيرودوت وغيره من الكتاب القدماء مروي، ولكن لم يكن معروفًا عنها سوى القليل حتى عصر الاستكشاف الأوروبي [11].و يعتبر الرحالة الاسكتلندي جيمس بروس (1730-1794م) من أوائل رحالة العصر الحديث الذين زاروا مروي ووصفوها، وذلك عندما وصل الى الموقع «قرية البجراوية الحالية» حينما كان عائداً الى الشمال بالضفة الشرقية للنيل من رحلته للكشف عن منابع النيل الأزرق، حيث تعرف علي منطقة مروي التي يحدها نهر النيل ونهر عطبرة، وأشار الي ان هذه المنطقة هي مدينة مروي القديمة [12]،ومن الواضح أنه بنى افتراضه هذا على معرفته بالموقع من الكُتاب الكلاسيكيين، وقد انتظرت هذه المعلومات لمدة مائة عام كي يتم تأكيدها بواسطة الآثاري البريطاني جون قارستانج الذى قام بحفر الموقع [13]. وقد أصدر جيمس بروس كتابه:

Travels to Discover the Sources of the Nile -6 volumes'-) (Edinburgh-1970). ومما كتب في وصفه لمروي:

**« رأينا هنا أكوامًا من قواعد الأعمدة المكسورة. . . قطع من المسلات ، مماثلة لتلك المكتوبة بالهيروغليفية، تم طمسها بالكامل تقريبا.. أخبرنا العرب أن هذه الآثار كانت كثيفة بالموقع، وأنه تم حفر العديد من أجزاء التماثيل، كليهما البشرية والحيوانية .. أنه من المستحيل تجنب المخاطرة بتخمين أن هذه هيمدينة مروي القديمة»** [14].

## المدينة الملكية:

المدينة الملكية (The Royal City) هو الاسم الذي عرفت به المنطقة المسورة إلى الغرب من معبد آمون، ويبلغ طولها حوالي (275متر) وعرضها (137متر) تقريباً. يحدها سور شيّدمن الحجر الرملي، وهو يحتوي على ثلاث مداخل شرقي، غربي، وشمالي.

تحتوي المدينة المسورة على عدد كبير من المباني المشيدة من الطوب الأخضر، على أن أغلب هذه المباني لها واجهات بنيت بالطوب الأحمر. ويقع في منتصف المدينة الملكية قصران كبيران متقاربان، وهناك مباني أخرى يعتقد أنها عبارة عن مخازن وصالات للاجتماعات، وكذلك مقر للقائمين بخدمة القصور الملكية [17-16].وقد مرت مباني المدينة الملكية بالعديد من الاصلاحات والاضافات خلال حقب زمانية مختلفة مما يجعل من معرفة تاريخ بناءها واستخدامها أمراً في غاية التعقيد [18]. وكنتيجة لهذامن الصعب تفسير تضاريس الأرض الأصلية بالموقع[19] ، كما ان فهمنا لتسلسل الاستيطان ووظائف المباني بها يعتبر محدودا، حيث أُعتقد أن بعضها يمثل قصورا ملكية، وبعضها الآخر يمثل محلات تخزين، وغرف للعامة، وأماكن سكنية لموظفي القصر [21-20].

وبشكل عام تتكون المدينة الملكية من عدد من الأجزاء وهي:

- معبد آمون الذي يقع الى الشرق من المنطقة الملكية المسورة.
- المنطقة الملكية المسورة التي تحتوي علي بعض القصور والمعبد المسمى بمعبد أغسطس والحمام الملكي.
- الممر المقدس أمام معبد آمون ويحيط به علي جانبيه الشمالي والجنوبي عدد من المعابد الصغيرة نسبيا،وهو ممر يمتد من معبد آمون ليقسم قطاعات المدينة الشرقية الي شمالي وجنوبي، ويمتد جوار المعابد الصغيرة كومان كبيران يبدو انهما يمثلان مقاطعات السكن والصناعة لمعظم السكان [22]. وقد تم حفر أجزاء من الكوم الشمالي بواسطة بيتر شيني [23]،بينما حفر الكوم الجنوبي حديثا بواسطة جين هانفريس (24).
- بعض المباني التي تقع خارج المنطقة المسورة، وخارج حدود المعابد المتصلة بالممر المقدس، ولكنها تبدو وكأنها جزء من مناطق الطقوس الملكية، مثل الموقع 712 م والموقع 621 م [26-25]،وقد تم حفر هذه المناطق الأربعة المنفصلة خلال أكثر من عشرين عاماً، كما تم نشر معظم نتائجها.

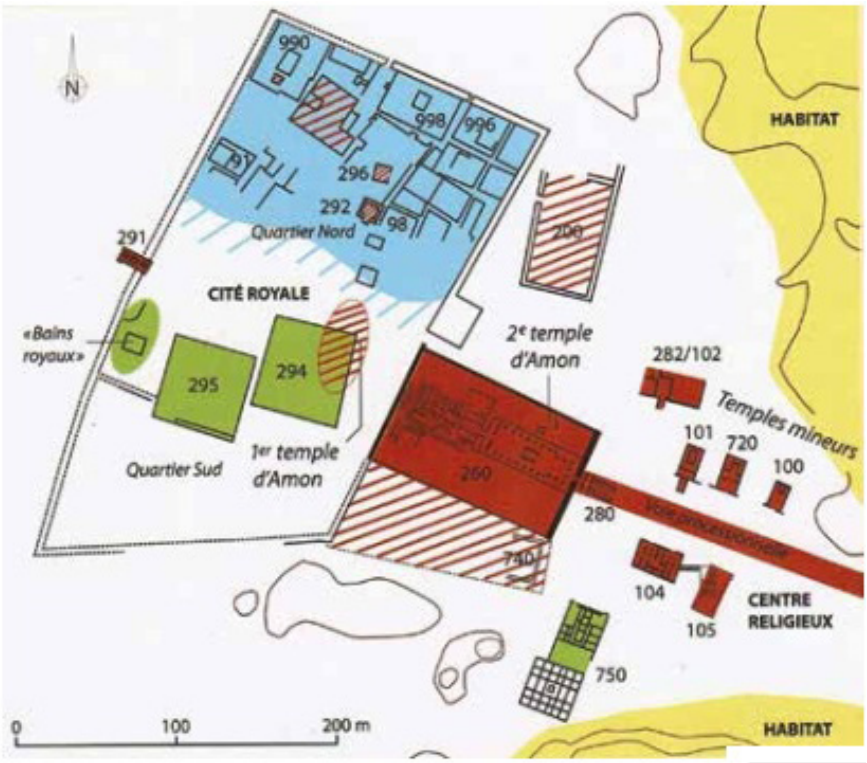


شكل رقم (2) تفاصيل المدينة الملكية، بعد (Baud 2010, fg.57)

## إدارة موقع المدينة الملكية:

تعني إدارة المصادر الثقافية في أحد جوانبها دراسة الموقع المراد إدارته وتقصي كافة الأعمال السابقة التي جرت فيه (27-29)، وهي بالتالي تهدف الى شرح وتقييم وتفسير حالة موقع طويل التاريخ متعدد الجوانب والمجتمعات مازال باقٍ يحمل الكثير مما مرَ عليه في الفترات السابقة. ووفقاً لذلك يستهدف علم ادارة المصادر الآثاريةالمواقع التي جرت فيها أعمال آثاريه متصلة،بواسطة بعثات آثارية مختلفة عبرمدى طويل من الزمن.

تناقش الورقة وفقاً للرؤية السابقة ادارة موقع المدينة الملكية، الذي يعتبر من أهم المواقع الأثرية في السودان، والتي تمت دراستها بواسطة بعثات آثارية متعددة بمناهج وطرق وأساليب مختلفة. وقد عملت في موقع المدينة

الملكية ست بعثات رئيسية كانت في مقدمتها بعثة جامعة ليفربول بقيادة جون قارستانج التي استمر عملها لحوالي الخمسة أعوام(30). ثم مشروع مشترك بين جامعة الخرطوم وكالقري بقيادة بيتر شينيل حوالي ثلاثة عشر عاماً [31-32]، ومن بعده بعثة مشتركة بين جامعة الخرطوم ومتحف أونتاريو الكندي [33]. كذلك عملت بالموقع بعثة ألمانية في فترة التسعينات لكنها لم تستمر طويلاً (34)، اضافة الى بعثة المعهد الالماني للآثار في الحمام الملكي [35]. ثم بعثة كلية لندن الجامعية (UCL-Qatar) التي عملت في أكوام خبث الحديد بالموقع [36] ، وتعمل الآن بعثة روسية سودانية مشتركة بمعبد إيزيس بقرية الدرقاب القديمة. هذا اضافة لمشروع مكتبي منفصل بين جامعة الخرطوم وجامعة ريدنق لدراسة أرشيف حفريات بيتر شيني بالمدينة الملكية (See, Meroe Archival Project at www.baruch.cuny.edu).

كانت جامعة الخرطوم الشريك الأساسي للبعثات التي أعقبت عمل جون قارستانج في الموقع، عدا بعثة الحمام الملكي، وعند تقييم هذه الأعمال ومشاركة الجامعةفيها نجد أن نتائج هذه المشاركة قد تأرجحت بين النجاح والإخفاق. فقد تمثل نجاحها فيما اكتسبته الجامعة من خبرات كثيرة، ومن كوادر تم تأهيلها وتدريبها خاصة في فترة بيتر شيني بالموقع، أما اخفاقها فقد تمثل في أنه وبالرغم من كل هذه الأعمال، الا ان حالة الموقع لم تتقدم كثيراً، والى الآن لم يعرف تاريخاً مضبوطا للمدينة الملكية، كما أن هناك تأرجح في نسبة الاكتشافات والنشر العلمي.

## أولاً: بعثة جامعة ليفربول (١٩٠٩-١٩١٤م):

كانت بداية الأعمال الآثارية في موقع مروي القديمة بواسطة بعثة جامعة ليفربول بإدارة جون قارستانج، والتي تعتبر نقلة علمية في دراسة الثقافة والتاريخ المروي.

بدأ قارستانج مرحلة إدارة هذا الموقع قبل الحرب العالمية الأولى، حيث كانت زيارته الأولى منذ عام 1904- 1906م، وكانت بداية الاعمال الحقليةفي الفترة مابين 1909-1914م، والتي أبانت التطور في الثقافة المروية [37].

كان الهدف المبدئي لحفريات جون قارستانج في المدينة الملكية هو الكشف

عـن «المدينـة الملكيـة الاسـطورية» حيـث «تقـف مائـدة الشـمس» [38]، وقـد تركـزت أعـمال البعثـة بالمنطقـة المعروفـة «بالمدينـه الملكيـة» التـي تتميـز بالقصـور والحمامات والمعابـد الملكيـة، وشـملت حفرياتـه كل مـن معبـد آمـون، منطقـة القصـور الملكيـة، معبـد أغسـطس، الحـمام الرومـاني، بالإضافـة الى حفرياتـه خـارج المدينـة الملكيـة المسـورة في كل مـن معبـد إيزيـس، الحـماداب، معبـد أبادمـاك، معبـد الشـمس ومدافن العامـة التـى تقـع في المنطقـة السـهلية بـين المدينـة والأهرامـات [39].

اتبـع قارسـتانج في منهجيتـه لادارة العمـل الاثـري بالموقـع المنهـج التقليـدي للحفريـات في مـصر القديمـة «منهجيـة ماقبـل بـتريPetrie» التـي بُنيـت عـلي الحفـر التقليـدي دون وضـع اهتـمام يذكـر للتسلسـل الطبقـي والتسـجيل الدقيـق للموقـع بنظـام الطبقـات، واعتمـد طريقـة التنظيـف كمنهـج حقـلي لأعمالـه مصحوبـاً بالتوثيق عـن طريـق الصـور الفوتوغرافيـة، كـما قـام لاحقاًباسـتقدام حرفيـين متخصصـين مـن معماريـين ورسـامين [40] .

اتبـع جـون قارسـتانج في منهجيتـه لتعريف الهيـاكل المعمارية والظواهـر المختلفة في الموقـع التسـمية بالحـرف (M) مضافـا اليـه رقـم تعريفـي (M xxx) في اشـارة الى مـروي (Meroë). وقـد تعـرض نظـام قارسـتانج التعريفـي للوحـدات المعماريـة بالموقـع الي بعـض التعديـل كنتيجـة للاكتشـافات الآثاريـة الحديثـة بواسـطة بعثـات آثاريـة مختلفـة عقبتـه بالعمـل في الموقـع، ومـن ذلكماقامـت بـه البعثـة المشـتركة لجامعتـي الخرطـوم وكالقـري بوضـع تسـميات جديـدة لمعابـد تـم اكتشـافها لأول مـرة بالموقـع واسـتعاضت عـن الحـرف M بالرمـز KC في اشـارة الى الخرطوم-كالقـري. كذلـك اتبعـت البعثـة السـودانية الألمانيـة المشـتركة في بحثهـا منهجـاً آخـر في تعريـف المعبـد الـذي اكتشـفته بالموقـع وهـو MJE كاشـارة لبعثـة مـروي المشـتركة [41-42].

تمثلـت النتائـج الرئيسـية لهـذه الحفريـات في تحديـد موقـع مدينـة مـروي القديمـة بصـورة دقيقـة عـن طريـق نقـش عـثر عليـه بالقـرب مـن حوائـط معبـد آمـون يرجـع لعهـد الملـك اسـبلتا (593-568BC)ذكـر فيـه اسـم مـير (Mer)، وبعـد مقارنـة مـافي النقـش مـع مـا أورده الكُتّـاب القدامـي تمكـن جـون قارسـتانج مـن تحديـد موقـع المدينـة التاريخيـة (43).كذلـك أسـهمت حفرياتهفـي تحديـد الفـترة الزمنيـة للتاريـخ

الثقافي لمباني المدينةالملكية بصورة مبدئية، حيث قسمها إلى ثلاثة فترات رئيسة كانت أوَّلها الفترة المبكرة (650-400قم) ، وثانيها الفترة الوسيطة (300-1ق م)، وثالثها الفترة المتأخرة (1-350م) ، كما أشار الى التأثيرات الرومانية والهنلستية والملامح الشرقية في عمارة القصور المروية [44-46].

ووفقاً لتصور وليام آدمز فإن الحقبة الأولى قد تميزت بتأثيرات الحضارة الفرعونية، بينما سيطر تأثير الحضارة الإغريقية على الحقبة الثانية، أما الثالثة فقد غلبت عليها تأثيرات الحضارة الرومانية أو البيزنطية [47].بجانب ذلك أسفر العمل عن وجود تصنيف نوعي للفخار والمعثورات الدقيقة [48].

تم نشر نتائج هذه الأعمال في خمسة تقارير أولية في الفترة ما بين1911-1916م في حوليات جامعة ليفربول للآثار والأنثربولوجيا [49]LAAA-54). وفي عام 1997م نشر لازلو توروك التقرير النهائي لحفريات جون قارستانج في المدينة الملكية بناء على المواد المنشورة والسجلات غير المنشورة المحفوظة في مدرسة الآثار والدراسات الشرقية بجامعة ليفربول[55].

## ثانياً: بعثة جامعتي الخرطوم وكالقري «حفريات بيتر شيني» (1965-1984م):

بدأ عهد جديد من الأعمال الآثارية في موقع المدينة الملكية بحفريات بيتر شيني P. L. Shinnie أولاً بقيادتة لبعثة جامعة غانا 1965م حيث تم عمل مسح تفصيلي وبدأت بعض الحفريات الاختبارية في الموقع [56] ، وقد تم استكمال هذا العمل بواسطة جامعة الخرطوم في الأعوام 1966-1970م، وأخيرا عن طريق بعثة مشتركة بين جامعة الخرطوم وجامعة كالقري 1971-1977م و 1983-1984م [57].

تركزت حفريات شيني في عدة مناطق داخل المدينة الملكيةشملت المباني السكنية، المناطق الصناعية، العمارة المدنية، بالاضافة الي استكشاف العديد من المعابد [58-59].

اتبع شيني في حفرياته منهجية متقدمة طورها مورتيمر ويلر ((Mortimer Wheeler 1890)-1976)حينما كان يعمل بقلعة مايدن (Maiden Castle) حيث أجرى شيني معه أوَّل حفرياته الميدانية، وهي الطريقة التي عُرفت ب «طريقة ويلر» أو مايسمى بنظام «المربعات التراكمية»،كما يُطلق عليه أيضًا (نظام الشبكة أو الصندوق) [60].

اعتمدت هذه المنهجية علي تخطيط وحفر مربع لا تقل جوانبه عن عشرة أقدام، ومن ثم يتم مده في الاتجاهات الأخرى بمربعات اضافية، مع ترك ممرات جانبية بعرض كافٍ يتيح حرية التنقل لاخراجمخلفات الحفر،ويتيحبهذه الطريقة كل مربع أربعة أقسام واضحة للرسم والتصوير.

اتبع شيني نهجاً فريداً في حفرياته بمروي حيث ركز على البقايا المنزلية والصناعية بصورة أكثر من الحفريات السابقة في الموقع. وكان القصد من هذا النهج موازنة العمل المكثف للآخرين، مثل فرانسيس قريفيث وجورج رايزنر في المقابر المروية على وجه الخصوص.كذلك هدف شيني لإنشاء تسلسل للفخار في المناطق السكنية. وقد اسهمت منهجيته وحفرياته الموثقة بمعرفة أكثر تفصيلاً عن العمق الطبقي والتاريخي للموقع [61].

بدأ شيني حفرياته في المدينة بعمل خندق طويل يمتد من الشرق إلى الغرب عبر الموقع، وهو ما عرف باسم الخط 50 (50-line) (وهو خط يتجه من الشمال إلى الجنوب على طول المخطط الشبكي للموقع).

كشف هذا الخندق عن بقايا سكنية متعددة بالإضافة إلى أربعة معابد باتجاه الطرف الغربي للخندق تم بنائها فوق البقايا السكنية. كذلك قام شيني بحفر خندق رئيسي آخر في الكوم الشمالي بين عامي 1965 و 1972م ، والذي احتوى أيضًا على بقايا سكنية وصناعية،وقد كشفت كلا الحفريتين عن وجود تسلسل استيطاني مكثف مع طبقات يمكن تفسيرها على أنها تراكمات طبيعية (كنتاج للرياح أو تسرب المياه) بالاضافة الي رديم من البقايا المنزلية والصناعية[62]. وبشكل عام، كشفت حفريات شيني عن وجود استمرارية للثقافة المادية حتى المستويات العليا من الحفر، والتي أظهرت مواداً متنوعة مابين المحلية والمستوردة من حوض البحر المتوسط [63]. تم توريخ الموقع عن طريق تحليل تسع عينات من الفحم بواسطة الكربون المشع الى القرن الثامن قبل الميلاد، حيث مهد ذلك لفهم المراحل الأولى لوجود مجتمع محلي مستقر بالموقع [65-64].

أسفرت حفرية شيني للخندق المعروف ب الخط 50، عن كشف أربعة معابد، وقد اهتم شيني بدراستها التفصيلية بصورة أكبر من المنازل حيث وفرت هذه المعابد لمحات مثيرة للاهتمام عن الحياة الدينية للمدينة [66].

بجانب ذلك أعاد شيني وبرادلي أيضًا فحص بعض المواد الاثرية المستخرجة من حفريات قارستانج في المعابد وذلك في سياق بحثهما في المدينة الملكية، على الرغم من أنهما لم يسعيا لتطوير أو اعادة بناء منهجية لبحوث قارستانج السابقة بالموقع، وهو ماقام به لازلو توروك(Török) بعد بضع سنوات فقط[67].

تم نشر نتائج حفريات شيني في الموقع في عدة اصدارات [68-76].

## ثالثاً: البعثة السودانية الألمانية المشتركة (1992-1994م):

تمت دراسة موقع مدينة مروي القديمة في عام 1992م لفترة قصيرة من الزمن بواسطة بعثة مشتركة بين جامعة الخرطوم وجامعة هامبولدت الألمانية ومتحف Roemerpelizaeus بهيلدشم Hildesheim، ولم يستمر العمل طويلا، وقد اتبعت البعثة السودانية الألمانية المشتركة في بحثها منحاً آخر في تعريف المواقع التي قامت بكشفها، حيث استخدمت الحروف MJE كاشارة لبعثة مروي المشتركة، وقد تم نشر معظم نتائج هذا العمل في سلسلة من الأبحاث العلمية [77-80].

## رابعاً: بعثة جامعة الخرطوم ومتحف أونتاريو الكندي (1999-2003م):

بدأت في عام 1999م مرحلة جديدة من الأعمال الميدانية في موقع مدينة مروي عن طريق بعثة آثارية سودانية-كندية مشتركة تمثلت أطرافها بجامعة الخرطوم ومتحف أونتاريو الملكي بتورنتو، وقد تم اجراء هذا العمل للوقوف على الوضع الراهن للموقع ولتحديد المشاكل والصعوبات المستقبلية التى ستواجه عمل البعثة بالموقع، كما أهتمت البعثة بمسألة حفظ الموقع وحمايته [81]، وقد تركز عمل البعثة في عمل مسح جيوفيزيائي لمناطق مختارة من الموقع، واجراء مسح ورسم خارطة للكوم الجنوبي،بجانب حفر ودراسة الموقع M712، ودراسة وتخطيط الغرف M270 و M270a بمعبد آمون، اضافة الى حفر وتخطيط الجزء الجنوبي للمبني M750 وحفريات الكوم M711، وحفر ودراسة المبني SM100 وقد تمثلت النتائج الرئيسية لهذا العمل في الآتي:

- مناقشة نواحي البعد التاريخي للموقع ومسألة أُصول وطبوغرافيا المدينة الملكية.
- التعرف على العديد من الأخطاء التوثيقية التى صاحبت الخرائط المنشورة للعديد من المباني واكتشاف العديد من النقوش والمخربشات.

- تجهيز قائمة باعمال الترميم والصيانة التى يحتاجها الموقع مما ساهم في إظهار شكل المدينة للزوار بوجه أفضل مما كانت عليه مؤخراً. وكنتيجة لذلك تم التعرف علي العديد من النواحي المعمارية بالموقع (82-83).

تبع ذلك نشر دراسات تفصيلية للتاريخ والبقايا المعمارية للمدينة الملكية عن طريق هينكل F.W. Hinkel and Sievertsen 2002بجانب ظهور التقرير المفصل للبعثة السودانية الكندية المشتركة عن طريق كرزمسكي 2003م.

## خامساً: البعثة الألمانية بالحمام الملكي (1999 - الى الآن):

بدأ منذ العام 1999م استكشاف الحمام الروماني وترميمه عن طريق بعثة المعهد الألماني للآثار (DAI) بالاشتراك مع الهيئة العامة للآثار والمتاحف، ويبحث المشروع الحاليدراسة التسلسل الزمني للحمام الملكي ومراحل بناؤه والتأثيرات الثقافيةمن البحر المتوسط، و نظم التصريف المائي، ووظيفة المبني في سياق الأسرة الملكية ومدينةمروي [84]. وقد توصلت البعثة للعديد من النتائج المهمة المتعلقة بتاريخ المبني وهندسته المعمارية، بجانب كشفها لبقايا حديقة مرويّة في الجهة الشمالية الشرقية للمبنى، ومن أجل حماية المبني وتقديمه للزوار قامت البعثة بتصميم مأوي جديد مصحوبا بمعرض تعريفي صغير ليلبي احتياجات الزوار[85].

## سادساً: بعثة كلية لندن الجامعية (2012 UCL Qatar - الى الآن):

تقع أكوام خبث الحديد على الحواف الشرقية والجنوبية للمدينة الملكية، ولم يتم استكشافها بشكل مفصل الا في الآونة الاخيرة 2012م عن طريق بعثة كلية لندن الجامعية _فرع قطر(UCL قطر) بقيادة جين همفريس، وقد اتبعت البعثة منحاً منظماً باستخدام مناهج حقلية ومعملية حديثة، قامت من خلالها بالتحقق من دور انتاج الحديد وربطه مع المحتوي الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والبيئي للامبراطورية المروية [86]، وقد تمكنت هذه البعثة من ايجاد تأريخ جديد لصناعة الحديد في مروي يرجع الى الفترة ماقبل عصر الأسرة الخامسة والعشرين بأكثر من الف عام في العصر المروي، والذي استمر الى فترة 300-500 ميلادية [87]، وقد أوضحت هذه الدراسات مصادر استخلاص الحديد في العصر المروي بأنها ليست من الحجر الرملي المحلي وانما من مصدر الخام نفسه.

وبالمقدار نفسه، فقد رُبط تاريخ ظهور وانتهاء صهر الحديد في العصر المروي بالنواحي السياسية والاقتصادية والتطور الاجتماعي-الاقتصادي [88] وهذا يمكن تفسيره بوجود أماكن صهر الحديد في مدينة مروي بالقرب من القصر الملكي، مما يوحي بسيطرة الدولة علي انتاج الحديد، كما ويعطي الانطباع بوجود روابط ايدلوجية وطقسية مرتبطة بشرعية القوة السياسية للحاكم، وهذا مايدلل عليه وجود معبد الاله أبيدماك فوق تلة من خبث الحديد خارج سياج المدينة الملكية من الناحية الشرقية [89].

## سابعاً: مشروع أرشيف حفريات شيني بالمدينة الملكية (2014-2016م):

علاوة على ذلك، انشأت جامعة ريدنق و جامعة الخرطوم مشروعاً مشتركاً لدراسة أرشيف حفريات بيتر شيني في المدينة الملكية (2013م) بإدارة آنا لوسيل بوزر. هدف المشروع الى اعادة فحص المادة الآثارية التي استخرجها شيني من حفريات المباني بالمدينة الملكية، والتي احتوت علي معثورات صغيرة وقطع مختلفة الزخارف والألوان والتشكيل. كما شملت مواداً اضافية من التماثيل المصنوعة يدويًا (غالبًا رباعية الأرجل)، او مايعرف ب (التيرا كوتا)، أدوات النسيج، الأوزانوالقياسات والجرار المختومة والمطبوعة الزخرفة، بالاضافة الى أدوات الزينة وأزمات الشفاه وغيرها من الأشياء الأخرى المتعلقة بالحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية، والحياة المادية لسكان مروي القديمة [90-91].

استمر عمل المشروع لموسمين حقليين تمت فيهما إعادة البطاقات التعريفية للمعثورات المحفوظة بمخازن استراحة جامعة الخرطوم بالموقع، كما تمت دراسة القطع الاثرية وتحسين ظروف حفظها.

تم نشر العديد من الأوراق العلمية المتعلقة بموضوع الدراسة في دوريات مختلفة بواسطة آنا بوذر [92].

## ثامناً: الوضع الراهن بالموقع:

بحلول عام 2000م قررت جامعة الخرطوم تنشيط رخصتها الممنوحة عام 1966م للعمل الآثاري والحفريات والصيانة والترميم في العاصمة الوطنية القديمة (مروي)، وتم تعيين علي عثمان محمد صالح مديرا جديدا للمشروع بقرار مجلس قسم الآثار ومجلس أبحاث كلية الآداب[93].

وبحلول العام 2000م اتفق الفريق الوطني على ضرورة التحقق من العديد من القضايا المتعلقة بمدينة مروي، أولها أجزاء المدينة القديمة حيث أن معظم العمل الآثاري الذي تم تعامل مع الموقع كوحدة مفردة تحت اسم المدينة الملكية دون النظر لما حولها، وعليه فقد تبين جليا من الدراسة الأولية للموقع ككل أن للمدينة أجزاء مختلفة يمكن حصرها في: المنطقة الملكية المسورة، مدينة المعبد، الجزء السكني، الجزء الخاص بالصناعة والمنطقة المفتوحة التى يحتمل أن تكون السوق المحلي للمدينة. كذلك تنبه أعضاء الفريق الى أن هناك مجموعة من الأسئلة الملحة التي لايمكن للعمل الآثاري بموقع المدينة المكلية الاجابة عليها مثل:

- متي وكيف نشأت وتطورت مدينة مروي ؟
- ماهي عوامل ومراحل نمو حضارة مروي –من مرحلة المشيخة الى الدولة، ومن ثم الى امبراطورية ذات علاقات عالمية واسعة، وهل كان ذلك في فترة 400 قبل الميلاد؟
- ماهي عوامل الاستمرارية والتحول التى ساعدت في ظهور دولة جديدة عقب 350م ؟.
- من هم المرويون؟ أين أماكن استيطانهم ؟ أين مدافنهم؟ وما صلتها بالمدينة الملكية والمدن المروية الأخرى على النيل ؟
- كيف نفسر اختفاء عصر الأهرامات المروي والعقائد الدينية والمعمار ؟ [94].

وبحلول عام 2000م كانت هذه التساؤلات هي الموجه الرئيس لعمل بعثة جامعة الخرطوم الآثاري في المدينة الملكية وماحولها حيث أنشأت الجامعة مشروعاً بحثياً بعنوان (آثار مروي الكبرى) ليضم بحوث طلاب الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراة)، والعمل الميداني في مروي الكبرى -جزيرة مروي- التي تضم الضهيرة،

الكربة، والبطانة الغربية، وقد تمت دعوة كافة المشاريع الأجنبية العاملة في هذه المناطق للمشاركة في مشروع آثار مروي الكبري وذلك للتخطيط أيضا لانشاء جمعية جديدة او مجموعة لتنظيم ورش وسمنارات و مؤتمرات تحت هذا المشروع كجزء من المؤتمر العالمي للدراسات المروية الذي ينعقد كل أربع سنوات [95].

بناء على ذلك أنشأ قسم الآثار مشروعاًموجهاً لإعادة حفريات ودراسة وترميم معبد آمون بالمدينة الملكية، وقد كانت البداية الفعلية لهذا المشروع في العام 2014م بدعم من منظمة تنمية الآثار النوبية التابعة للمشروع القطري السوداني المشترك، وقد تم انجاز خمسة مواسم من عمليات الحفريات والترميم والصيانة بالموقع، حيث تم التركيزبشكل أساسي على دراسة الغرف الداخلية للمعبد. وقد أسهم العمل في رسم خريطة جديدة للمعبد، كما تم أخذ العديد من عينات الفحم لإجراء التحليل المعملي عليها مما سيلقي مزيداً من الضوء على التاريخ المعماري للمعبد [96].

وكجزء من مشروع مروي الكبرى أنشأ قسم الآثار مشروعاً ميدانياً تحت اسم (آثار الضواحي الشمالية لمدينة مروي القديمة 2013م) بإدارة علي عثمان محمد صالح. وقد أكمل هذا المشروع عشر سنوات من العمل الآثاري المنهج (المسح والحفريات الاختبارية) في المنطقة مابين مروي القديمة والمطمر شمالا في مسافة غطت حوالي عشرين كيلوميترا، وقد أعد المشروع تقريره النهائي باللغة العربية عام 2013م [97]. تبع ذلك العديد من المشاريع المتخصصة التي مازالت أعمالها مستمرة بالموقع، وقد كانت النتيجة أننا الآن في وضع أفضل للأجابة على الأسئلة المطروحة سابقة الذكر.

## البعثة الروسية في معبد إيزيس:

منذ العام 2020م تولت بعثة الأكاديمية الروسية للعلوم أمر التنقيب في المعبد المسمى بمعبد إيزيس بقرية الدرقاب القديمة، المجاورة لموقع المدينة الملكية ناحية الشمال، وقد أنجزت البعثة موسمها الأول من عمل الحفريات بالموقع وهو الآن قيد النشر (أنظر أرشيف وحدة الكشف الأثري بالهيئة العامة للآثار والمتاحف 2020م).

## كيف تمت إدارة موقع المدينة الملكية؟:

## (نموذج لتقييم ما تم):

فيما يلي، وللوصل الى رؤية مستقبلية لادارة موقع المدينة الملكية، لابد من الوقوف على ماتم من أعمال سبق ذكرها، وذلك في محاولة لتقييمها والاستفادة من نجاحاتها وتجنب تكرر اخفاقاتها في دراسات الموقع المستقبلية. وكما أسلفنا القول فإن **بعثة جامعة ليفربول** بإدارة جون قارستانج (Garstang) كانت أولى البعثات الاثارية التي عملت بالموقع، وقد اتبع جون قارستانج ماعرف بأسلوب التنظيف (Clearance)، كمنهج أولي لحفرياته بالموقع، وذلك بهدف كشف أكبر قدر من المباني والظواهر الأثرية.وقد وصف شيني تفضلاً منهجية قارستانج في الحفر بطريقة حفريات الجملة المتبعة تقليدياً في تلك الأيام بوادي النيل [98]، وقبل تقييم تلك الأعمال لابد من الوضع في الاعتبار أن الخلفية التي عمل على أثرها قارستانج في مروي لم تكن خلفية آثارية، بل جاء مدفوعاًبماكتبه الرحالة الأوربيين عن مروي آنذاك، ولم تُبنى حفرياته على عمل سابق بالموقع،كما كان هدفها الرئيس جمع أكبر قدر من المعطيات الآثارية[99]،والتي شكلت فيما بعد جزءاً لما عرف بمتحفجون قارستانج بجامعة ليفربول.

كان اعتماد قارستانج علي منهج التنظيف في حفرياته مع وضعهللرديم (مخلفات الحفريات) داخل الموقع من أكبر الأخطاء التي صاحبت عمله، حيث شكل نقل الرديم إلى خارج الموقع أحد أهم المشاكل التي جابهت الآثاريين الذين عملوا بعد ذلك بالموقع، كما أدى ذلك الى حجب العديد من الظواهرالأثرية بالمنطقة[100]).

كان قارستانج متأثراًبفكرة علم المصريات والأشوريات والبيزنطينيات، وكافة العلوم القديمة في عصره، والتي ترى في الآثار سجلاًللملوك السابقين، لذلك كان اهتمامه مختصراً على الآثار ذات الطبيعة الملوكية بالموقع، مما قاده لإهمال كافة الظواهر التي تدل على أنشطة العامة وسكنهم بالموقع، وقد تم جرف معظم هذه المواقع أثناء العمل ولم يتم توثيقها [101]، مما ألقى بظلال كثيفة على فهم طبيعة المنطقة ونظم حياة السكان المحليين بالموقع.

كانت الفترة التي عمل خلالها قارستانج في مروي قصيرة جداً بمعايير علم الآثار الحديث، ولم تتجاوز الخمس سنوات، استطاع من خلالها حفر أماكن كثيرة داخل المدينة المسورة وخارجها، مما أثر بصورة واضحة في طريقة تناوله للموقع وتفسيره، وقد كان همه الأكبر خلال ذلك جمع أكبر قدر من المواد الأثرية، لذلك لم يبنى العمل علي أسئلة حقيقية تتعلقبأصول الحضارة المروية، وطبيعة اقتصادها ومجتمعها وعلاقاتها الخارجية.

عقبت بعثة جامعة ليفربول في الموقع بعثة مشتركة مثلت جامعة **الخرطوم وكالقري**طرفيها، وهي الحقبة التي عمل فيها بيتر شيني بالموقع. وقد شهدت الفترة ما بعد قارستانج وبداية عهد شيني أحداث وتطورات عديدة في مجال علم الآثار، حيث أصبح علم معترف به في كافة انحاء العالم ونمت وتطورت طرقه ووسائله، وقد أسهم شيني في تطبيق مناهج أكثر حداثة وصرامة في التعامل مع الموقع الأثري ومعطياته [102]، وقد استفاد شيني من تجاربه السابقة للتنقيب في وادي النيل حيث شارك في حملة اليونسكو لانقاذ آثار النوبة 1959-1969م، بقيادتهلبعثة جامعة غانا في موقع دبيرة غرب، وقد امتد عمله الى مروي من خلال هذه البعثة ومن ثم عبر المشاريع المشتركة لجامعتي الخرطوم وكالقري [103].

تميز عمل شيني بالإنضباط كسائر المدراء الانجليز، وقد أسست أعماله الميدانية لدراسة الموقع ضمن محيطه المجتمعي وبرؤية منفصلة عن علم المصريات [104].

بناء على ذلك، وضعت دراسات بيتر شيني أُسساً علمية محكمة لفهم طبيعة الموقع ومكوناته، وأسهمت في كشف العديد من المعابد على امتداد الممر الملكي لمعبد آمون، بجانب حفريات الكوم الشمالي التي أسفرت عن نتائج مهمة بخصوص بداية مدينة مروي التاريخية وأشكال المساكن الأولية بالموقع حيث أرجعت تاريخ الموقع الى القرن العاشر قبل الميلاد [105-106].

صاحب عمل شيني بالموقع تدريبا للكوادر الوطنية، حيث ضم فريقه آنذاك خريجو الآثار المحدثين من قسم الآثار جامعة الخرطوم[107] وهو تقليد تفتقده مؤسساتنا الحالية.

كانت من الأخطاء الاستراتيجية التي صاحبت عمل البعثة بالموقع هو بناء استراحة العمل داخل حدود الموقع، او مايعرف بساحة المدينة، وقد تم استخدام الطوب المستخرج من الموقع لبناءها مما يُصعِب علي باحثي المستقبل إعادة ترميم تلك المباني باستخدام مادتها الأصلية.

عقب عمل شيني بالموقع بعثة **المانية-سودانية**مشتركة لدراسة آثار مروي، والتي لم يستمر عملها طويلاً نسبة للعديد من المعوقات التي واجهت العمل، وقد أسفر عمل البعثة عن كشف معبداً بالجانب الأيسر المواجه للمعابد التي كشفها شيني كما قامت البعثة بإعادة تخطيط موقع المدينة الملكية [108]. وقد تضمنت أهداف المشروع المشترك بين **جامعة الخرطوم ومتحف أونتاريو** الكندي منذ عام 1999م اجراء بعض أعمال الصيانة وتجهيز الموقع للزوار بجانب تصحيح بعض الاخطاء التوثيقية التي صاحبت اعمال جون قارستانج في الموقع. الا انه لم يتم انجاز ذلك بصورة متكاملة نسبة لقلة ماتم انجازه من عمل. وقد شمل العمل الذي تم اجراؤه في الآونة الاخيرة بدعم من المشروع القطري السوداني علي اعمال استكشاف وصيانة لمعبد آمون خارج سور المدينة، بجانب تنظيم ممر يقود الزائرين الى أجزاء المدينة المختلفة، بدلاً عن تسلق الحوائط أو السير على الجدران المنهارة مما يقود الى زعزعة استقرار نسيج كتل الحجر الرملي التي تشكل مواد البناء الرئيسية للموقع. وقد أثّرت قلة التمويل المتاح على اكمال العمل واجراء خطط المحافظة الشاملة و تطوير استراتيجية فهم وتفسير دائمة لمكونات الموقع المختلفة.

يُعد عمل بعثة **المعهد الألماني للآثار** في الحمامات الملكية من أهم الدراسات التوثيقية في موقع المدينة الملكية، حيث أسهم في فهم أكثر شمولية لتاريخ وهندسة بناء الحمام الملكي، بجانب ترميمه. كذلك أسفرت الحفرياتحول المبنى عن كشف حديقة مروية في جهته الشمالية الشرقية [109-110]، ومن الأشياء التي لم تتنبه لها البعثة حماية المبنى من خطر الفيضانات، وذلك لأنه يتمركز في منطقة منخفضة بالنهاية الجنوبية الغربية للموقع، وقد وصلت مياه الفيضان الأخير (أغسطس-ديسمبر 2020م) الى المبني مما أثر سلباً علي حالة الحفظ المتعلقة بالحجر الرملي الذي يشكل مادة البناء الرئيسية للمبنى.

تعتبر حفريات **جامعة UCL** نقلة حديثة في الدراسات المروية والتي أبانت التطور التقني في الحضارة المروية، وقد أسهمت المنهجية الحديثة التي اتبعتها البعثة في فهم أفضل لطرق واساليب صناعة الحديد في مروي وربطت ذلك بالمحتوى الاقتصادي والاجتماعي لمملكة مروي [111-112].

## إدارة موقع المدينة الملكية الرؤية المستقبلية:

تُعرف خطة إدارة الموقع الأثري على انها مجموعة من العمليات المترابطة والمستمرة التي تهدف الى الكشف عن الموقع الأثري وابراز أهميته وخصوصيته وتاريخه، وتنظيم العمل العلمي الأثري فيه عبر الأساليب والتكنولوجيا الحديثة بما يتناسب بالحفاظ على الموقع، والتدخل بالحد الأدنى في أي تغيرات قد تحدث على الموقع، وتحديد احتياجات العمل الأثري الحالية والمستقبلية بهدف نقل هذا الموقع للعالم بأفضل صورة تضمن حفظه للأجيال القادمة [113]. وتعتبر خطة ادارة الموقع الاثري هي أداة المستقبل في العمل الأثري كما انها من متطلبات التعامل مع المنظمات الدولية كالاتحاد الأوربي واليونسكو وغيرها.

بناء على ذلك تهدف خطة إدارة موقع المدينة الملكية الى الآتي:

1. خلق أرضية موحدة ورؤية مشتركة بين البعثاتوالجهات المهتمةبالموقع.
2. ربط ومشاركة جميع أطراف الإهتمام في الموقع بمافيهم المجتمع المحلي في عمليات تبادل الأفكار والخبرات.
3. امكانية تقييم ومراجعة المعلومات دورياً حول الموقع.
4. اجراء عمليات الصيانة والترميم وخطط العرض السياحي.
5. وللوصل الى رؤية أكثر شمولية يجب الوضع في الإعتبار المحيط الإقليمي للموقع، وهو مايعرف بجزيرة مروي، ومن ثم المحيط المباشر لموقع المدينة الملكية.

وفي سياق المحيط الإقليمي للموقع فقد كشفت الدراسات الآثارية الحديثة عن وجود حضري مكثف في جزيرة مروي [114]، مما قاد للعديد من الأسئلة حول طبيعة الاستيطان المروي وعلاقات الاقتصاد والمجتمع والادارة [115]. أما فيما يتعلق بالمحيط المباشر فقد شكل السياج الواقي للموقع والذي تم وضعه في أربعينيات القرن الماضي علامة بارزة في تاريخ العمل الأثري بموقع مروي القديمة،حيث أسهم

بصورة واضحة في تناول الموقع كوحدة منفصلة عن محيطة العام مما أخل كثيراً بفهم طبيعة الموقع وتاريخ نشأته وعلاقاته المكانية والزمانية.

بناء على ذلك فإن التوجيه الصحيح لدراسة موقع مدينة مروي القديمة هو النظر اليها كجزء من خطة دراسية اقليمية بهدف معرفة الحدود الطبيعية لمنطقة مروي القديمة وفهمها ضمن سياق علم آثار مظهر الأرض الطبيعي (Landscape). وهي منطقة تمتد من سلسلة الجبال التي تظهر في شكل حدوة الحصان مابين ديم القراي ومنطقة جبل أم علي لتشكّل مايعرف باقليم مروي الكبرى (Greater Meroe). ولفهم المحيط الجغرافي والطبوغرافي والثقافي والاقتصادي لمدينة مروي القديمة أنشأقسم الآثار جامعة الخرطوم مشروعهاليداني في ضواحي مروي القديمة الشمالية، ومن خلال ثلاثة مواسم حقلية تضمنت المسح والحفريات الاختبارية تم التوصل إلى العديد من النتائج التي تخدم دراسة تلك الحقبة التأصيلية المهمة لمدينة مروي، ومن ثم إمبراطورية مروي [116].

ولضمان تطبيق منهج علم الآثار الاقليمي في المنطقة يجب مراعات الآتي:

1. دراسة موقع مروي القديمة ضمن خطة إقليمية شاملة تصطحب نتائج الدراسات الحديثة في مواقع المدن المحيطة بالموقع، وذلك ابتداءً من ودبانقا وحتى الكيتواب، وذلك في محاولة لفهم المحيط الاقليمي للموقع والتركيبة الثقافية والادارية للمنطقة في العصر المروي، فمن المعروف أن مدينة مروي لم تكن معزولة عن محيطها الاقليمي المباشر.
2. يجب التعامل مع المواقع الموجودة في محيط المدينة الملكية على انها جزءاً رئيسياً منها، فقد كان لتسوير جزء معين من الموقع وتسميته بالمدينة الملكية أثراً بالغاً في التوجيه الخاطئ للدراسات اللاحقة بأن اعتبرت الموقع محصوراً في تلك الحدود المصطنعة دون النظر لما حوله، وفي هذا السياق يجب ضم قريتي الدرقاب والكجيك، أضافة الى مواقع أكوام خبث الحديد ومعبد الأسد وحتي معبد الشمس ومجموعة الأهرامات المحيطة الي محيط الموقع والنظر اليها كوحدة متكاملة.
3. يجب العمل على بناء جسم يضم كافة البعثات العاملة في حدود إقليم مروي القديمة (جزيرة مروي)، وذلك لتبادل الخبرات والنتائج بصورة

تضفي الى ربط المعلومات المتاحة وتحليلها للوصول الى رؤية تسهم في فهم أشمل لموقع العاصة ومحيطه بدلاً عن نشر تقارير واوراق منفصلة عن كل موقع على حده. ولضمان نجاح خطة ادارة موقع المدينة الملكية يجب استصحاب التقنيات الحديثة في عمل الخطة وتنفيذها، والتي من اهمها نظم المعلومات الجغرافية (GIS – Geographical Information System) الذي يعتبر من الأدوات المهمة في توثيق وادارة المواقع الأثرية وذلك لقدرته العالية في الرصد والتوثيق والتحليل والاظهار. ولضمان توظيف كميات كبيرة من البيانات المكانية والوصفية عن الموقع يجب تحويلها الى بيانات الكترونية والتي تتيح لاكثر من مستخدم او جهة الوصول الى البيانات وتعديلها آنيا مما يوفر الكثير من الوقت والجهد والمال، ويعطي أفقٍ أوسع لنشر البيانات وتصميم تطبيقات عملية عليها، ويسهم في عمليات توثيق الكترونية وشاملة للموقع [117].ولتحقيق ذلك يجب تطوير نظام الكتروني (قاعدة بيانات) لتوثيق وادارة موقع المدينة الملكية ليكون جزءاً مهماً من استراتيجية التطوير لتعزيز قواعد البيانات والمعلومات الخاصة بالموقع. ويساهم هذا النظام في تسهيل وصول المعلومة المتكاملة لصانعي القرار وللباحثين والسياح، حيث يسهم في توفير معلومات مفصلةعن موقع المدينة الملكية من حيث الموقع الجغرافي، والاحداثيات، والطبوغرافيا، والمساحة والارتفاع من سطح البحر، كما يوفر معلومات عن التسلسل الزمني للموقع وأهميته وقيمته وحالة الحفظ والدراسات والابحاث السابقة التي تم اجراؤها عليه، اضافة الي معلومات عن حالة الموقع والعوامل المؤثرة عليه والمهددات، كما ويسهم في تطوير وحماية الموقع.

## الصيانة والترميم:

هناك العديد من الأسباب التي أثرت بشكل مباشر أو غير مباشر في تضرر المباني الأثرية بموقع المدينة الملكية، وقد تنوعت هذه الأسباب مابين طبيعية وبشرية. حيث تمثلت الأسباب الطبيعية في مياه الامطار المنحدرة للمناطق

المنخفضة داخل الموقع خاصة معبد آمون، وكذلك مياه النيل عند الفيضان كما لوحظ بصورة مباشرة في الفيضان الأخير أغسطس-سبتمبر 2020م، الذي وصلت مياهه الى داخل الموقع وأثّرت على اجزائه مثل الحمام والمباني المجاورة كما وصلت المياه الى المبني M750، وكذلك عبرت الى داخل المدينة عبر الخور الفاصل بينها وبين قرية الكجيك الحالية.

بجانب ذلك تمثل التجوية الناتجة من اختلاف درجات الحرارة أخطر مهددات الموقع الذي بني معظمه من الحجر الرملي، ومن المعروف ان هذا النوع من المواد شديد التأثر بعوامل التجوية مما يسبب له التآكل والتفتت والانهيار. تتمثل الأضرار البشرية في اعادة استخدام مواد الموقع في البناء وهو ماحدث عند بناء استراحة الموقع في سبيعينيات القرن الماضي، بجانب ذلك تتسبب الحيوانات المتحركة فوق الموقع وخاصة الأغنام في تكسر وتفتت كتل الحجر الرملي، ذلك اضافة الى التأثير الناجم عن حركة مرور السياح وتسلقهم لمباني الموقع، وهو نتاج عدم التخطيط السليم لمرور السياح والارشاد السياحي بالبلاد.

بدأت بعثة جامعة الخرطوم ومتحف أونتاريو الملكي صيانة صروح المدينة الملكية منذ عام 2000م الا ان ما انجز من هذا العمل قليل جدا ومازال في مراحله الأولية التي شملت على تنظيف الصروح مما تراكم عليها من اتربة مجلوبة بفضل الحفريات السابقة لجون قارستانج في الموقع. ومن أهم الأماكن التي تحتاج لعمل صيانة مستعجلة معبدى آمون وأغسطس، بجانب القصور الملكية وسور المدينة. وقد تم في الآونة الاخيرة اجراء عمليات ترميم وصيانة لمعبد آمون بواسطة بعثة جامعة الخرطوم، والحمام الملكي بواسطة بعثة المعهد الألماني للآثار مما أسهم في تقديمها بشكل أفضل للزوار. ولضمان استمرارية تلك الاعمال ونجاحها يجب الوضع في الاعتبار استصحاب خطة طويلة الأمد لأعمال الترميم والصيانة بواسطة فرق متخصصة باستخدام آليات مناسبة للأجزاء المرممة دون المساس بالمظهر العام للمباني، مع الوضع في الاعتبار ضرورة استمرار العمل الترميمي والبحثي في آن. وكجزء لايتجزأ من ذلك يجب اعادة بناء السياج الواقي للمدينة وماجاورها بمواد أخرى غير ذلك السلك الشائك الذي فُقدتمعظم أجزاءه،

وقد بدأت بعثة جامعة الخرطوم العاملة بمعبد آمون إعادة تسوير الموقع بحواجز حديدية جديدة ولكن لم يتم اكمال العمل نسبة لقلة التمويل.

## العرض السياحي:

يجب ان تتضمن الرؤية المستقبلية لإدارة موقع مروي القديمة استصحاب خطة محكمة لإدارة الزوار وتوجيههم بالموقع. حيث أنه والى الوقت الحالي، يستكشف الزوار الموقع بصورة عشوائية علي الرغم من الممر المرسوم حديثا بواسطة بعثة جامعة الخرطوم، ومما ساهم في ذلك عدم وجود علامات لارشاد السياح في الموقع، اضافة الى عدم وجود علامات التحذير ولوحات المعلومات بمكونات الموقع المختلفة باستثناء موقع الحمام الملكي الذي عملت البعثة الألمانية فيه على توفير معلومات كافية باللغتين العربية والانجليزية حتى يتمكن الزائر من فهم طبيعة المبنى.

توصي الدراسة باعداد مثل هذه الموجهات والمعلومات حتى تعين الزائر في فهم المحتوي الثقافي للموقع بصورة مفصلة بعيداً عن مايقدمه المرشد السياحي، سيما وان اضيفت بعض الخرط التوضيحية للمباني وتفسيراتها المحتملة.

ولضمان استمرارية موقع المدينة الملكية كأحد الميزات الأساسية للجذب السياحي بالمنطقة لابد من:

- بناء التخطيط السياحي للموقع على دراسات علمية وفنية للأوضاع القائمة والعوامل المؤثرة، ذلك مصحوباً بمراجعة شاملة للوضع السياحي بالموقع بشكل يضمن بقاءه واستمراره، ومن ثم نموّه وتطوره لزيادة المعلومة الآثارية بصورة مضطردة وبالتالي ضمان زيادة اعداد السياح بالموقع.
- إعداد أرشيف كامل عن الموقع، تاريخه، أجزاؤه ومراحل تطور العمل الآثاري به، ذلك مصحوباً بمادة علمية عن المجال الثقافي في شكل مقروء او مسموع او مرئي على ان تقدم في شكل جذّاب. وفي هذا الجانب يقترح تصميم موقع الكتروني باسم الموقع ليضم كافة جوانبه التوثيقية.
- إقامة متحف خاص بالموقع يحوي أهم القطع الآثارية المستخرجة منه، بجانب منشورات توضح تاريخ العمل الأثري بالموقع، ونبذة مختصرة للبعثات التي عملت والتي تعمل حالياً بالموقع، وقد بدأت بعثة جامعة

الخرطوم مؤخراًفي تأهيل مبني استراحة الجامعة، والتي قام ببناءها بيتر شيني في سبعينيات القرن الماضي، الى متحف كي يضم محتويات الموقع اضافة الى صالات العرض والمؤتمرات.

## خاتمة:

وفقاً لما ناقشته الورقة، تعتبر ادارة المصادر الآثارية من أهم العلوم المساعدة والتي يمكن على ضوءها خلق قاعدة ثابته للحفاظ على المواقع الآثارية ومن ثم عرضها للزوار بغرض تنمية الحس والدخل القوميين. وقد أختير موقع المدينة الملكية باعتبار أنها العاصمة الوطنية الأولى للحضارة المروية والتي استمر تاريخها لقرون طويلة (على الأقل من القرن العاشر قبل الميلاد وحتى القرن الرابع الميلادي)، كما استمر العمل البحثي والتحليلي بها لمدى طويل من الزمن، وقد ناقشت الورقة ماتم من أعمال في الفترة من 1909-2021م، حيث تم تقييم هذه الأعمال وعرض أهم نجاحاتها وجوانب قصورها حتى تكون معينا للدراسات الحديثة والمستقبلية بالموقع، وهو نموذج دراسى يمكن أن يحتذى به خاصة في المواقع التي استمرت فيها الأعمال الآثارية لمدى طويل من الزمن مثل مواقع كرمة وجبل البركل والكوة وغيرها.

توصي الدراسة بضرورة استصحاب التقنيات الحديثة في إدارة المواقع الآثارية وعرضها للجمهور، حيث أصبح للمنجزات التكنلوجية والرقمية دور كبير في رصد ما يطرأ من تغيرات على حالة المواقع الآثارية وعرضها على أطياف واسعة من الجماهير في شتى بقاع العالم.

## المصادر و المراجع:


(1) Shen, C and Chen, H. 2010. Cultural Heritage Management in China;Current Practices and Problems, in Messenger, P and Smith, S. (eds.), *Cultural Heritage Management, A Global Perspective*, University Press of Florida Gainesville/ Tallahassee/Tampa/Boca Raton Pensacola/Orlando/Miami/ Jacksonville/Ft. Myers/Sarasota, pp7081-.

(2) الضباعين، أشرف عبدالله .2012. مواقع التراث الثقافي إدارة وسياحة وتسويق، منشورات وزارة الثقافة، الأردن. ص72 ص42

(3) قسيمة، كباشي حسين .2008. التجربة السودانية في إدارة التراث الثقافي، الطبعة الأولى، مطبعة المروة للطباعة والنشر، الخرطوم.ص23

(4) الضباعين، أشرف عبدالله، مرجع سابق،ص14

(5) المرجع نفسه، ص146

(6) Kleinitz, C, and Näser, C. 2014. Site management planning at Musawwarates-Sufra, Sudan: Condition Assessments, Conservation and Rehabilitation measures, and the Development of a first Visitor Guidance System, in *Der antike Sudan. Mitteilungen der Sudanarchäologischen Gesellschaft zu* Berlin e.V, Vol. 25, pp725-.

(7) Shinnie, P. 1996. *Ancient Nubia*. London and New York. Pp107108-.

(8) Saaid, A and Bashir, M. 2020. The archaeology of Wadi el-Dan North of ancient Meroe: Excavations of some unusual Tumulus Graves,In *Der antike Sudan. Mitteilungen der Sudanarchäologischen Gesellschaft zu Berlin e.V,* Vol. 31, pp6373-.

(9) Hakem, A. 1978. The Art of Ancient Nubia and the Sudan, *Africa in Antiquity,* Vol.1- Brooklyn, pp3745-.

(10) عثمان، علي محمد صالح .2009. مروي القديمة_ المدينة الملكية وصروحها وضواحيها الشمالية: التعريف، الصيانة والترميم والتأهيل للسياحة الثقافية، ورقة غير منشورة، تم تقديمها لدى مشروع التعاون القطري السوداني لتنمية الآثار النوبية بولايتي نهر النيل والشمالية. الخرطوم قاعة الصداقة، ص4.

(11) Shinnie, P. 1967. *Meroe, A Civilization of the Sudan*, London, pp1327-.

(12) Bruce, J. 1790. *An Interesting Narrative of the Travels of James Bruce Esq. into Abyssinia, to Discover the Source of the Nile*, Abridged from the Original Work by Samuel Shaw, London. P295.

(13) Shinnie, P.1967, Ibid: 24

(14) Bruce, J. ibid: 295

(15) Robertson, J. 1992. History and Archaeology at Meroe, in J. Sterner and N. David (eds.), *An African Commitment, Papers in Honour of Peter Lewis Shinnie*, pp 3550-. Calgary, University of Calgary Press. P42.

(16) Shinnie, P. 1967, Ibid: 24

(17) Shinnie, P. 1967, Ibid: 77

(18) Hinkel, F.W., and Siewertsen, U. 2002. Die Royal City von Meroe und die repräsentative Profanarchitektur in Kusch. *The Archaeological Map of the Sudan*. *Supplement* I. Berlin: Verlag Monumenta Sudanica.

(19) Adams, W.Y. 1977. *Nubia*: *Corridor to Africa*. Princeton: Princeton University Press.

(20) Boozer, A. L. 2019. Meroë, In Anderinto, S. (ed.), *African Kingdoms*: *An Encyclopedia of Empires and Civilizations*, Published by Encyclopedia of Global Archaeology, (https://doi.org/10.1007-3390_1-51726-319-3-978/1), pp19-.

(21) Boozer, A. L. 2017. A Historiography of Archaeological Research at Meroe, Sudan, *Encyclopedia of Global Archaeology*, Published by Springer International Publishing, pp209284-.

(22) Robertson, J. ibid: p 42.

(23) Shinnie, P., and Bradley. R. 1980. The Capital of Kush 1: Meroe excavations 1965–1972. *Meroitica* Vol. 4. Berlin.

(24) Humphris, J, Michael F. Charlton, J, Keen, L and Fareed A. 2018. Iron Smelting in Sudan: Experimental Archaeology at The Royal City of Meroe, *Journal of Field Archaeology, DOI*: 10.108000934690.2018.1479085/, pp118-.

(25) عثمان، علي محمد صالح، مرجع سابق، ص9

(26) Robertson, J. ibid: p 41.

(27) قسيمة، كباشي حسين، مرجع سابق

(28) Salvatore, C. L. 2018. *Cultural Heritage Care and Management*; *Theory and Practice*, Published by Rowman and Littlefield Publishers. *New York • London*.

(29) Messenger, P and Smith, S. 2010. *Cultural Heritage Management A Global Perspective*, University Press of Florida Gainesville/Tallahassee/ Tampa/Boca Raton Pensacola/ Orlando/Miami/Jacksonville/Ft. Myers/ Sarasota, USA.

(30) Garstang, J. 1911. Excavation at Meroe, Sudan. Second Season, 1910. *Guide to the Ninth Annual Exhibition of Antiquities Discovered*, London.

(31) Shinnie, P., and Bradley, ibid.

(32) Shinnie, P., and R. Anderson. J. 2004. The Capital of Kush 2, Meroë excavations 1973–1984. *Meroitica,* Vol. 20.

(33) Grzymski, K. 2003. *Meroe Reports I*. SSEA Publications XVII Mississauga

(34) Weing, S. 1994. Meroe Joint Excavation-Bericht uber die Vorkampagne 1992, *MittSAG 1*: 1518-.

(35) Wolf, S. 2015. The Royal Baths at Meroë: Recent investigations. In. Zach, M. H, (ed.), *The Kushite world*: *Proceedings of the 11th international conference for Meroitic studies,* Vienna, 1–4 September 2008, Vienna: pp329–330.

(36) Humphris, J. and T. Rehren. 2014. Iron production and the kingdom of Kush: An introduction to UCL Qatar's research in Sudan. In: A. Lohwasser, A., and Wolf, P (Hrsg): *Ein Forscherleben zwischen den Welten*. *Sonderheft MittSAG*, pp177224-. Berlin

(37) Hakem, A. ibid: 45

(38) Török, L. 1997. *Meroe City, an ancient African capital. John Garstang's excavations in the Sudan*. London: Egypt Exploration Society. P2.

(39) Grarstang, J. Sayce, A, and Griffith, F. 1911. *Meroe the City of the Ethiopians Being An Account of the First Seasons Excavations on the Site 19091910*-. Oxford. Pp810-.

(40) Török, L. ibid: 4

(41) Török, L. ibid: 4

(42) Grzymski, K. ibid: 3

(43) Török, L. ibid: 1

(44) Garstang, J. and George, W. 1914. Fourth Interim Report on the Excavations at Meroë in Ethiopia. *LAAA*, No.6, pp.121-.

(45) Garstang, J., Phythian, W., and Sayce A. 1916. Fifth Interim Report on the Excavations at Meroë in Ethiopia. *LAAA, No*. 7, pp124-.

(46) Török, L. ibid: 3

(47) Adams, W.Y. ibid: 308

(48) Grarstang, J. Sayce, A, and Griffith, F. 1911. ibid: 3947-

(49) Ibid.

(50) Garstang, J. 1912a. Second Interim Report on the Excavation at Meroe in Ethiopia, *LAAA4*, pp4552-.

(51) Garstang, J. 1912b. *Guide to the Eleventh Annual Exhibition of Antiquities Discovered*, London.

(52) Garstang, J. 1913. Third Interim Report on the Excavation at Meroe in Ethiopia, *LAAA*5, pp7383-.

(53) Garstang, J. and George, W. 1914. Fourth Interim Report on the Excavations at Meroë in Ethiopia. *LAAA*, No.6, pp.121-.

(54) Garstang, J., Phythian, W., and Sayce A. 1916. ibid.

(55) Török, L. ibid

(56) Shinnie and Bradley 1980, Ibid: 7

(57) Shinnie and Anderson, Ibid.

(58) Shinnie and Bradley 1980, Ibid

(59) Shinnie and Anderson, Ibid.

(60) Hawkes, J. 1982. *Mortimer Wheeler*: *Adventurer in Archaeology*, London. P170.

(61) Shinnie, P. 1973. Methods of Filed Investigations and Documentation, in *Meroitica*, No.1, Berlin, pp353379-.

(62) Bradley, R. 1984. Meroitic Chronology, in *Meroitica,* Berlin. 195–211.

(63) Ibid

(64) Ibid

(65) Shinnie, P. 1996. ibid: 110

(66) Shinnie and Bradley .1980. Ibid

(67) Török, L. ibid

(68) Shinnie, P. L. 1974. Meroe in the Sudan, in: Willey, GR., ed., *Archaeological Research in Retrospect*: 237265-, Cambridge, Mass.

(69) Shinnie, P. 1984. Excavation at Meroe 19741976-, in: Hintze, F., ed., Meroitistische Froschungen 1980, *Meroitica,* 7, pp498504-, Berlin.

(70) Shinnie, P. 1987. Meroe 19841985/, Nyame Akuma, 28, pp4849-.

(71) Shinnie, P., and Kense, F. 1982. Meroitic Iron Working, in: Millet, N., Kelley, A. (eds.), Meroitic Studies: Proceedings of the Third International Meroitic Conference, *Meroitica, 6*. Toronto 1977. Akademie-Verlag, pp. 17–28, Berlin.

(72) Ibid 28.

(73) Bradley, R. 1982. Varia from the City of Meroe, in: Millet, N., Kelley, A. (eds.), Meroitic Studies: Proceedings of the Third International Meroitic Conference, *Meroitica*, 6. Toronto 1977. Akademie-Verlag, pp. 163170-, Berlin.

(74) Bradley, R. 1984. ibid

(75) Robertson, J. ibid

(76) Tylecote, R. 1982. Metal Working at Meroe, Sudan, in: Millet, N., Kelley, A. (eds.), Meroitic Studies: Proceedings of the Third International Meroitic Conference, *Meroitica*, 6. Toronto 1977. Akademie-Verlag, pp. 43–49, Berlin.

(77) Wenig, S. ibid

(78) Eigner, D. 1996. Die Grabung am Schlackenhugel NW 1 in Meroe, *MittSAG*, 4, pp2327-.

(79) Eigner, D. 2000. Meroe Joint Excavations: Excavation at Slag Heap NW1 in Meroe, *MittSAG*, 10, pp7476-.

(80) Wolf, P. 1996. Vorbericht uber Ausgrabungen am Temple MJE 105, *MittSAG*, 4, pp2843-.

(81) Grzymski, K. 2003. ibid: 2

(82) Grzymski, K. 2005. Meroe, the Capital of Kush: Old Problems and New Discoveries, in *Sudan& Nubia, the Sudan Archaeological Research Society*, No, 9, pp4759-.

(83) Grzymski, K. 2003. ibid: 3

(84) Wolf, S. 2015. Ibid.

(85) Wolf, P, and Nowotnick, UIearbeiten Der Kampagnen .2009. Meroë und Hamadab – Stadtstrukturen und Lebensformen Im Afrikanischen Reich Von Kusch. Die Arbeiten der Saison 2008 und 2009, Mit einem Beitrag Von Burkart Ullrich, *Archäologischer Anzeiger* /2, Vol. 296 Seiten Mit 283 Abbildungen, pp.215-262.

(86) Humphris, J., and Carey, C. 2016. New Methods for Investigating Slag Heaps: Integrating Geoprospection, Excavation and Quantitative Methods at Meroe, Sudan, In *Journal of Archaeological Science*, Vol. 70, pp. 132144-.

(87) Humphris, J., and Scheibner, T. 2017. A New Radiocarbon Chronology for Ancient Iron Production in the Meroe Region of Sudan, in *African Archaeology Rev*, No.34, pp. 377–413.

(88) Ibid: 406

(89) Halaand, R. 2014. The Meroitic Empire: Trade and Cultural Influences in an Indian Context, *African Archaeological Review*, pp649673-.

(90) Boozer, A. L. 2017. Ibid: 2

(91) Ibid

(92) Boozer, A. L. 2019. Ibid.

(93) عثمان، علي محمد صالح. 2013. التقرير النهائي للمسح الآثاري لمشروع قسم الآثار في ضواحي مروي الشمالية 2013-2014م. ص2

(94) المرجع نفسه، ص5

(95) البدري، محمد سليمان، و عثمان، علي محمد صالح .2021. موقف الدراسات في آثار مروي القديمة ونتائجها الأولية، ورقة منشورة بمجلة الدراسات السودانية، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية بجامعة الخرطوم، مجلد رقم 25. ص 39-65.

(96) Grzymski, K.2017. The Amun Temple at Meroe Revisited, in *Sudan& Nubia, the Sudan Archaeological Research Society*, No, 21, pp134147-.

(97) عثمان، علي محمد صالح. 2013. مرجع سابق

(98) Shinnie, P. 1967, Ibid: 77

(99) Grarstang, J. Sayce, A, and Griffith, F. 1911. ibid: 17-

(100) (100) Grzymski, K. 2003. ibid: 23-

(101) (101) Török, L. 1997. Ibid: 4

(102) (102) Shinnie, P. 1973. Methods of Filed Investigations and Documentation, in *Meroitica*, No.1, Berlin, pp353379-.

(103) (103) Boozer, A. L. 2019. Ibid: 3

(104) عثمان، علي، محمد صالح، مقابلة شخصية 2019

(105) Shinnie and Bradley 1984, ibid: 790-

(106) Bradley 1984, ibid: 207208-

(107) Boozer, A. L. 2017. Ibid: 4

(108) Wolf, P. 1996, Ibid.

(109) (109) Wolf, S. 2015. Ibid.

(110) Wolf, P. et al, 2015. Ibid.

(111) Humphris and Carey 2016, ibid: 135136-

(112) Humphris and Scheibner 2017, ibid: 406

(113) الضباعين، أشرف عبدالله، مرجع سابق، ص147.

(114) البدري، محمد سليمان .2019.، سمات المدينة في العصر المروي، ورقة قيد النشر بمجلة السودان الجغرافية- كلية علوم الجغرافيا والبيئة- جامعة الخرطوم، العدد الثالث_الجزء الثاني. ص3

(115) Albadri, M. 2018. *Meroitic Urban Centers*: *A comparative Archaeological Study between Kedurma and Hamadab*. Unpublished PhD. Thesis, the University of Khartoum, Department of Archaeology.

(116) البدري، محمد وعثمان، علي، مرجع سابق، ص12

(117) الضباعين، أشرف عبدالله، مرجع سابق، ص251

# الاستحكامات الدفاعية فى المهدية فى ضؤ دراسة التراث الحضارى(1885–1899م)

د.فيصل عبــد الله عمر محمد

قسم الاثار-كلية الاداب- جامعة دنقلا

**مستخلص:**

تهـدف هـذه الدراسـة الى القـاء الضـؤ عـلى نظـم الاسـتحكامات الدفاعيـة ( الطـوابى ) وتاريخهـا ووظائفهـا وتوزيعهـا الطوبوغـرافى ودورهـا الدفاعـى خـلال دولـة المهديـة .تعتـبر هـذه الاسـتحكامات ضمـن مبـانى الـتراث الاثـرى التاريخـى، وهـى تحمـل العديـد مـن القيـم الثقافيـة والاجتماعيـة والسياسـية والحضاريـة . تشـتمل الدراسـة عـلى عـدة جوانـب – مفهـوم ومعنـى الاسـتحكامات الدفاعيـة ( الطـوابى)– اثـر البئيـة المحليـة فى تصميـم وبنـاء الاسـتحكامات الدفاعيـة خـلال المهديـة – انـواع ووظائـف الاسـتحكامات الدفاعيـة - اثـر الاسـتحكامات الدفاعيـة عـلى الحيـاة السياسـية خـلال المهديـة – التوزيـع الطبوغـرافى للاسـتحكامات الدفاعيـة خـلال المهديـة – التحليـل والمناقشـة-خاتمة واسـتخدمت الدراسـة المنهـج التاريخـى الاثـرى و التحليـلى المقـارن .ومـن اهـم نتائـج الدراسـة تعتـبر الاسـتحكامات الدفاعيـة احـد رمـوز الـتراث الاثـرى الـذى يجـب حفظـه وصيانتـه

**كلمات مفتاحية :**الاستحكامات (الطوابى)، التراث الحضارى ( التراث الاثرى )

**Abstract :**

Defensive fortification in Mahdia in the light of the study of the civiliztional heritage (1885 -1899)This study aims to shed light on the defensive fortifications systems (Tawabi),their history ,functions,topographic disturbution and their defensive role during the state of Mahdia .It bears many cultural, socil civilizational and political values. The study contains the concept and meaning of defensive fortifications and the impact of the local environment on the design and construction of defensive fortifications during the state of Mahdia . Its bears

many cultural ,social civilizational and political values .The study contains the concept and meaning of devensive fortifications and the impact of local environment on the design and construction of devensive fortifications during the state of Mahdia.The study used the archaeological and copartive historical method , and one of the most important results of the study is that the fortifications are one of the symbols of the archaeological heritage that must be served .

**مقدمة :**

تعتبر دراسة الاستحكامات الدفاعية ( الطوابى) بكل انواعها من خلال الدراسات التوثيقية والمسحية والوصفية والتحليلية والتاريخية المقارنة احدى مهام علم الاثار والتراث الحضارى ونظرة الاثارى لشواهد الماضى اذ ان من مهام علم الاثار انقاذ ما تبقى من التراث الحضارى الاثرى والتاريخى امام انعكاسات برامج التنمية والزحف السريع للنهضة العمرانية التى قضت على عدد كبير ومهم من المواقع الاثرية ولا تزال تهدد ما تبقى منها حاضراً ومستقلاً .

كان من اهم ما تركه من هذه النشاطات خلال عهدالدولة المهدية هى الاستحكامات ( الطوابى ) والتى تعد من اهم معالم التراث الحضارى الشاهد على الارث العسكرى والمدنى . ولاهمية الاستحكامات كعناصر ذات مدلولات حضارية وثقافية كان اهتمامنا بهذا الموضوع لانجازدراسة وصفية تحليلية وتوثيقية مقارنة .

تبرز اهمية البحث فى انه يحاول ابراز وتاكيد الاصالة الحضارية والثقافية لسكان بلاد السودان القاطنين فى هذه الرقعة الجغرافية من وادى النيل من خلال الفترة الزمنية المحددة له .

**مشكلة البحث :**

إن فكرة بناء الطوابى خلال دولة المهدية صاحبتها الكثير من اوجه النظر المختلفة ، هل بناء الطوابى كان معروفا ام دخيلا على بلاد السودان ، لذا تحاول الدراسة توضيح هذا الغموض .

## مفهوم ومعنى الطابية :

معنى الطابية كما جاء فى القواميس ( عربى – انجليزى ) : fortress ; castle
ولهذا وجب علينا ان نبحث فى معانى الاستحكامات والقلاع او الحصون ولعل مصطلح الاستحكامات هو الاقرب لمعنى ومفهوم الطابية
معنى استحكام فى معجم المعانى الجامع – معجم عربى عربى .

### 1 – اِستحكام : ( اسم )

الجمع : استحكامات
مصدر استحكم / استحكم على
الاِستحكام فى الامور : التمكن منهَا
تحصين اقام الجيشُ استحكامات حول جبهة القتال
استحكام المرض : اذا تجاوز السنه فلا يزول الا نادراً
استحكام المَوضُوع : متَانته ، رسوخه

### 2 – اِستحكم : ( فعل )

استحكم / استحكَم على يستحكم ، استحكاماً، فهو مُستحكم ، والمفعول مستحكم عليه
استحكم فى اموره : تمَكنَ منهاَ
اِستَحكَمَ فى أمُوره : تمكنَ منهَا
استحكم فلان : صار حكيماً وتناهى عما يضرهُ
استحكم المرضُ : صار مزمناً
استحكم عليه الشئ : التبس

### 3 – استحكام :

جمع استحكامات ( لغير المصدر):

1. مصدر استحكمَ/ استحكمَ على.
2. تحصين :- اقام الجيش استحكامات حول جبهة القتال.

.استحكام المرض: اذا تجاوز السنة فلا يزول الا نادراً ( معجم اللغة العربية المعاصر ) .

جاء فى الموسوعة الحرة , تجمع الطابية فى السودان على طوابىء وهى عبارة عن استحكامات عسكرية دفاعية وهجومية . وهى فى الاصل بناء عسكرى

فى شكل خندق عميق ساتر مبنى من من الطوب واللبن والطين والحجارة بها فتحات تبعد كل فتحة عن الاخرى 92 سم تقريباً, تسمى بالمزاقل وعليها ابراج المدفعية. ( الموسوعة الحرة ).

## الحصن والقلعة والطابية :

تشترك كل هذه المبانى فى المفهوم العام وهى الحماية والدفاع وتختلف فى الوسائل والاساليب والشكل المعمارى .

### الحصن :

يتكون الحصن من مجموعة من المبانى ذات طبيعة مدنية وعسكرية ، اى ان الحصن يقطنه السكان المحليون ويمارسون حياتهم داخل الحصن من تجارة وصناعة ، اما الزراعة فهى خارجه،ويقطنه الجنود الذين يحمون الحصن ،والحصون هى اكبر المبانى الثلاثة .

### القلعة :

هى النوع الثانى من المبانى ذات طبيعة مدنية وعسكرية وهى تستعمل عادة لايواء حاميات عسكرية دون وجود مدنيين وتبنى بصورة محكمة بها وسائل الحماية واساليب الدفاع ومساحتها اصغر من الحصن وهى ترتبط احيانا مع قلاع اخرى مشكلة سلسلة حماية ودفاع،وقد عرف المسلمون من هذا النوع الابنية العسكرية ، وكان يمى الرباط ويسكنه المجاهدون وقد انتشر فى صدر الاسلام وهى فى معظمها ابنية مستطيلة تعلوهاابراج المراقبة،وتحيط غرفها بالحصى الداخلى ، ولا نوافذ لها ورباط العسكر بخلاف رباط التصوف ، اذ ان الاخيرللعبادة وخلود النفس لها [1]).

### الطابية :

الطابية هى اصغر المبانى المذكورة سابقا التى تستعمل للحماية والدفاع وتتدرجمن مبنى مربع ذو تفاريج ( فتحات ) تستعمل بواسطة الجنود الموجودين داخلها ويقتصر استخدامها فى المهمات الدفاعية العسكرية ذات لنتائج السريعة ويتدرج شكلها نحو الصغر حتى تصبح مثل التل الترابى ذو الفتحات. عرف السودانيين هذا النوع ايضاً للحماية والدفاع ويقبع خلفه الجنود ، وقد اشار اليه قاموس مريام وبيستر كولجيت فقد عرف كل المبانى الثلاثة شكلها ووظيفتها فنجد يشير فى تعريفه للطابية بانها نقطة عسكرية دائمة army permanent post.

تندرج طوابى المهدية تحت النوع الثالث من مبانى الحماية والدفاع وقد تمت الاشارة الى عدة تعريفات للطابية خلال هذا البحث [2].

## ظهور ونشاة الطوابى فى السودان :

ارتبط ظهور الطوابى بالدولة المهدية فى السودان , ومن اكثر المدن التى اشتهرت بها هى امدرمان التى كانت عاصمة للدولة المهدية . وقد عرفت الطوابى قبل مجىء جيوش محمد على باشا للسودان وقبل الحكم التركى المصرى وكانت مشيدة ذاك بالقرب من النيل , من اوائل الطوابى التى بنيت فى عهد المهدية كانت فى منطقة فركة حيث امر بتشييدها الامير عثمان ازرق لصد قوات الغزو الانجليزى المصرى , واما الامير محمد ود بشارة فقد امر ببناء ثلاثة طوابى فى الحفير كان لها الفضل فى اعاقة تحرك جيش السردار كتشنر الذى لم يتمكن من التفوق الا بصعوبة بالغة بمساعدة المدفعية الضاربة لاسطول النهر, كان ذلك فى عام 1896م, وقد بنى الامير يونس الدكيم لاحقاً طوابى فى كل من جبرة , صحراء بيوضة والمتمة على ضفة نهر النيل .

## الاستحكامات الدفاعية فى الحضارات السودانية :

ان فكرة الملاجىء الامنة من موروثات الثقافة السودانية ( القلاع والحصون والطوابى ) لم يعرف عنها فى كافة فترات التطور التاريخى فى السودان انها استخدمت كنقاط هجوم على المدن او القرى المجاورة ، لم يكن لهذه الاستحكامات اى دور عسكرى عدوانى وانما هى وسائل دفاعية استخدمها النوبيين مئات المرات للدفاع ضد غارات الشايقية قبل الغزو التركى بقيادة اسماعيل باشا وقد اشارت الى هذه الحقيقة طوابى المهدية وهى اخر وسيلة دفاعية شيدها السودانيون للدفاع,وفكرة تشييدالاستحكامات مثل هذا النوع نجدها فى كثير من الثقافات فى العالم، فقد ارتبطت بحاجة الامن وهى الحاجة الثانية الريئسية للانسان بعد حاجته الطبيعية، فالوظيفة الاساسسية للاستحكامات بصورتها هى الحماية اى الامن [3].

## حصون المملكة المصرية الوسطى (2040 -1750 ق.م)

خلال الفترة المعروفة بالدولة المصرية الوسطى بسط فراعنة الاسرة الثانية عشرة نفوذهم على السودان جنوبا حتى سمنه بارض الحجرجنوب حلفا وبنيت الحصون فى اماكن استراتيجية بين اسوان وسمنه لحماية نشاط التعين والطرق التجارية، ومن هذه الحصون كوبان عند مدخل العلاقى الموصل الى مناجم الذهب ومرقسة [4]وشلفاك واورنارتى وسمنه ن وبوهين جنوب عكشة على الضفة الغربية للنيل

## قلاع الفترة المسيحية فى السودان :

من المخلفات الواضحة للحضارة النوبية المسيحية القلاع التى نجدها مبعثرة مابين الحدود المصرية فى فرس الى منطقة الشلال الخامس جنوب ابى حمد

وقد اشار اليها الاب فانتينى فى كتابه تاريخ المسيحية.وقد اشار اليها ايضا كروفورد خلال المسح الاسرى الذى اجراه فى المنطقة الواقعة ما بين عطبرة والكاب.ومن الامثلة نجد قلعة دنقلا العجوز التى تعرف حاليا مسجد دنقلا.ايضا من الامثلة للقلاع المسيحية قلعة كجبى [5].

## قلاع وطوابى الفترة الاسلامية :

عرفت العناصر العربية التى قدمت الى السودان اساليب فن العمارة المختلفة قبل ظهور الاسلام وخاصة البناء بالحجر والطين فقد تحركت هذه العناصر من مستقرات مشابهةفى طبيعتها لمناطق شمال واواسط السودان (زين 1996: 91).

لم تقتصر القلاع والطوابى الاسلامية على منطقة الشايقية بل امتدت شمالا وجنوباً عند منطقة الشلال الرابع والخامس، ومن امثلة القلاع مثل طابية وادى دم التور وطابية الكويب . اما شمالا فنجد الفلاع والطوابى فى منطقة دنقلا العجوز والمحس وقلعة ود نميرى جنوبى دنقلا العرضى وقلعة نورى جنوب دلقو، ونجد فى وسط السودان طوابى المهدية ( 1885 – 1898م) .

## التوزيع الطبوغرافى للطوابى فى السودان :

هنالك ملاحظة عليها وهى ان هذه الطوابى تركزت فى وسط السودان الذى تمثله امدرمان عاصمة دولة المهدية اذ تعد طابية امدرمان من اشهر الطوابى فى السودان وقد استخدمت خلال فترة حصار الخرطوم , وتقع شمال ابو سعد بامدرمان بنيت على منطقة مرتفعة مقابل طابية المقرن وعلى بعد 500 متر من الشاطىء وهى نفس المنطقة التى عسكر بها الامام المهدى عند حصار الخرطوم, وقد كان هنالك اتصال تلغرافى بين هذه الطابية والسراى فى الخرطوم .وبسبب ازدياد حركة البواخر بين الخرطوم وشندى ازداد الاتصال بين المدينتين

مـما جعـل الامـام المهـدى ان يامـر ببنـاء طابيتـى شـمبات والحلفايـة لكى تتمكـن قوات المهديـة مـن الحـد مـن حركـة البواخـر, وقـد بنيـت ثلاثـة طـوابى حـول طـوابى امدرمـان ,ولكـن وجـدت طـوابى المـوردة شـهرة اعلاميـة كبـيرة . امـا بنـاء الطـوابى فى خانـق شـلال السـبلوقة فقـد حـدث بعـد ازديـاد اهميـة تشـييد الطـوابى فى عهـد الخليفـة عبدالله , اذ انـه ونسـبة لقـرار مجلـس الشـورى وبنـاء عـلى اقـتراح تقـدم بـه الامـراء ابراهيـم الخليـل وعثـمان دقنـة صدرقـرار مـن الخليفـة عبدالله بتـولى الامـير يعقـوب ويوسـف منصـور مستشـار المدفعيـة , الـذى اهتـم بتخطيـط نظامهـا الدفاعـى ومواقعها المناسـبة , لـذا عليـه تـم بنـاء طابيتـين عنـد المدخـل الشـمالى لخانـق السـبلوقة ولازالـت بقايـا احداهـا تـرى عـلى الضفـة اليمنـى لنهـر النيـل1.

لقـد تتابـع تشـييد الطـوابى وذلـك طبقـا لمتطلبـات المرحلـة , اذ تـم اضيفـت العديـد مـن الطـوابى بلـغ عددهـا حـوالى 17 طابيـة فى امدرمـان عـلى طـول سـتة اميـال حيـث كانـت كل طابيتـين مـن هـذه الطـوابى تحـت اشراف امـير. فقـد كان المسـئول عـن الضفـة اليمنـى هـو الاميرعيـسى زكريـا والضفـة اليـسرى الامـير سـيد جمعـة , وتـم تزويـد هـذه الطـوابى بالمدافـع مثـل مدافـع مثـل مدافـع كـروب ومدافـع اوردى ومدافـع متراليـوز ومدافـع شركيبـا. وخـلال عهـد الخليفـة عبدالله فقـد شـيد سـور عظيـم احـاط بـه مقـر السـلطة والحكـم , وقـد كان ذلـك السـور بمثابـة اسـتحكام قصـد بـه الوقايـة مـن الضطرابـات الداخليـة والمخاطـر الخارجيـة عـلى السـواء.

فيـما يتعلـق بالطـوابى الاخـرى ، فكانـت هنالـك طابيتـان فى الخرطـوم احداهـما بالقـرب مـن الـسراى والاخـرى فى المقـرن ، وكانـت الطابيتـان تحـت قيـادة الرشـيد كرومـة ،وكانـت هنالـك طابيتـان فى الـشرق احداهـما فى شـمبات والاخـرى فى الصبـابى تحـت قيـادة محمـد عـلى فايـت والغـالى جـودة ، ثـم طابيتـان فى تـوتى تحـت قيـادة عبـد الجبـار بـرتى ، امـا طـوابى امدرمـان نفسـها فكانـت احـدى عـشرة وهـى : طابيـة السـاير تحـت قيـادة ادريـس السـاير السـجان وطابيـة قبالـة بيـت المـال تحـت قيـادة محمـد عبدالله ، وطابيـة بـاب عبدالقيـوم تحـت قيـادة عبـد القيـوم الصغـير والطابيـة العلويـة وطابيـة البـاب الكبـير وطابيـة ثالثـة قـرب سـوق الصمـغ ويقودهـا كلهـا العريفـى الربيـع وطابيـة المواليـد وطابيـة ثانيـة يقودهـا الشريـف حميـدان وطابيـة فى خـور شـمبات تحـت قيـادة عبدالـرازق ازرق ، وطابيـة يقودهـا حـاج عـلى ، ثـم طابيـة حاجـب عثـمان [6].(ابوسـليم 1979 :110- 111 )

## الاهمية الاثرية والتاريخية لطولبى المهدية :

يذخـر السـودان بالكثـير مـن المبـانى التراثيـة وهـى مبـانى لا تخضـع لاى قانـون حمايـة او حفـظ او صيانـة حيـث انهـا لا تحمـى بقانـون الاثـار لسـنة 1999 م او الـذى ينـص عليـه مديـر الاثـار ، وبنـاءً علـما جـا سـابقا فـان غالبيـة المبـانى التراثيـة التـى تعـود

الى الحكم التركى الثنائى ( 1898- 1956 م ) لا تخضع لقانون الاثار ما عدا ما نص عنها القانون وهى من العهد التركى ( قباب الاتراك ) ومن فترة المهدية ( الطوابى ، بوابة عبد القيوم ، سور الملازمين الشمالى , دار الرياضة ، سجن ادرمان وبيت الخليفة ) ، وقد اضاف قانون الاثار الذى صدر 1999م كل من الفترة التركية والمهدية [7]

## تخضع اهمية المبانى لعدة قيم :

### أولاً القيم الثقافية :

تشمل 1- قيم توثيقية ،2- قيم تاريخية ،3- قيم اثرية زمنية ،4 – قيم منظر المدينة .

### ثانياً : قيم الاستعمال :

تشمل : 1- قيم وظيفية ، 2- قي اجتماعية ، 3- قيم سياسية ، 4- قيم اقتصادية ، 5- قيم دينية .

### ثالثاً : قيم عاطفية :

تشمل : 1- قيم الاستغراب ، 2- السخصية ( مثل طوابىء المهدية ، القيادة العامة ، القصر الجمهورى ).وكما هو معلوم فان القيم ثابتة والمعايير تتغير لذلك نجد ان المبان التراثية احتفظت بقيمها الثابتة رغم تغيير المعايير ومن هنا جاءت هذه الاهمية ( الصادق 2006 :21 ).

من المبانىء الاثرية والتاريخية التى تتبع للهيئة القومية للاثار والمتاحف جاء ذكر الطوابى:وهى االستحكامات دفاعية بنيت خلال الدولة المهدية من الطوب اللبن وتقع على الضفة الغربية للنيل وتتمثل فى الطابية الجنوبية وطابية الاذاعة، وطابية الدباغة بحى الدباغة ، طابية الحتانة بحى الحتانة وطابيتى السبلوقة ، طابية توتى بجزيرة توتى . ومن المظاهر الدفاعية التى يمكن الاشارة اليها بوابة عبد القيوم وهى اخر ماتبقى من بوابات الدول المهدية التى كانت تتصل بالسور الذى يحيط بامدرمان القدية ( الملازمين )على الراس الشمالى ، وكذلك نجد سور الملازمين وهو السور الذى كان يحيط بمدينة ام درمان القديمة ( الملازمين ) وقد يبقى منه جزء صغير شرق حى الملازمين [8]

لقد تمت الاشارة الى السور الذى احاط به الخليفة مقر السلطة والحكم ، وكان ذلك السوربمثابة استحكام قصد به الوقاية من الاضطرابات ا لداخلية والمخاطر الخارجية على السواء. ولما تقدمت القوات المصرية والانجليزية المشتركة الى الداخل وبعد معركة فركة ودنقلا اهتم الخليفة بامكانات الدفاع عن المدينة وقوى استحكاماتها [9]

## اثر الاستحكامات الدفاعية على الحياة السياسية خلال المهدية :

لم يكن نظام الاستحكامات الدفاعية غريبا على بلاد السودان ، فقد عرف نظام التحصينات الدفاعية قبل الاف السنوات ، وقد ساعد على وجود وظهور هذه الاستحكامات طبيعة بلاد السودان البيئية . خلال التواجد المصرى ( الدولة الوسطى) قام ملوكها ببناء حصون دفاعية الى الجنوب من بلادهم بقصد تامين الطرق التجارية وحماية القوافل وقد بلغ عددها حوالى سبعة عشرة حصناً ، انتشرت هذه الحصون مابين الشلال الثانى والثالث . فى هذه المنطقة تنتشر الصخور الحجرية الرملية النوبية على اطراف النهر مما تجعل من وجود جدران دفاعية طبيعية بجانب وجود نهر النيل الذى يمثل وحده طريقا يمكن مراقبته باتجاهاته المختلفة , وقد عرفت حضارة كرمة بانها قامت فى موقع جعل منها من افضل اماكن الرقابة .

خلال الممالك النوبية المسيحية فقد عرفت ايضاً نظام التحصين فقد انتشرت التحصينات النوبية ما بين الشلال الثانى والشلال الثانى وكذلك انتشرت مابين الشلال الثالث والرابع وقد عرفت نظم دفاعية وتصميمات متعددة فقد ساعدت هذه التحصينات فى الحياة السياسية لهذه الممالك خلال ادارتها لبلاد السودان فقد استخدمت فى الجانب الحربى وفى الجانب الدفاعى وكذلك فى جانب الرقابة .

خلال دولة المهدية فقد لعبت الاستحكامات الدفاعية ( الطوابى ) دورا كبيرا فى العمليات الحربية خلال الثورة المهدية لانها كانت تمثل مرتكزا هاما بجانب انها تمثل ماوا امناً للجنود وكذلك مكانا لمراقبة العدو او التعامل معه من وراء الطابية بالنيران ، وقد ظهر اثر هذه الاستحكامات وفائدتها فى المعارك التى قادتها قوات الثورة المهدية والعدو كان خلف استحكاماته مثل معركة تحرير الابيض الاولى وحصار وتحرير الخرطوم ومعركة تحرير امدرمان ومحاصرة سنار.

ظهر الاهتمام بالاستحكامات خلال عهد الدولة المهدية الاخير بسبب ان القوات الغازية كانت تسير برا وبحرا فكان لابد منوجود طوابى على شواطىء النيل لدحرها ، وقد كانت الاستحكامات من القضايا الهامة التى اهتم بها الامير يعقوب ، لانها كانت تحتاج الى معرفة وخبرة بجانب الامكانات المختلفة فى تشييدها .

التصميم المعهود للطابية بها جناحان طول الواحد 15 متراً وعرضه متران وارتفاعه متران ونصف وبكل جناح مزقال ( فتحة ) مدفع واحد وباقى كل جناح فتحات فيه مزاقيل السلاح ، وقد اولى الخليفة عبدالله اهتماماً كبيرا بالطوابى ، فقد كانت ترده تقارير عن سير بناء الطوابىء ومتطلباتها كما ترد ايضا نفس التقاري الى الامير يعقوب .

شهد بناء الاستحكامات فى الاونة الاخيرة سباقا مع الزمن وذلك بسبب الاستعدادات الحربية المكثفة وضيق الوقت فى الاستعداد لمواجهة العدو، وقد ساهم الاهالى بجهد وافر فى بناء هذه الاستحكامات خاصة اولئك الذين يتواجدون بالقرب من النيل.

هنالك ملاحظة هامة عن الطوابى خلال دولة المهدية ، اذ انها لم ينحصر بناها فى امدرمان وحدها ، فقد بنيت طابية فى فركة حيث امر بتشييدها الامير عثمان ازرق لصد قوات الغزو الانجليزى المصرى اما الامير محمد ود بشارة فقد امر ببناء ثلاث طوابى فى الحفير كان لها الفضل فى اعاقة تحرك جيش السر دار كتشنر الذى لم يتمكن من التفوق الا بصعوبة بالغة بمساعدة المدفعية الضاربة لاسطول النهر وكان ذلك خلال العام 1896 م.وفى وقت لاحق بنى الامير يونس ود الدكيم طوابى فى كل من جبرة وصحراء بيوضة والمتمة على ضفة نهر النيل وعلى الرغم من استغلال كل الموارد البيئة المتاحة فى ذلك الوقت واسهام هذه الطوابى فى الدفاع عن الدولة المهدية الا ان تفوق العتاد الحربى الاوربى فى نهاية القرن التاسع عشر وتطور سلاح القوى الاستعمارية خاصة سلاح المدفعية كان له اثر فى دك كثير من التحصينات التى شيدها الانصار .

## الخاتمة :

فيما سبق من اسطر عن دراسة الاستحكامات خلال المهدية فانه يتضح ان هذه الاستحكامات وترميمه الدفاعية ( الطوابى ) قد لعبت دورا كبيرا فى الحياة السياسية والاجتماعية خلال المهدية ، كما انها كانت احد الرموز الثقافية الوطنية المحلية ، وانها شكلت صورا مشرقة تعكس نضال الشعب السودانى خلال عهد الدولة المهدية ، كما بينت ان قوة الشعوب ان تنبع من قوة ايمانها بمبادئها وعقيدتها وليس على القوة المادية التى يمكن تكتسب وتزول ،

## نتائج الدراسة :

ومن اهم النتائج التى توصلت لها الدراسة هى : تعتبر الاستحكامات الدفاعية (الطوابى ) احد رموز التراث السودانى الحضارى.عكست الاستحكامات الدفاعية لدولة المهدية المهارة الحربية لجيوش الدولة المهدية . تعتبر الاستحكامات الدفاعية احد رموز التراث الاثرى الذى يجب حفظه وصيانته .

## توصيات الدراسة :

- توصي الدراسة بالاهتمام بالموروث الحضارى بكل انواعه خاصة جانب التراث الثقافى المادى الاثرى .
- اقامة المزيد من المتاحف بغرض عرض عناصر الموروث الحضارى السودانى .

## المصادر والمراجع :

(1) ابو سليم ، محمد ابراهيم 1970 ،تاريخ الخرطوم ، بيروت- لبنان ،دار الجيل
(2) الرفاعى ,انور ،1977 ،تاريخ الفن عند العرب والمسلمين ، بيروت دار الفكر، الطبعة الثانية ،
(3) الصادق, صلاح عمر 2006 . دراسات سودانية فى الاثار والفولكلور والتاريخ ، دارعزه ، السودان الخرطوم .
(4) فانتينى، جون 1978،تاريخ المسيحية فى الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث ، الخرطوم ,
(5) Crawfort, O.G.S, 1961. Castless and Churchs in middle Nile Region. SAS. Ocasional Papers No .2.
(6) Trigger, Bruse .Gk 1976 . Nubian Under the Pharaohs. London Thames& Hudson.

## المصادر والمراجع:


(١) الرفاعى ،انور ،1977 ،تاريخ الفن عند العرب والمسلمين، بيرؤت دار الفكر، الطبعة الثانية ،

(2) الصادق، صلاح عمر . دراسات سودانية فى الاثار والفولكلور والتاريخ ، دارعزه ، السودان الخرطوم 2006 .

(3) نفس المصدر:240 )

(4) فانتينى، جون ،تاريخ المسيحية فى الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث ، الخرطوم ,1978 .

(5) ( فانتينى 1978 : مصدر سابق ص191.

(6) أبو سليم ، محمد ابراهيم0 ،تاريخ الخرطوم ، بيروت- لبنان ،دار الجيل1970 .

(7) الصادق 2006 مصدر سابق : ص20

(8) (الصادق 2006: نفس المصدر ص21

(9) أبو سليم 1979 :مرجع سابق ص 110 ).

# البعد الآثاري في الرواية السودانية: رواية مَانفستوُ الديّك النوُبي لعبد العزيز بركة ساكن أنموذجاً

د.حمـاد محمـد حامديـن

قسم الآثار - جامعة النيلين

**المستخلص:**

تـأتي هـذه الورقـة لكشـف تداخـل علـم الآثـار مـع الآدب الـروائي في السـودان، حيـث تتنـاول روايـة مانفسـتو الديـك النـوبي لعبـد العزيـز بركـة سـاكن وذلـك بهـدف توضيـح البعـد والجوانـب الآثاريـة التـي تطـرق لهـا كاتـب الروايـة وكذلـك فولكلـور المواقـع الآثاريـة وتوظيـف الأسـطورة الشـعبية حـول المواقـع الآثاريـة، وترجـع أهميـة هـذه الورقـة الي قصـور وانعـدام الدراسـات التـي تجمـع مـا بـين علـم الآثـار والادب الـروائي في السـودان والوطـن العربي.توصلـت الدراسـة الي أن الآدب الـروائي وخاصـة مايمكـن تسـميته االروايـة التاريخيـة والاسـاطير الشـعبية بهـا مـادة غنيـة لعلـماء الآثـار يمكنهـم الاسـتفادة منهـا، وكـما أن أعـمال الادبـاء قـد تضمنـت بعـض الحقائـق الاثاريـة والتاريخيـة في متـون رواياتهـم في اطـار ثلاثـة مـدارس، كذلـك يمكـن لعلـماء الآثـار وهـم أهـل لذلـك أن يسـطروا نتائـج ابحاثهـم في صـورة علميـة، أدبيـة - روائيـة موجهـة للجمهـور في شـكل بسـيط دون اخـلال بالحقيقـة العلميـة أوالتاريخيـة حيـث أن الاعـمال الروائيـة والسرديـة بوجـه عـام، قـد لا تتناقـض مـع الحقيقـة التاريخيـةاو الآثاريـة وانمـا العيـب كل العيـب ان نشـدو التاريـخ والآثـار في الروايـة فقـط فتصبـح الروايـة وثيقـة مـن وثائـق التاريـخ او مقـال وكتـاب مـن كتـب الآثـار.

**كلـمات مفتاحيـة:** مَانفسـتوُ الديّـك النـوُبي، علـم الآثـار، الروايـة التاريخيـة، عبدالعزيـز بركـة سـاكن، الروايـة السـودانية.

**Abstract:**

This paper deals with the multidisciplinary approach in archaeology such as novel literature in Sudan, the aim of this paper is to clarify some archaeological aspects, folklore of archaeological sites, and the employment of the popular myths in the novel " Manifestoof aNubian rooster" for the writer Abdalaziz Baraka Sakin. The importance of this paperback to the lack of studies that combine archaeology and novel literature in Sudan and the Arab world. The paper concluded that novel literature, especially what can be called the historical novel and folk legends, contains rich data for archaeologists so that sometimes the historical novel works don't contradict with the historical or archaeological truths, this way a good for the present the past for the public, but as archaeologist and researcher in the past should be not only looking for historical and archaeological facts in novels.

**تمهيد:**

«...هل ستجد بعض كتب الأدباء طريقها الي دروس طلاب الآثار فتعم الفائدة.. وكنت لكي أحفز الطلاب منذ المستوى الأول لدراسة الآثار أخبرهم بأنها ثقافة أكثر مما يتصورها الكثيرون فهي ليست حجارة صماء بكماء... وليست مباني قديمة مهدمة مسكونة بعفاريت من الجن... هي عالم يربطك بكل الناس... يعرفك بالآخر من خلال دراسة الحضارات القديمة ويعرفك بالعلوم الأخرى أكثر عندما تستعين بها... هل سأجد يوما رسالة ماجستير أو دكتوراه عن الآثار في أدب الطيب صالح أو أدب فلان... هل ستكون هذه الأعمال الأدبية أحد مصادرنا للبحث عن المواقع الأثرية مثلما فعلت إلياذة هوميروس...» [1] ومن ناحية أخري وأن جاز لي ان أَضيف هل يمكن أن تتحول الدراسات والبحوث الآثارية الي أعمال أدبية وروائية او بعبارة أخرى هل يمكن ان تُصاغ وتعرض بصورة أدبيةحينها فقط أكون قد لخصت هدف هذا البحث.

## نبذة عن الأدب الروائي والقصصي في السودان:

لا نحتاج للقول بصعوبة تأسيس فن روائي في ثقافة مثل الثقافة السودانية التي هي بطبيعتها وبنيتها ثقافة شعرية في المقام الأول أي أن الشعر مسيطر علي ما عداه من أجناس أبداعية، وعندما ظهرت الرواية في السودان كان الشعر قد سبقها بأكثر من قرن وترسخ عمقاً ، وفي الواقع ليست الرواية فقط الوافدة الحديثة بل جميع الأجناس السردية يبلغ عمرها في السودان قرناً فقط من الزمان، القصة القصيرة مثلاً ترجع بدايتها الحقيقية والقوية الي قصص معاوية نور 1909-1941م فقد كتب معاوية نور اول قصة سودانية ونشرت عام 1931م وعلي الرغم من أن معاوية نشر إبداعه خارج السودان في الصحافة المصرية إلا أن هذا لا يحرمه شرف ريادة إبداع القصة القصيرة في السودان [2] وعموما لم يكون غريبا أن نجد غلبة الشعر وسيطرته في أطروحة ناقد رائد هو شاعر في الأساس، إلا وهو حمزة الملك طمبل ففي كتاب الأدب السوداني الصادر عام 1928م وما يجب أن يكون عليه يقول « الأدب هو الشعر، والشعر هو الأدب».وفي دراسة المحجوب الحركة الفكرية في السودان لا نجد مثلا أية إشارة للرواية وقد نشرت الدراسة اولاً في شكل كتيب عام 1941م ويقول المحجوب: « لا يزال هناك مجالاً للابتكار والتجديد فهنالك الدراما والقصة الطويلة والقصة القصيرة. هناك تاريخ هذه البلاد برمته يحتاج الي من يحققه ويغربله...» وسرعان ما يشير الي الأثر القوي للشعر فيقول: «إن عرق الشعر حي نابض في قلب كل سوداني...». ويمضي المحجوب موضحاً ما يسميه بمواضيع الشعر الجيد ويذكر منها « ... تلك الملاحم التي تخلد الغزوات والحروب في تاريخ السودان وقبائله التي نظمها بغض المغنين في الدوبيت، وأنظر الي تلك القصص الغرامية أمثال قصة تاجوج التي إذا وجدت من يأخذها ويهذب من وحشيتها ويضع فيها من الخيال ما يكسبها رونقاً فنياً ويضعها في شعر رصين لكانت مثاراً لإعجاب الأمم الاخري بشعرنا والاهتمام بأدبنا». وتعني عبارة الأدب السوداني للكثير من الدراسيين إبداعاً واحدا وهو الشعر ومن هؤلاء جمال الدين الرمادي الذي صدر له كتاب دراسات في الأدب السوداني ولا تخرج نظرته للسودان عن النظرة النمطية التي تركز عل

عروبة السودان ويضم الكتاب أكثر من عشرين مقالا كلها كرست للشعر ما عدا مقالتين إحداهما عن كتاب رحلة الي السودان لمحمد شاهين حمزة والآخر عن رحلة الطبيب المصري محجوب ثابت الي السودان [4].وقد أشار علي الملك في مقدمة مختاراته من الأدب السوداني الي سبق الشعر علي القصة القصيرة في السودان فيقول: « ظهرت كتب القصة القصيرة بعد الشعر وقد يحمد لعثمان علي نور أنه بدأ بكتابة القصة السودانية ... وبدأت القصة السودانية القصيرة في مجلتي النهضة والفجر ولم تكن لتماثل المقالة او الشعر شيئاً، وفي الخمسينيات جعل شأن القصة يعلو حين خصصت جريدة الصراحة عدداً شهرياً فتحت فيه صدرها لكتاب القصة وشجعتهم وتطورت تطوراً ملموساً في زمان وجيز...» [5].

من الغريب حقاً أن الكثير من المبدعين يبدءون حياتهم الإبداعية بالقصة أي السرد، ولكنهم سرعان ما يتحولون الي الشعر والبعض منهم قد يهجر القصة القصيرة تماماً، ومن هؤلاء صلاح أحمد ابراهيم والنور عثمان أبكر ومحمد الملكي ابراهيم ومصطفي سند وسيد أحمد الحاردلو، فالمعروف عن صلاح أنه شارك صديق عمره علي الملك في إصدار مجموعة قصصية بعنوان البرجوازية الصغيرة[٥]. وعلى كل نجد ان هناك بعض الدراسات التي عالجت أمر السرد في السودان بصورة عامة والرواية بصورة خاصة، ومنها دراسة محمد زغلول سلام ملامح الأدب السردي في السودان، ويذهب سلام بريادة تاجوج التي أعدها عثمان محمد هاشم ويقول: « صورة سودانية لقصة ليلي والمجنون نابعة أصلاً من مجتمع البادية والحياة القبيلية في شرق السودان ولكنها قصة شعبية». ولا يقبل سلام تصنيف موت دنيا لمحمد أحمد المحجوب وعبدالحليم محمد ضمن تيار القصة السودانية فيقول:» ولا يمكن ان نخضع موت دنيا لمقاييس فن القصة ولا الترجمة الذاتية فالكتاب مزيج بينهما ، وهو مليء بالخواطر والذكريات. ويشير سلام الي صدور قرابة العشرين مجموعة قصصية وظهور كتاب عملاقة للقصة القصيرة، منهم أبوبكر خالد وعلي الملك وسيد احمد الحاردلو وعيسي الحلو والطيب صالح وحسن الطاهر زروق ، ونجده يخلص لغلبة القصة القصيرة وضعف الرواية ، ونلمس ذلك في قوله: « وأكثر هذا الإنتاج من القصص القصيرة ولعله مما يعطي

دلالة واضحة أن لا نجد بين هذه المجموعات سوي ثلاثة روايات بين ما يقرب المائة قصة قصيرة ، ومع ذلك فتسميتها روايات مجازاً هي قصص عادية لا تبلغ درجة الرواية». وهكذا نجد تحفظه علي أطلاق مصطلح رواية علي الروايات التي أشار اليها وهي أنهم بشر لخليل عبدالله الحاج والنبع المر لأبي بكر خالد وإبراج الحمام لفؤاد أحمد عبدالعظيم [6].

هنالك أيضاً دراسات النور عثمان أبكر وهو يذهب الي أن البداية الحقيقة للرواية السودانية هي بظهور رواية بداية الربيع حيث يقول: « إذا أبعدنا تاجوج لعثمان محمد هاشم باعتبارها سجلاً تاريخياً وموت دنيا لمحمد احمد محجوب وعبدالحليم محمد باعتبارها سيرة ذاتية وهائم علي الأرض لبدوي عبدالقادر خليل باعتبارها تجسيداً و واقعاً أجنبين بحيث غدت الشخصية الرئيسية متطابقة تماماً مع البيئة الأجنبية ، فإن بداية الربيع لابي بكر خالد تعطينا خطاً فاصلاً بين نوعية رسوم الطفل المسطحة وفرشاة الفنان التشكيلي المقتدرة وتؤرخ لنا بداية العمل الروائي في السودان (7). يحصر النور الرواية السودانية في مرحلتين هما ما قبل الاستقلال وما بعد الاستقلال. وعموما وقد قدم دراسة شاملة لأهم ملامح الرواية السودانية ولكنها يركز علي روايات لا تتعدي العشر وأغفل عدداً من الروايات في الفترة ذاتها مثل روايتي فؤاد أحمد عبدالعظيم أبراج الحمام عام 1958م وبكاء علي التابوت [8].ومن الكتاب أيضاً شوقي بدري الذي صدر له كتابان هما رواية الحنق عام 1971م ومجموعة قصصية بعنوان المشبك عام 2003م. وهناك كاتبان عملاقان يتجاهلهما النقد الادبي وهما أبوبكر خالد وعثمان الحوري، فأبوبكر خالد رفد القصة القصيرة بعدد من المجموعات القصصية، فوق انه روائي رائد أصدر ثلاثة روايات هي بداية الربيع [9] والنبع المر [10] والقفز فوق حائط قصير[11] وظلت راويته الأخيرة بعيداً عن الاهتمام بالرغم من أهميتها في مسيرة الرواية السودانية. اما الحوري وهو واحد من أميز الكتاب الذين ظهروا في الستينيات وقد صدرت له رواية واحدة هي جبل الحسانية[١٢] وأشار عيدروس الي أزمة النشر الكارثية التي تلقي بظلالها علي جملة تجربة عثمان الحوري وحتي عندما أتجه للمؤسسات الرسمية ضاع كتابه بوابة التمساح

في طريقه الي المطبعة [13].ومن كتاب الرواية السودانية نجد فيصل مصطفي الذي رفد المكتبة السودانية بعدد من المساهمات الفردية في القصة والرواية من اهم مساهماته رواية الخفاء ورائعة النهر وراية حكيم وعطاء وروضة يعبرون النيل. ومن الروايات الجديرة بالاهتمام رواية الجداران القاسية لكابتها ملكة الفاضل عمر [14] وتكمن أهمية الرواية في مضمونها الإنساني فوق أنها تجاوزت الكثير من السرديات التي تكتبها الأقلام النسائية [15].و عموم نجد ضمور أبداع المرآة في السودان خاصة في الإبداع الروائي هذا بالرغم من أن الكاتبة السودانية ملكة الدار محمد تعد أحد أهم رواد هذا الإبداع فقد كتبت ملكة الدار رواية الفراغ العريض عام 1971م[16] و من الكتاب ايضا الحسن محمد سعيد وله ثلاث رواية عطبرة ورواية أزمنة الترحال ورواية العودة [17]. وهناك أيضا أعمال الأديب الطيب صالح ، موسم الهجرة الي الشمال والتي نشرت في البداية في مجلة حوار العدد 5،6 ص 5-87 سبتمبر 1966 قم نشرت بعد ذلك في كتاب مستقل عن دار العودة عام 1966م ونشرت بعد ذلك بعدة طباعات، وعرس الزين 1969م ، مريود ، ونخلة علي الجدول، ومنسي إنسان نادر علي طريقته والتي نشرت في شكل حلقات في مجلة المجلة اللندنية ثم جمعت ونشرتها الرياض الريس للكتب والنشر بلبنان عام 2004م وغيرها. وكذلك كتب عبد الرحيم محمد صديق روايتين هما الدميرة 1997م والخرابة 2001م، كذلك أيضاً هنالك رواية المجالس لعبد الماجد عليش [18]. ومن الروايات الجديرة بالاهتمام هنالك رواية آخر أيام شاب جنوبي لأمير صالح جبريل [19]. وهناك أيضا الاعمال المسرحية كإحدى الأشكال التعبيرية للأدب الروائي في السودان، وكما هو معلوم ظلت عملية توثيق النشاط المسرحي في السودان غائبة عن انتباه المهمتين وهذا ما شكل صعوبة جمة لكثير من الباحثين والدراسين والمهتمين بتاريخ المسرح في السودان، ولعل من اهم الآثار الناتجة عن قلة المعلومات والوثائق هي تلك الاختلافات في الآراء للباحثين والمهتمين والقائمين علي امر المسرح نفسه، فمنهم من يذهب الي اطلاق مصطلح « المسرح في السودان» ومنهم من يذهب الي اطلاق مصطلح « المسرح السوداني» اما من ناحية التاريخ والبداية فيذهب بعضهم الي ان بدايات المسرح الاولي في طقوس تتويج ملوك

الدولة النبتية والمروية أمثال اسبلتا ونساتسين وغيرهما وما حوتها من عناصر مسرحية من رقص وغناء وازياء، بينما يذهب آخرون الي ان المسرح وافد ودخيل علي الوجدان السوداني، ويرى فريق ثالث الي ان نشأة المسرح في السودان ترجع للعام ١٨٨١م ابان الحكم التركي علي السودان [٢٠].

فنجد في الفترة من عام ١٨٨١م الي ١٩٥٩م أقيمت العديد من المسرحيات التي تناولت وعالجت العديد من القضايا الاجتماعية والدينية والتاريخية فنجد مثلا مسرحية المقامات الحريرية الفقهية من تأليف الأستاذ أحمد محمد الجداوي والتي قدمت في مدرسة الخرطوم الاميرية، وهنالك الروايات العربية القصيرة من تأليف بابكر بدري عام ١٩٠٤م والتي قدمت في مدرسة رفاعة، ومسرحية المرشد السوداني والتي جاءت من تأليف المأمور المصري عبد القادر مختار والتي قدمت في القطينة، ومسرحية المأمور والمفتش ورجل الشارع والتي من تأليف عبيد عبدالنور عام ١٩٢٣م والتي قدمت في كلية غردون، ومسرحية زواج المرتين والتي من تأليف يوسف الحسن عام 1930م والتي قدمت بنادي حي العرب، ومسرحية صور العصر من تأليف سيد عبدالعزيز عام1932 والتي قدمت بنادي حي العرب الثقافي الرياضي، ومسرحية مصرع تاجوج من تأليف خالد ابوالروس عام 1932م والتي قدمت بنادي الزهرة، ومسرحية السودان عام 2000م من تأليف عبدالرحمن علي طه عام 1934م والتي قدمت ببخت الرضا، ومسرحية السبعة الحرقوا البندر من تأليف خالد أبو الروس عام 1940م والتي قدمت بنادي الزهرة، ومسرحية القلب المتقلب من تأليف مصطفي حاج الراوي عام 1941م والتي قدمت بنادي النيل الرياضي ودي مدني، ومسرحية شياطين البشر من تأليف خالد أبو الروس عام 1940م والتي قدمت بنادي الزهرة الرياضي بامدرمان، ومسرحية عرس الاحرار عام 1940م ومسرحية الوفاء لميسرة السراج عام 1942م والتي قدمت بنادي ابوروف، ومسرحية عجائب لميسرة السراج عام 1943م والتي قدمت ببيت المال، ومسرحية أوراق الخريف أيضا لميسرة السراج عام ١٩٥٥م والتي قدمت ببيت المال، ومسرحية حلال وحرام لعبدالغفار الحوري عام ١٩٥٥-١٩٥٦م والتي قدمت ببخت الرضا، ومسرحية مشكلة بيتنا لسكينة

الجزولي عام ١٩٥٧م والتي قدمت في دار المرشدات ام مدرمان، ومسرحية شريكة الحياة لطه عبدالرحمن عام ١٩٥٨م والتي قدمت بمسرح البراميل «الاذاعة»[٢١]. وثم بدأت نشأت المسرح السودانالقومي عام ١٩٥٩م وظهرت المواسم المسرحية المنتظمة بمسرح السودان القومي فنجد المسرحية التاريخية الملك نمر لإبراهيم العبادي وتعتبر اول مسرحية يفتتح بها المسرح القومي عام ١٩٦٧-١٩٦٨م وتوالت بعد ذلك العديد من المسرحيات علي المسرح القومي والمسارح الأخرى التي تبرز الطابع التاريخي والتراثي السوداني الي يومنا هذا.

## علم الآثار والأدبالروائي:

من أجل فهم العلاقة بين علم الآثار والأدب الروائي ينبغي علينا أن نُعرف كل منهما لكي نلتمس معالم الالتقاء وبدايتها وتحديات البقاء وصعوباتها، يُعرف علم الآثار بأنهالعلم الذي يدرس نشاطات الأنسان في الماضي عن طريق كشف وتحليل الثقافة المادية التي توجد في السجل الآثاري، ويحوى السجل الآثاري المعثورات، المباني، البقايا العضوية، والبقايا البيئية، ومنظر الارض الطبيعي وغيرها[٢٢].

اما بالنسبة للرواية فإنه بالقدر الذي تبدو فيه الرواية معروفة، فإن تعريفها ليس بالأمر الهين نظراً لحداثتهامن ناحية وتطورها المستمر من ناحية أخري، فجاء في تعريف الرواية» هي رواية كلية شاملة موضوعة او ذاتية، تستعير معمارها من بنية المجتمع، وتفسح مكاناً لتتعايش فيه الأنواع والأساليب، كما يتضمن المجتمع الجماعات والطبقات المتعارضة» [٢٣]، ومن خلال هذا التعريف نجد ان الرواية تتميز بما يلي [٢٤]:

1. الكلية والشمولية سواء في تناول الموضوعات او في الناحية الشكلية.
2. قد تكون الرواية معبرة عن الفرد او عن الجماعة او عن الظواهر.
3. ترتبط الرواية بالمجتمع وتقيم معمارها على أساسه.
4. الرواية مثل المجتمع تتجاوز المتناقضات وتجمع بين الأشكال الأدبية.

أما معجم المصطلحات الأدبية لفتحي إبراهيم فقد جاء فيه أن الرواية» سرد قصصي نثري يصور شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال

والمشاهد، والرواية شكل أدبي جديد لم تعرفه العصور الكلاسيكية والوسطى، نشأ مع البواكير الأولى لظهور الطبقة البرجوازية، وما صحبها من تحرر الفرد من ربقة التبعيات الشخصية» [٢٥]. أذا الرواية هي وليدة الطبقة البرجوازية وهي البديل عن الملحمة ولذلك اعتبر هيجل الرواية ملحمة العصر الحديث [٢٦]. وباختلاف القضايا التي تعالجها الراوية وتدور حولها محاورها ظهرت العديد من انواع الروايات مثل الرواية الرومانسية والاجتماعية والسياسية والتاريخية وتعد الأخيرة حلقة الوصل بين علم الآثار والأدب الروائي.

تعد الرواية التاريخية أكثر أنواع الرواية رقياً، فهي تسمو بموضوعاتها لتحقيق أهداف ذات أهمية بالغة، إذ تسعى لإحياء وبعث ماض تليد لقراءة الحاضر والمستقبل، ويكاد يجمع أغلب نقاد نظرية الأدب أنّ هذا الجنس الروائي يعتبر دخيلا على الأدب العربي، منقولا عن الأدب الأوروبي، رغم محاولة الروائي العربي تأصيله ببعث الماضي والتراث العربي، لكنه في واقع الأمر يجاري موضة غربية أوروبية، ظهرت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر [٢٧]. وقد أعلن جورج لوكاتش أن الرواية التاريخية نشأت في مطلع القرن التاسع عشر، لكن يمكن العثور على روايات ذات موضوعات تاريخية في القرنين السابع عشر والثامن عشر، ويستطيع الشخص أن يعتبر الأعمال القروسطية المعدة للتاريخ الكلاسيكي مقدمات للرواية التاريخية [٢٨].

تنسب البداية الفعلية للرواية التاريخية في الغالب إلى الكاتب الأميركي ستيفن كرين برواية «شارة الشجاعة الحمراء»، ولكنها كانت تفتقر لبعض العناصر الروائية الشكلية والضمنية، فتكامل هذه العناصر الفنية نوعا ما كان عند والتر سكوت الاسكتلندي، الذي يعد أبو الرواية التاريخية برواية ويفرلي سنة ١٨١٤م. بعدها ألف قرابة خمس وخمسين رواية تاريخية [٢٩]، وقد سن لمن بعده أصولا فنية ظلت كتقاليد متبعة للرواية المتكئة على التاريخ في مختلف الآداب الأوروبية والعربية أيضا، أساسها الصدق والحبكات الفجائية التي أرست دعائمها قبل سكوت قصص الرومانسية والفروسية [٣٠].

وهناك أيضا الإعمال التراجيدية او المسرحيات الرومانية الثلاثة لوليم شكسبير مثل يوليوس قيصر 1599م استمد شكسبير موضوعها وحوادثها من حياة يوليوس قيصر وماركوس أنطونيوس، وهنالك أيضا مسرحية أنطونيو وكليوباترا 1623م ومسرحية كوريولانس.

تزامنت روايات والتر سكوت مع الكتابات التاريخية لمؤرخي القرن الثامن عشر، منهم فولتير وجيبون اللّذان رغم إجادتهما وتجديدهما لكتابة التاريخ كان ينقصهما فهم نفسية العصور التي يصفونها وافتقارهما للحاسة التاريخية التي تجعلهما يعتقدان أنّ الإنسان هو نفسه في جميع العصور بغض النظر عن التطورات التي تطرأ على العصر والتي تنعكس عليه، وصوّر سكوت التاريخ وجسده بطريقة فنية أشدّ تأثيرا من كتب التاريخ الجافة، حتى ساد إعتقاد لدى النقاد والباحثين أنّ روايات سكوت أقرب للحقيقة التاريخية من كتب المؤرخينوقد أثر على مؤرخي تلك الفترة تأثيرا بالغا حيث حذوا حذوه، وطفقوا يصورون أحداث التاريخ ويعيدون بناءها بقليل من الخيال غير الجامح، منهم تيري وسيسموندي وبرسكوت [٣١]. ومن أهم التغيرات التي مست الرواية التاريخية وتقاليدها ما نادي به ألفريد ديفني في فرنسا سنة 1825م بروايته 5 مارس، فهو بجعل الشخصيات التاريخية في المقام الأوّل، في حين جعلها والتر سكوت في المقام الثاني والشخصيات الخيالية في المقام الأوّل، لكي لا يتقيد بحقائق التاريخ. ويرى ديفني أنّ ذلك يجعل الشخصيات التاريخية تتحرك على الأفق البعيد، ويكون محور الرواية الشخصيات الخيالية [٣٢]. وأضاف بلزاك للرواية التاريخية ما يسمى وصف تاريخ العادات، حيث أصبح التاريخ هو المجتمع، وبهذا يريد أن يسمو بالرواية إلى قمة التاريخ الفلسفية، بإعطاء الصورة الكاملة لمدينة ما[٣٣]. وبدأ الروائيون في أوروبا يتجهون إلى هذا النوع الروائي المهم، فظهر فكتور هيغو برواية أحدب نوتردام في 1831م وسيدة باريس والرجل الضاحك و ثلاثة وتسعين وفي روسيا تولستوي برواية الحرب والسلام وفي إيطاليا ألكسندرو مانزوني برواية المخطوبين عام 1923م مستحضرا أحداثا إيطالية تعود لقرنين ولعصور روما القديمة. وفي ألمانيا نجد ألكسز 1824 م براوية فلادامور ، وهوف برواية

ليشتونستان، وفي بولونيا برناتويز برواية بوجاتا 1826م وفي الدانمارك ظهر إنجمان بروايات تاريخية عديدة.

وشهدت حقبة الثلاثينات من القرن العشرين أعمالا روائية رائدة نذكر منها ما جاء على يد الروائيين كينيث روبرتس وروبرت جريفر وفورستر، وبعد الحرب العالمية الثانية تطور هذا الإنتاج الروائي التاريخي فظهر هوب متز سنة 1949 م برواية المحارب الذهبي وماري رينولت سنة 1950 م برواية الملك يجب أن يموت، وهناك مارجريت يورنيسار، زوي أو لدنبرج، وبرسكوت في رجل فوق الحمار سنة 1952م ومع نهاية القرن العشرين ظهر امبرتو إيكو الإيطالي برواية اسم الوردة وإيريكا فاجنر برواية القاتل الضرير[٣٤]. و فنلفي بالزاك برواية الشوان، وستاندال براوية يوميات أيطالية، و فلوبير برواية سالامبو، وقوتيي برواية المومياء، وأميل زولا برواية فتح بلاسانس ورواية الانتكاسة، وأناطول فرانس برواية لقد ظمئت الالهة. وهنالك أجاثا كريستي برواية أخناتون الذي قام به بترجمتها حلمي مراد والتي صدرت من دار الهلال [٣٥]. ورواية الاسكندر رمال آمون لفاليريو ماسيمو مانفريدي [٣٦] (مانفريدي ٢٠١٠) وهنالك سلسلة روايات عالم الآثار بول سوسمان وشملت رواية جيش قمبيز المفقود (٢٠٠٨م) ومتاهة أوزيريس (٢٠١٢) وآخر أسرار الهيكل (٢٠١٠م) والواحة الخفية (٢٠١١م).

اما في الوطن العربي فقد كان ظهور الرواية التاريخية في الأدب العربي بادئ الأمر مرتبط بعملية الترجمة والاقتباس، فالنصف الثاني من القرن التاسع عشر شهد نشاطا بالغا من التعريب الروائي، فقام الأدباء العرب بالتعريب والاقتباس في محتوى الروايات الأوروبية، منهم نجيب حداد الذي عرّب الفرسان الثلاثة لألكسندر ديماس وصلاح الدين لوالتر سكوت التي تصرف فيها وحوّلها لنص مسرحي، وفي سنة 1881 م عرّب قيصر زينية رواية الكونت دي مونتغومري لديماس، وعرّب له ست عشرة رواية [٣٧]. وكذلك برز سليم البستاني -1848 1881م مترجم إلياذة هوميروس، كرائد في الكتابة الروائية التاريخية. ظهرت روايات جورجي زيدان التاريخية -1861 1914م ، ففي ثلاث وعشرين سنة ألّف ثلاثا وعشرين رواية، سمّاها روايات تاريخ الإسلام منذ صدور أول رواية له المملوك الشارد[٣٨].

وهنـاك نجيـب محفـوظ الـذي ألـف عـدد مـن المرويـات السّرديـة التاريخيـة، كان منهـا مـا هـو روايـة مسـتمد مـن التاريـخ الفرعـوني مثـل عبـث الأقـدار، ورادوبيـس، وكفـاح طيبـة وغيرهـا وربمـا كان منسـاقا وراء إعجابـه بكتابـات سـلامة مـوسى ودعوتـه للفرعونيـة، وقـد توقـف نجيـب محفـوظ عـن كتابـة الروايـة ذات الطابـع التاريخـي، بعدمـا صرّح أنّـه سـيكتب تاريـخ مـصر القديـم في شـكل روائي، كـما فعـل الروائيـون الأوروبيـون الأوائـل أمثـال ديمـاس وسـكوت [٣٩].وهنالكروايـة بلـورة أمحوتـب لمحمـد غنيـم [٤٠]، وهنـاك العديـد مـن أعـلام الروايـة التاريخيـة في الوطـن العـربي نذكـر منهـا عـلي سـبيل المثـال نجيـب الكيـلاني، جـمال الغيطـاني، معـروف أرنـاؤوط، فواسـيني الأعـرج، عبـد الخالـق الـرّكابي، نبيـل سـليمان، شـكري غانـم، أمـين معلـوف، وكان أيضـا للعنـصر النسـائي حضـور فنجـد بـين مؤلفـات الروايـة التاريخيـة أهـداف سـويف وسـميحة خريـس ورفيـف رضـا وغيرهـن.

والى هنـا يمكـن تقسـيم التنـاول الأدب الـروائي لعلـم الآثـار مـن خـلال الروايـة التاريخيـة الي ثلاثـة مـدارس :

1. المدرسـة الأولى: وتـدور محـور روايـات كتـاب هـذه المدرسـةعلي قصـة حقيقيـة او حـدث حقيقـي حـدث في المـاضي يسـتند عليأدلـة آثاريـة وتاريخيـة، بمعنـي أخـر عـرض الآثـار والتاريـخ الحضـاري بصـورة أدبيـة روائيـة مـع الالتـزام بالدقـة وتقـصى الحقائـق بالرجـوع الي كتـب ومراجـع آثاريـة وتاريخيـة.
2. المدرسـة الثانيـة: ويستشـهد كتـاب هـذه المدرسـة بالآثـار والمـاضي واحداثـه وأبـراز أهميتهـا و...الـخ مـن خـلال معـرض سردهـم الـروائي، أي أن رواياتهـم لا تسـتند عـلي قصـة او واقعـة آثاريـة حقيقيـة كأصحـاب المدرسـة الأولى، بينـما يمكـن أن نلتمـس الحـس والاهتـمام والإشـارات للآثـار والتاريـخ واحـداث المـاضي والـتراث الثقـافي في كتابتهـم الروائيـة .
3. المدرسـة الثالثـة: وهـي التـي تسـتفيد مـن الأدب الشـعبي والفلكلـوري والأسـاطير حـول الآثـار فتصـوغ روايـة تحـاول أن تعالـج العديـد مـن القضايا وبطـرق وأسـاليب مختلفـة ولكـن يظـل الـتراث الفلكلـوري والأسـطوري الشـعبي ملهـماً لهـا في كثـيرا مـن الجوانـب، ويمكـن أخـذ نمـوذج لهـذه المدرسـة عبـد العزيـز بركـة سـاكن و روايتـه مَانفسـتوُ الديّـك النـوُبي.

## عبد العزيز بركة ساكن:

عبد العزيز بركة ساكن، أديب وروائي سوداني. وُلِدَ بمدينة «كسلا» عام ١٩٦٣م، ونشأ وترعرع في «خشم القربة» بالقرب من مدينة «القضارف»، حيث درس المرحلة الابتدائية بمدرسة «ديم النور الابتدائية بنين» (الرباط حاليًّا) بالقضارف، والتحق في المرحلة المتوسطة بمدرسة «خشم القربة» ثم مدرسة «حلفا الجديدة» في المرحلة الثانوية، وتابع دراسته الجامعية في مصر، فدرس إدارة الأعمال بجامعة أسيوط. ويقيم حاليًّا في «النمسا»، وهو متزوج وله ولدان: «المهاتما» و«مستنير».

عمِل مدرسًا للغة الإنجليزية في الفترة من ١٩٩٣م إلى ٢٠٠٠م، وشغل عدة مناصب، أبرزها: عمله مستشارًا لحقوق الأطفال لدى اليونيسيف في دارفور من ٢٠٠٧م إلى ٢٠٠٨م، ومديرًا لمشروعات التنمية في صندوق تنمية المجتمع التابع للبنك الدولي بالنيل الأزرق، إلى أن تفرَّغ للكتابة؛ تلك الوظيفة التي يستودعها شغفه التام والدائم ويعدها «وظيفة الساحر»، فإلى جانب مؤلَّفاته القصصية والروائية، كتب في كثير من الدوريات والمجلات والجرائد، منها: «مجلة العربي»، و«مجلة الناقد اللندنية»، و«مجلة الدوحة»، و«جريدة الدستور» اللندنية، و«الجزيرة نت»، وغيرها. كما أنه عضو نادي القصة السوداني وعضو اتحاد الكتاب السودانيين، وله مشاركات عديدة في فعاليات ثقافية عربية وعالمية.

حصلت روايته «الجنقو مسامير الأرض» على جائزة الطيب صالح للرواية عام ٢٠٠٩م،مُنح جائزة «بي بي سي» للقصة القصيرة على مستوى العالم العربي ١٩٩٣م عن قصته: «امرأة من كمبو كديس»، وجائزة «قصص على الهواء» التي تنظمها «بي بي سي» بالتعاون مع مجلة العربي عن قصتيه: «موسيقى العظام» و«فيزياء اللون»، وفي ٢٠١٣م قرر المعهد العالي الفني بمدينة سالفدن سالسبورج بالنمسا أن يدرج في مناهجه الدراسية روايته «مخيلة الخندريس» في نسختها الألمانية التي ترجمتها الدكتورة «إشراقة مصطفى» عام ٢٠١١م. ومن مؤلفاته: الرجل الخراب، على هامش الأرصفة، ما يتبقى كل ليلة من الليل، امرأة من كمبو كديس، موسيقى العظم، زوج امرأة الرصاص وابنته الجميلة، رماد الماء، الطواحين، مخيلة الخندريس،الجنقو مسامير الأرض، مسيح دارفور، العاشق البدوي، مانفستو الديك النوبي.

## راوية مَانفستوُ الديّك النوُبي:

تقوم هذه الرواية على فكرة الأسطورة القائلة بأن الذهب يحرسه الجن، وان كل من يقترب من اماكنه ربما تعرض للمس او الجنون، أو أنه يحتاج لبعض الحيل ليتعايش مع الجن ويستخلص منه ببعض الذهب. كما انها تتحدث عن الواقع السوداني وحالة الفقر التي يوجد تحتها قطاع كبير من الشعب السوداني مثلت لهم الرواية بعدد من الشخصيات من حي «زقلونا» بأطراف الخرطوم وهذه الحالة دفعت بالكثيرين للمغامرة بالبحث عن الذهب في مناطق التعدين الأهلي بالصحراء بالمنطقة الشمالية للسودان [٤١].

**تدور احداث الراوية حول قصة صديقين هما فتح الله فراج وجبريل وهما شخصان يسكنان في حي زقلونا الشعبي بأطراف الخرطوم، ونتيجة للحالة المادية المتعسرة وضايقه العيش قد قررا الذهاب الي الصحراء الشمالية للبحث عن الذهب بالرغم من ان صديقاً لهما حذرهما من عدم الذهاب لأنهرأى الشيطان حارس الذهب بأم عينه، فذهبا الي هناك وصورت الرواية جانب من جوانب الحياة في أماكن تعدين الذهب وانه كي تستطيع ان تأخذه ينبغي عليك ان تكون نجس وغير طاهر... الخ، وفي احدى الايام دخلا الي إحدى المقابر الملكية الكوشية القديمة في مغارة جبل «عُضو الكلب» فصادفا ديك هو الشيطان حارس الذهب وقد ابتلع هذا الديك جبريل و وضع خيارين لفتح الله فراج اما ان يصيرا مملوكاً للديك او ان يرضى بالفقرويعود الي بيته، فلكنه اختارالديك لأنه يرى ان أي شيء اهون من الفقر. وعند خروجهما من القبر وعرضهما محتويات ما بداخل القبر لرئيسهما يلاحظ فتح الله اختفى خاتمين كانت من ضم محتويات القبر ويدرك ان الخاتمين أختفياء بمهارة صديقه جبريل الذي ابتلعهما وعندما يعودا الي الخرطوم يموت جبريل اثر علة في بطنه وفي نفس يوم موته يظهر ديك يبيض ذهبا في بيته مع دجاجاته يكتشفه فتح الله بالصدفة عند زيارة بيت صديقه، وادرك انه هو الديك الذي وقع معه العقد في القبر النوبي فتتغير حياته المادية ويرحل من حي زقلونا الشعبي الي حي كافوري، وفي الوقت نفسه تتغير حياته النفسية فيصاب بنوبات متواصلة من الهلاويس والهلع حيث يظهر**

**لـه الديـك وصاحبـه جبريـل وعرفـت هـذه الحالـة بجنـون الديـك او الحالـة الديكيـة وانتـشرت عنـد كثـير مـن الذيـن ذهبـوا الي البحـث عـن الذهـب، فيلجـأ الي السـحرة والشـيوخ الذيـن يدعـون قدرتهـم عـلي عـلاج هـذه المـرض ولكنهـم جميعهمفشـلوا في علاجـه حتـي يمـوت ويـوارى الـثري. فيحمـل الديـك شـبحه عـلى ظهـره في رحلـة مليئـة الاحـداث الي جزيـرة نـاوا «جزيـرة او واحـة الـروح» ويجلـس هنـاك ويقابـل ملـوك الدولـة الكوشـية ويعرفونهـم بأسـمائهم ملـكا ملـكا. بعدهـا يحـس بالخـدر يـسري في جسـده ثـم يتحـول الي جثـة ذهبيـة لامعـة فعـرف انـه أصبـح ثـروة في مسـتقبل الكـون.**

اسـتخدم عبـد العزيـز بركـة سـاكن أسـلوب التنـاوب وهـو روايـة حـدث في روايـة ثـم تعليقـه والانتقـال الي حـدث اخـر ثـم العـودة وهكـذا، فهنـا نجـد ان هنالـك العديـد مـن الاحـداث الأخـرى التـي دارت في الروايـة منهـا مـا هـو سـياسي واجتماعـي ورومانسي...الـخ مـع شـخصيات مرتبطـة بصـورة او اخـري مـع فتـح اللـه وجبريـل، وكذلـك قضايـا اخـري كثـيرة مثـل ازمـة الثقـة بـين الحكومـة والشـعب وقضايـا الـصراع الداخـلي للنفـس البشريـة بـين مـاضي عظيـم وحـاضراً محبـط مقطوعـاً عـن ماضيـه.

## الآثار في رواية مانفستو الديك النوبي:

### ملوك الدولة النبيتة والمروية:

خـلال الرحلـة التـي حمـل فيهـا الديـك فتـح اللـه بعـد وفاتـه شـاهد العديـد مـن الاحـداث ومـن ضمنهـا انـه شـاهد ملـوك الدولـة الكوشـية، ذكـر عبدالعزيـز بركـة سـاكن عـددا مـن أسـماء الملـوك فيصـف هـذه المشـهد» ... أنبثـق في وسـط الجزيـرة جبـل شـامخ وفي جانـب منـه بوابـة بـدت كـما لـو كانـت بوابـة قـصر عظيـم... وظهـر الديـك وهـو يتحـول تدريجيـاً الي سـيدة جميلـة تلبـس مثـل الملـوك وتحـول المـكان مـع تحولهـا التدريجـي الي قاعـة ملكيـة عمالقـة شاسـعة في شـكل دائـرة يجلـس كل ملـوك الدولـة النوبيـة عـلي عروشـهم... ويسـتطيع ان يهتـف بأسـمائهم ملـكا ملـكا وملكـة ملكـة دون أي خطـأ في الشـخصية او النطـق الملـك الارا، الملـك كاشـتا، الملـك بيَّـا، الملكـة أمـاني ريـداس، الملـك شـباكا، الملـك شـبتاكا، الملـك تهارقـا، الملـك تانـوت أمـاني، الملـك أتلانيرسـا، الملـك سنكامنسـكن، الملـك أنلامـاني، الملـك أسـبالتا، الملـك يـركي

أمانوتي، الملك هارسيوتف، الملك نستاسن، الملك أركاماني- كو، الملك أمانيسلو، الملك أرنخاماني، الملكة شناكداخيتي، الملك تانيد أماني، الملكة أماني ريناس، الملكة أماني شاخيتي، الملك نتكاماني، الملك شيراكارير...» [٤٢].ويشير أيضا «... تجلس السيدة التي كانت الديك الملكة (اماني تاري)... علي عرش ملكي وثير وسط الملوك المحاطين بالوصيفات والمساعدين والخدم المشغولين بشوؤنهم وترييب ملكهم، موقع عرشها قرب زوجها الملك نتكاماني امام كل ملك عدد كبير من التماثيل الذهبية الكبيرة في شكل بشر يسجدون امام الملك...» [٤٣]. تغطى أسماء الملوك المذكورة هنا فترتي حضارة نبته ٩٥٠-٣٥٠ ق م وحضارة مروي ٣٥٠قم-٣٥٠م، وبالرغم من عدم الترتيب الزماني والمكاني وغياب اغلبية أخرى الا انه تعتبر لفتة تلقي الضوء علي بعض أسماء ملوك الحضارة النبتية والمروية.

## نهب وسرقة الآثار:

نهب وسرقة الآثار تعد إحدى القضايا التي أرقت وتؤرق مضاجع الآثاريين وتشكل نزيف دامي ومستمر يؤدي الي ضياع الأثر الثقافي للبلاد. وتعد الحاجة والفقر والظروف الاقتصادية والسياسية من ناحية والجهل والجشع وانعدام الضمير من ناحية احدي أسباب تفشيها، فنجد أنه «... عندما قضى علي ثمن آخر خروف كان بمخزونة المنزلي، تشاور جبريل مع صديقه فتح الله فراج، ولكن فتح الله في فقره ذلك ليس لديه الوقت ولا القدرة للبحث عن حل ما عدا الهجرة الي الذهب، وهو الثراء السريع الذي يتحدث عنه الناس اليوم في الصحراء الشمالية... عندما حالفهم الحظ في العثور علي الكيلومترات من حجارة التبر الخالص او علي تمثال نوبي قديم من الذهب قاموا بصهره بالنار وبيعه...» [٤٤].

هنا نلاحظ انه هنالك مشكلة حقيقة تتعرض لها الآثار وهي ان سرقة الآثار ليست فقط النهب والبيع وانما يكون مصير الأثر الصهر بالنار خاصة الذهبية منها سواء كان تمثال او أدوات زينة وغيرها، بل ان هنالك اشخاص اصبحوا متخصصين في تقييم ثمنها فهنالك شخص يسمي بالأمين أي المسؤل فنجد يقول «... كما يقوم الامين باستلام الذهب بعد تعدينه ... ويستطيع أيضاً ان يقدر أثمان المنحوتات الذهبية ألآثرية والمصوغات من ختم وجعارين وتماثيل

في صورة حيوانات او ملوك او غير ذلك...» [٤٥] فهذا الشخص يقوم اول باستلام الذهب وتقدير وتقييم المنحوتات الذهبية الاثارية وغيرها ليس من ناحية القيمة التاريخية والاثارية وانما من ناحية المادية وما تساويه من مال.

كما أشار أيضا الي نوع اخر وأكثر خطورةمن السرقات وهي سرقة الآثار عن طريق الحقب الدبلوماسية، حيث ذكر أن هناكضابط امن يعمل في قسم الملحق العسكري للسفارة السودانية في احدي الدول العربية الثرية، قام بتتبع دبلوماسي يقوم بسرقة الآثار وبيعها، حيث قال له خاله أنه (... يوجد تمثال نوبي قديم صغير الحجم من البرونز في مكان ما في شقة هذا الدبلوماسي، عليه ان يأخذهويحتفظ به في مكان أمن الي حين إخطار اخر....)٢٣٤[٤٦]وعندما ذهب الي الشقة لم يجد التمثال وفي اثناء بحثه داخل الشقة جاء الدبلوماسي بصحبة أخر وقام هو بالاختفاء منهما وبدا يسمع حديثهما (... ثم أصبحا جادين وهما يتحدثان عن « الصنمين» البرونزيين اللذيين أحضرهما الشيخ وكيف كان يريد سعرا خاصا له وسعراً أخر للشركاء بالخرطوم، ولكنهما أتفقا علي وضع الشحنة الأخيرة مع التمثال المتبقي من الشحنات السابقات، والاحتفاظ بالنقود كلها مناصفة بينهما...)[٤٧]. ويشير ان عملية السرقة بهذه الطريقة تديرها شبكة او عصابة كبيرة تعمل في بيع هذه الآثار وان هنالك وسطاء للبيع من دول اخري(... وبدا واضحاً ان الذي في صُحبة الدبلوماسي هو وسيط لبيع الآثار التي يتم تهريبها عن طريق الحقيبة الدبلوماسية من داخل السودان ويتم بيعها في هذه الدولة عن طريق وسطاء...) [٤٨].

## وصف القبور الاثارية:

كما هو معلوم لقد لعبت المقابر دوراً مهماً في نشأة وتطور وبلورة علم الآثار وذلك لما وفرته من مادة آثارية متنوعة أتاحت للباحثين الوقوف على العديد من مناحي حياة الإنسان القديم ولقد كان علم الآثار في بداياته مرتكزاً بصورة واضحة على العمل في المدافن، ولقد أسهم العمل في هذه المدافن في رسم التطور الحضاريللإنسان. فنجد في السودان مثلا أن المدافن قدأسهمت في التعرف علي جوانب متعددة من تاريخ السودان الممتد من العصر الحجري القديم

وحتى الفترة السابقة لدخول المسيحية والاسلام حيث نجد في الآخرتين قلة الاهتمام بدراسة مقابرهما بحكم أن لا تحتوي علي أثاث جنائزي، ولقد شهدت هذه الفترة التاريخية الطويلة أنماطاً متعددة من الدفن شملت الحفر البسيطة او الجانبية او المتعددة و التلال الكبيرة الدائرية او الغرف والمساطب والأهرامات و التلال الكومية الكبيرة وغيرها...الخ، ولقد أتضح أن مجموعة المدافن وأشكالها الداخلية والخارجية قد تكون دليلاً علي نهاية فترة وبداية اخري في تاريخ السودان. ولهذا كانت للمدافن معاملة خاصة في الأبحاث الآثارية ويشار اليها كأحد السمات المهمة في تمييز الثقافات والحضارات ومن هنا تعددت مناهج دراسة المدافن وقدمت الكثير من الأطروحات والتي أتبعت في التفسير نظريات آثارية وأنثربولوجية ذات مدارس متعددة ومتباينة.

في وصف القبر الآثري الذي دخلا اليها فتح الله وصديقه جبريل « كان القبر كما توقعاه متسعاً، ترقد المومياء في سكون علي حوض من الصخر أشبه بتابوت، حولها تتناثر الاوعية الفخارية والتماثيل الصغيرة ( الشوابيت) علي شكل بشر يقومون بخدمات ... ويبدو ان الميت كان ثرياً بصورة معقولة فعثرا علي جرة صغيرة بها خاتمان من الذهب وبعض الادوات الحجرية ، لم يلاحظا تماثيل معدنية او أقنعة ذهبية ، ولكن يوجد بالقبر قط محنط وثعبان محنط بالقرب منه، وكان الثعبان بكامل هيئته ، حتى خيل أليهما أنه حي...»[٤٩].

من خلال الوصف السابق نجد ان هذا القبر يحتوي علي مومياء وكما هو معروف المومياء هي كل جسد او جثة تم تحنيطها بغرض حفظها وحمايتها من عوامل التلف والتعفن، و هنالك نوعان من التحنيط الطبيعي والصناعي، وغالبا ما يتم وضع هذه المومياء في مجموعة من التوابيت منها ما هو خشبي ومنها ما هو حجري كما تم وصفه هنا ولعل هذا الامر واضح جدا في اثار الحضارة النبتية ٩٥٠-٣٥٠ق م واثار الحضارة المروية ٣٥٠ق م -٣٥٠ م. ونجد عموما ان ادلة التحنيط في الطبيعي في السودان واضحة جدا منذ فترة كرمة ٢٥٠٠-١٥٠٠ق م وربما قبل ذلك حيث ان هذه العملية تتطلب البيئة المناسبة وخاصة التربة التي تحتوي علي نسب عالية من الاملاح والمواد الحافظة للأغشيةجسم الكائن

الحـي . كـما ان تحنيـط الحيـوان لم يمكـن فقـط حكـرا فقـط عـلي الانسـان فقـد حظيـت بعـض الحيوانـات الأخـرى بنـوع مـن التحنيـط. ويجـدر الإشـارة هنـا الي ان ادلـة تحنيـط الحيـوان في السـودان القديـم نـادرة جـدا، الا أنـه نجـد في الوقـت نفسـه ان الحيـوان في السـودان حظـي بمكانـة عاليـة جـدا منـذ فـترات مـا قبـل التاريـخ ولقـد دفنـت الحيوانـات مـع الميـت او منفصلـة عنـه في مقابـر العـصر الحجـري الحديـث والمجموعـات وماقبـل كرمـة وأدلـة الابقـار الواضحـة في حضـارة كرمـة .وكذلـك قـد خصـص لهـا مدافـن ملكيـة منفـردة خاصـة الخيـل كـما يتضـح ذلـك في مدافـن الدولـة النبتيـة في منطقـة جبانـة الكـرو وتمبـس. وأيضـا في فـترات مابعـد مـروي هنالـك العديد مـن الأدلـة عـلي دفـن الحيوانـات.

ويبـدو واضحـا ان صاحـب هـذا القـبر غنـي جـدا والدليـل عـلي ذلـك الاواني الفخاريـة والأدوات الحجريـة الأخـرى والمعثـورات الجنائزيـة الأخـرى التـي دفنـت معـه مثـل الشـوابتي وهـي عبـارة عـن تماثيـل صغـيرة بشريـة صغـيرة جـدا توضـع مـع الميـت في قـبره لتقـوم بخدمتـه في العـالم الاخـر. ونلاحـظ مـن خـلال الوصـف ان سـمات هـذا القـبر في الغالـب تشـبه سـمات مقابـر الفـترة الكوشـية»النبتية والمرويـة». امـا الثعبـان فلقـد كان لـه رمزيـة في اسـاطير حضـارات العـالم القديـم تأرجحـت مـا بـين الـشر والخـير فقـد عـد رمزيـة للشـيطان وأخـرى للإلهـة و الكتابـة، وكذلـك اعتـبر ذات رمزيـة للملكيـة الارضـين خاصـة في تيجـان التـي يلبسـها الملـوك في وادي النيـل. وقـد تـم العثـور عـلي بعـض مومياءات الثعبابـين المحنطـة في المقابـر الملكيـة في مـصر ام في السـودان فلـم يتـم العثـور عـلي هـذا النـوع مـن المومياءات حتـى الان.

## وصف الخاتم الذي سرق من القبر:

قـام جبريـل بابتـلاع الخاتمـين حتـي لا يسـتطيع الأمـين «المسـؤول» باخذهـما منهـما عندمـا يخرجـا مـن القـبر حيـث انـه «...قـد لاحـظ فـراج دون شـك أختفـاء الخاتمـين عنـد عـرض موجـودات القـبر النـوبي ولم يشـك في أنهـما إختفيـاء بمهـارة صديقـه جبريـل..» [٥٠] امـا وصفهـما فنجـد انـه «... تـولى فتـح اللـه فـراج أمـر الخاتمـين عنـد الصائـغ وكانـا كأجمـل مـا يكـون، مصنوعـان مـن الذهـب وفي المنتصـف بهـما جعرنـان صغـيران منحوتـان مـن الياقـوت الاخـضر امـا عـلي الجانبـين فتوجـد نقـوش

سحرية في غاية الدقة، أقرب الي أحرف نوبية قديمة او رموز توغل معانيها في التاريخ والقدم، تحتاج الي شامبليون جديد يغض غموضها ويبطل سحريتها ... أما في باطن الخاتمين فيوجد نحت لديك او طائر أشبه بالديك...» [٥١]. يشير بركة ساكن الي الجعارين وكما هو هو معروف رمزية الجعران الدينية في كل من الحضارة السودانية والمصرية حيث كان يستخدم كتميمة واقية من الشروقد زينت العديد من المقابر والمقابر في السودان بها وكذلك تم العثور علي العديد منها في المقابر الاثارية، كذلك أيضا يمكننا التماس الحس المرهف لبركة ساكن وهو يستشعر النقص في فهم اللغة السودانية القديمة المعروفة بالمروية والحاجة الي عالم يستطيع فك طلاسمها حتى يتنسى لنا معرفة اعمق وأوضح للحضارة المروية نفسها الا ما زالت بنقصها الكثير والكثير بالرغم الاعمال الاثارية الكثيرة التي نفذت وتنفذ في مواقعها.

## الوعي الآثاري:

عندما ذهبا بالخاتم الي الصائغ «... وتحدث عن القيمة التاريخية للآثار النوبية وحذرة أن الحكومة إذا ما علمت بهما ستصادرهما وملح بأن الذين سيصادرونهما سوف يبيعونهما...»[٥٢]. هنا يلفت بركة ساكن القاري اليقضيتان هامتانالاولي وهي الوعي بأهمية التراث الآثاري في السودان وان القوانين الحكومية لا تحمي هذا الارث، الا أنه وفي الوقت نفسه أشارالي قضية ثانية وهي أزمة عدم الثقة ما بين الحكومة والشعب وهي ان الذين سوف يصادرون هذه الآثار لا يقوموابإرجاعها او ايداعها الي الهيئة العامة للآثار والمتاحف اوالجهات ذات الصلة وانما سوف يبيعونها. وهذا الامر الذي ادي الي أن «... احتفظت رشا بالخاتمين في مكان أمين...وتعلم تماماً أن الخاتمين هما إرث ثقافي قومي لا يستهان به. وأن التصرف فيهما يعتبر جريمة أخلاقية وإنسانية وأنها لن تقوم ببيعهما علي الرغم من الفقر الذي تعاني منه أسرتها، وهي أيضا لن تسلمهما الى اي جهة حكومية كانت...» [٥٣].

كذلك عبر عن هذا الوعي وظهور ازمة الثقة عندما ظهرت السرقة عن طريق الحقب الدبلوماسية وهو الامر الذي جعل السر بان (... يأخذ التماثيل الثلاثة، وقرر بينه وبين نفسه أنه سيعيدها للمتحف القومي في اليوم الذي

تكون فيه حكومة وطنية تحترم تاريخ البلد وإرثه، ولكن ليس قبل ذلك، لأنه يخشى أن ترجع التماثيل مرة أخري الي السوق إذا أعادهم منه الان....) [٥٤]. ليس لبيعها او ارجاعها الي المتحف وانما للاحتفاظ بها في مكان امان حتى تأتي حكومة تحافظ وتحترم ارثها الآثاري والتاريخي وتزرع وتقوية الثقة بينها وبين شعبها.

كما عبر عبد العزيز بركة ساكن عن الوعي والوعي الاثري والتاريخي من خلال اسم الرواية نفسها مانفستو الديك النوبي فنجده يقول»... أنت قبلتني من اجل الذهب وانا لم ولن أقبلك لن يقبلك الفقر لن يقبلك الجد لن تقبلك الأرض الصحراء الوعرة سيقبلك جحيم التاريخ جحيم البيت الاول في تاريخ البشرية... مانفستو التاريخ المأكول المصهور المباع من أجل لقمة عيش من أجل شرفة قصر.. تاريخ الابن الخائن تاريخ الأبناء السَّفَلَة مانفستو الديك النوبي الثائر في حق الأبْنَاءُ السَّفَلَة... نَحْنُ الأبْنَاءُ السَّفَلَة لم نحترم هشاشة عظم التاريخ، ولا صلادة صوت القبر...لم نحترم الطين الاول، فكرة ان يبني الانسان المجد الأبقى... نَحْنُ الأبْنَاءُ السَّفَلَة... نَحْنُ الأبْنَاءُ السَّفَلَة....» [٥٥].

هنا نجد ان هنالك حوار عميق جدا مع النفس البشرية حول قيمها الخالدة والمتأصلة بداخلها حول الأمانة والحفاظ علي التاريخ والاثار فيشير الي ان مانفستو الديك النوبي هو مانفستو التاريخ المأكول والمصهور الذي تم بيعه ويباع من اجل المال ومن اجل لقمة عيش وهو ذلك الجرح النازف كل يوم في المواقع الاثارية من نهب وتعدي وسرقة. وبلغة مؤلمة يشير الي اننا الأبْنَاءُ السَّفَلَة لأننا لم نحترم هشاشة عظم التاريخ العظيم واثارنا المتمثلة في تلك القبور والتماثيل والاثار ...الخ التي يتم صهرها وبيعها ولا حتي الطين الاول الذي شكل منه اجدادنا الاوائل تاريخهم العظيم من اواني فخارية ومباني وطرز معمارية غاية في الروعة والجمال لذلك لنا يقبلنا الأجداد ولا تاريخهم ولا اثارهم بل سيقبلنا جحيم التاريخ جحيم البيت الاول في تاريخ البشرية وذلك نجد ان «نَحْنُ الأبْنَاءُ السَّفَلَة» تتكرر مراراً، وقراءتها على هذا النحو تجعل القراء شركاء في هذا العهد وجزءاً من هذه الظاهرة وعليهم ان يكون جزء من صون هذا التاريخ وهذه الآثار العظيمة لأجدادنا الاوائل.

## الآثار والذهب والشيطان:

## فلكلور المواقع الآثارية:

يقصد بفلكلور المواقع الآثارية تلك الروايات والقصص التي صيغت أو تصاغ حول المواقع الآثارية من قبل أفراد او مجموعة تصف وتفسر حدوث ظاهرة أو أسطورة معينة في الماضي او الحاضر حول وفي الموقع الآثاري المعين، وأحيانا يتم تعميمها على عدة مواقع آثارية.

خلال اعمالي الاثارية واعمال زملائي في البعثات المختلفة كثيراً ما نصادف العديد من الروايات الشفاهية المتواترة والمتطابقة تماما في كثير من الأحيان والتي صيغت حول المواقع الاثارية وتعد هذه الروايات نوعاُ من فلكلور المواقع الاثارية واغلب هذه الروايات تربط المواقع الاثاريةبأمرين هما:

1. الامر الاول هو ان المواقع الاثارية هي مساكن للجن والشياطين ولذلك ينبغي عدم الذهاب لها او الاقتراب منها ليلا او حتى نهارا. ولعل هذا الامر مفيد جدا لنا كآثاريين حيث انه يساعد في الحفاظ علي الموقع الاثري من التعدي عليه.
2. الامر الثاني هو ان المواقع الاثارية تحوي بصورة او اخري ذهباً. وهو الامر الذي يشكل خطراً على هذه المواقع متمثل في النبش والحفر والتدمير والبحث العشوائي عن الذهب في هذه المواقع.

نلاحظ ان فلكلور المواقع الاثارية يربط المواقع بأمرين مرتبطان ببعضهما البعض وهو ان المواقع الاثارية تحوي ذهبا وان هذا الذهب محروس بالجن لديه قدرات خارقة ويتشكل في صور كثيرة.

في رواية مانفستو الديك النوبي وظف عبد العزيز بركة ساكن الأسطورة الشعبية القائلة ان الذهب والكنوز محروس بالجن والشياطين [٥٦]. حيث يشير ان صديقهما أونور حكي لهما «... وحكى لهما ما جعله يترك البحث عن الذهب ويعود الي مهنته تحت الشجرة ... أنه رأى بأم عينه الشيطان وهو يحرس الذهب...» (ساكن، مرجع سابق:52). و يواصل أونور في حديثه عن الشيطان حارس الذهب أنهم «... قد وجدوا عرقاً طويلاً من صخور التبر، ولكنه أنهى

فجاءة الي نفق كبير، نفق يمكنه ان يدخل الشخص ماشياً علي رجليه... ولكنه بعد أقل من نصف ساعة خرج شيء كبير يلمع مثل الشمس من النفق كان فرساً ضخماً من الذهب له صهيل وكانه زئير الاسد عندما راه أهل التاجر يقفز في الهواء كالبهلوان ويرفس ويصهل في جنون بين فروا هاربين ولكنه كان يلاحق الفارين و كلما ادرك واحداً منه رفسه بقائمتيه الخلفتين رفسة لها دوى فيطير الشخص بعيداً في الهواء ليسقط ميتاً او عضه في راسه بأسنانه اللامعة الكبيرة الي ان يتهشم رأس الشخص في فمه...»[٥٧].

هذا الجن هو الذي يحرس الذهب الموجود في القبر «الموقع الآثاري» وهنا ظهر في صورة ديك»... أن الديك هو الشيطان حارس الذهب. هذا ما قاله الشيخ بعد ان تفحصه جيداً وأستمع لقصته مع الديك...» [٥٨]. وكان هذا الديك يعيش في القبر النوبي «الآثار» فيقول «... كان الديك يمضي بسرعة... الى أن بلغا مفرق رجلي العملاق الميت وكان ذلك في منتصف الكهف»القبر» تماماً، له يدان عملاقتان تتقاطعان في صدره... لم تكن اليدان حجرتين بل كانتا يدين من لحم ودم...»[٥٩].وتشيرنصرة زوجة فتح الله بان «...هذا الديك الذي في رأسه هو نفر من الجن، ربما أصابه في القبر النوبي كما آصاب صديقه جبريل وأدي بحياته...» [٦٠].

هذا الجن ولأنه حارس الذهب سوف يهاجم كل من يقترب من الذهب ومن هذه الآثار، هذا الهجوم قد يتخذ العديد من الاشكال ولديه العديد من الاعراض، ففي حالة فتح الله ومن هم مثله سميت بالحالة الديكية «... أصيبوا كل الذين دخلوا قبور النوبة بمرض جنون الديك، وأصبح الصرف علي علاجه كبير جدا، خاصة بعدما ظهر سحرة وفكيان وساحرات وادعوا المقدرة التامة علي معالجة تللك الحالات الديكية المعقدة...» [٦١].

هذه الحالة الديكية جاءت نتيجة العقد الذي ابرم ما بين الديك» الجن حارس الذهب والآثار» وما بين فتح الله، ولا يمكن الشفاء منها ابدا بالرغم من انها من هنالك العديد من المحاولات لذلك والتي تمثلت في امرين الاول العلاج عن طريق الشيوخ وذلك عن طريق التخلص من الخاتمين اللذان بهما الديك، حيث أشار اليهما الشيخ و»... واكد لهما أن هذا الديك لن يفارقه مالم يتم

التخلص من الخاتمين بالطريقة السليمة، وهي أن يحضرهما للشيخ الذي سيقوم بوضع بعض التمائم عليهما، ثم يرميان في النيل في ليلة مظلمة او أن يعيدهما للقبر النوبي المسحور ثم علي فتح الله أن يذبح ثوراً أسوداً او أبيض شديد البياض كرامة وفدية لنفسه...» [٦٢].

الامر الثاني هو إرجاع المال الي اسرة جبريل صديق فتح الله الذي توفي بسبب الديك فنجد أن نصرة كانت «... وهي تظن ان إعادة المال قد تقلل من مهاجمة الجن حارس الذهب لزوجها...»[٦٣].

الا انه نجد ان كل السبل باءت بالفشل وان الديك لم يختفي الا بموت فتح الله «... وفي نفس لحظة موت فتح الله فراج اختفى الديك من منزل صديقه جبريل ولم يترك أثراً واختفى نقش صورة الديك في الخاتمين أيضاً...» [٦٤]. وبعدها أخذ **شبحه علي ظهره في رحلة مليئة الاحداث الي جزيرة ناوا جزيرة او واحة الروح.**

كذلك صنع بركة ساكن بعض الاساطير الخاصة، والتي استقاها من المجتمع، من خلال بعض الشخصيات الأسطورية والتي لها صفات سحرية خاصة والتي تؤثر في معتقدات الناس حولها بما يعتقدونه من قدرات خارقة لهذه الشخصية ومن هذه الشخصيات الجدة أماني، فكان أهل نصرة زوجة فتح الله يفسرون الثراء الذي جاء فجأة الي نصرة ليس بسبب فتح الله والذهب الذي وجده، وأنما لهم تفسيرهم الخاص والقائم علي أسطورة مختلفة [٦٥]. و هي اسطورة الجدة اماني وهي انه»... انتشر الخبر في القرية عن ظهور أماني، أي الملكة النوبية وأنها ارضعت الجد النساج الاعمى وحفيدته نصرة،فلم يشك أحداً أبداً في صدق الحدث، فظهور الملكة او أماني او الجدة كما يسميها البعض يحدث بين وقت واخر ولو أنه لم يرها أحد من الاحياء الان ولكنهم يتناقلون حكاية ظهورها جيل لجيل ومن عصر لعصر... كانوا يهربون بمجرد ظهورها من ماء النهر... ولكن يؤمن الجميع بأنها لا تضر أحد بل أنها الخير ذاته. فمن رآها سيسعد في يوما ما، اما من أرضعته فأما أن يصبح من المعمرين مع الاحتفاظ بصحة جيدة خالية من الامراض وصرف الدهر، واما أن يصيب ثروة كبيرة مذهلة في حياته بعد فقر وعوز ...» [٦٦].ليس هذا وحسب بل ولأنها رضيعة الجدة اماني كانت

لها قدرات في معرفة الطالع «... وعندما بدأت تعرف رمى الودع وضرب الرمل لم يستغرب الناس أيضا فهي رضيعة الجدة أماني...» [٦٧].

ولعل الجدة اماني هذه هي نفسها أماني تاري، او هي الديك الذي حول حياة المعدنيين التقليديين الي جحيم فقط هنا أختلف شكل تمظهرها وانبعاثها، مما يدل على فعالية أسطورة الموت والانبعاث في العقل الجمعي في المجتمعات السودانية [٦٨].

## الخاتمة والنتائج:

- مازال الحديث طويل جدا ومستمر عن علاقة علم الآثار بالأدب الروائي وكيف يمكننا توظيف كلاهما لخدمة الاخر، وينبغي ان نشير هنا الي أن الروائي لا يكتب تاريخاَ وما بينغي له ذلك، ولكن انما نراه يلَحم جهده ويرويه، شيئا يحمل طابع الرواية التاريخية، وذلك لأن الابداع الروائي أنما ينهض ويقوم علي فكرة من التاريخ والماضي والاثار، بشيء باد من الضرورة ويتمثل حتماً مظهراً من مظاهر البناء الذي بمقتضاه نستطيع قراءة ما يحدث للكائنات، والاشياء والأفكار[٦٩].
- كشفت رواية مانفستو الديك النوبي لعبدالعزيز بركة ساكن علاقة علم الآثار بالأدب الروائي وكيف يمكن عرض بعض او كل الحقائق الاثارية والتاريخية بصورة أدبية شيقة لا تنقص او تمس الحقيقة العلمية والتاريخية بشيء من الاعتلال، بل يمكن ان تكون طريقة جديدة يتخذها علماء الآثار في عرض أعمالهم للجمهور الادبي البسيط، ولعل هذا ما يتخذه الان العديد من علماء الآثار حيث أتجه بعضهم الي كتابة كتب آثارية في شكل روائي جميل تحكي قصص آثارية حقيقية عن علم الآثار وتاريخه ولعل علي سبيل المثال براين فيغن وكتابه مختصر تاريخ علم الآثار الذي صدر حديثاً عام ٢٠١٨م.

- الفولكلور والاسطورة الشعبية في السودان حول المواقع الاثارية سلاح ذو حدين فمن ناحية عملت في الماضي علي حماية المواقع الاثارية وذلك بحث الناس عن الابتعاد عنها وعدم الاقتراب لوجود الجن والشياطين بها، ولكن نجد لاحقاً أصبحت مصدر أساسي لتعرض هذه المواقع للتعدي والتدمير وذلك بحثاً عن الذهب والكنوز التي تحتويها هذه المواقع.
- أن الاعمال الروائية والسردية بوجه عام، قد لا تتناقض مع الحقيقة التاريخيةاو الآثارية وانما العيب كل العيب ان نشدو التاريخ والآثار في الرواية فقط فتصبح الرواية وثيقة من وثائق التاريخ او كتاب ومقال من كتب الآثار ، و هو امر غير مقبول فكما أن المؤرخ لا يستطيع في اطوار معينة الإفلات من تهمة الانحياز، او النسيان او الغلط او التعصب او الجهل فكذلك الروائي، فكم من روائي حاول ان يرسم فترة من زمن التاريخ و ان يبرز وظيفة سياسية او دينية او اجتماعية او فكرية او يطمع في تخليد بيئة من البيئات فجاء بغير الحقيقة التاريخية، ولم يعبر في نهاية الامر الا عن ايدولوجيته وآرائه الشخصية غير الحيادية[٧٠].
- وفي الختام يقول جورجي زيدان[٧١] في ذلك « إننا نتوخى جهدنا في أن يكون التاريخ أو الآثار حاكما على الرواية لا هي عليه كما فعل بعض كتبة الإفرنج، وفيهم من جعل غرضه الأول تأليف الرواية، وإنما جاء بالحقائق التاريخية والآثارية لإلباس الرواية ثوب الحقيقة ، وأما نحن فالعمدة في رواياتنا على التاريخ، وإنما نأتي بحوادث الرواية تشويقا للمطالعين، فتبقى الحوادث التاريخية على حالها، وندمج فيها قصة غرامية، تشوق المطالع إلى استتمام قراءتها، فيصبح الاعتماد على ما

يجـيء في هـذه الروايـات مـن حـوادث التاريـخ مثـل الاعتـماد عـلى أي كتـاب مـن كتـب التاريـخ او الآثـار.

- وأخيراً..نجـد ان المتعمـق في علـم الآثـار يـدرك جيـداً انـه مـن اراد ان يعـرف علـم الآثـار ينبغـي عليـه ان يحلـق خارجـه ويبحـث عـن علـم الآثـار في ضروب العلـوم الاخـرى، ولعـل حلمـي وحلـم آخـرون في ميـدان علـم الآثـار يتحقـق يومـا مـا بميـلاد علـم جديـد يزيـد تيـارات بحـر علـم الآثـار قـوة الي قوتهـا الا وهـو علـم الآثـار الـروائي.

## المصادر والمراجع:

(1)الزين، انتصار صغيرون(٢٠١٠م):علم الآثار والأدب: الطيب صالح نموذجاً. هذا هو المكان في تذكّر الطيب صالح: مقالات في الآدب والثقافة السودانية علي شرف الاديب الرحل(تحرير) أيمان عباس حسن. مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي. الطبعة الاولي.

(2)بشري، محمد المهدي (2015): الرواية السودانية في 60 عاماً. مطبعة جامعة الخرطوم، الخرطوم.

(3)بشرى، مرجع سابق.

(4)الملك، علي (٢٠١٥م): مختارات من الأدب السوداني. دار الثقافة والفنون والتراث. قطر.

(5)بشرى، مرجع سابق، ص٤٣.

(6)بشرى، مرجع سابق، ص ٤٤.

(7)أبكر، النور عثمان( 1975م): الرواية السودانية. وزارة الثقافة والاعلام، الخرطوم.

(8)بشرى، مرجع سابق، ص ٤٦.

(9)خالد، أبوبكر(1958م): بداية الربيع. دار الهناء للطباعة والنشر.

(10)خالد، أبوبكر( 1966م): النبع المر. الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة.

(11)خالد، أبوبكر. (1967م): القفز فوق حائط قصير. روايات الهلال (327) مؤسسة دار الهلال. القاهرة.

(12)بشري، محمد المهدي(2004م): الشمعة والظلام، مقالات ودراسات في القصة القصيرة والرواية السودانية. حصاد للطباعة، الخرطوم.

(13)عيدروس، مجذوب (2010م): رواية بيت النخيل، قراءة أولية : الوعي بالمكان- الوعي بالكائنات، في أحمد عبدالمكرم (تحرير) بحوث في الرواية السودانية. مركز عبدالكريم ميرغني. أم درمان.

(14)بشرى، مرجع سابق، ص٥٧.

(15)بشرى، المرجع السابق، ص ٥٨.

(16)محمد، ملكة الدار. 1971. الفراغ العريض. المجلس القومي للآداب والفنون. الخرطوم.

(17)بشرى، المرجع السابق، ص ٦١.

(18)بشرى، المرجع السابق، ص ٦٢.

(19)جبريل، أمير صالح.(2010.م): آخر أيام شاب جنوبي، رواية. دار مدارات للنشر، الخرطوم.

(20)الميري، عبدالله ميرغني (٢٠١٥م): موسوعة الاعمال المسرحية السودانية الشاملة١٨٨١-٢٠١٥م. وزارة الثقافة. الخرطوم.

(21)الميري، المرجع السابق، ص ١٦-٢٨.

(22). Renfrew, C.; Bahn, P. G. (1991): Archaeology: Theories, Methods, and Practice, London: Thames and Hudson Ltd

(23)العروي، عبدالله(1970.م): الأيديولوجية العربية المعاصرة.ترجمة عيتاني محمد، دار الحقيقة، بيروت.

(24)مفقودة، صالح(٢٠٠٨م): أبحاث في الرواية العربية. منشورات مخبر أبحاث في اللغة والادب الجزائري، دار الهدى، الجزائر.

(25)إبراهيم، فتحي (1988م): معجم المصطلحات الأدبية. المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، الجمهورية التونسية.

(26)مفقودة، مرجع سابق، ص ٨.

(27)بالنور، سليمة(٢٠١٤م): الرواية التاريخية بين التأسيس والصيرورة. مجلة عود الند. العدد ٩٣. ص ٨٤-٩٥.

(28)لوكاتش،جورج(١٩٨٦م): الرواية التاريخية، ترجمة صالح جواد الكاظم، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق.

(29)فرج، مريم جمعة(٢٠٠٠م): قراءة في الرواية التاريخية. مجلة البيان، العدد: 46.

(30)بالنور، مرجع سابق.

(31)قاسم، عبده قاسم( ١٩٧٩م): الرواية التاريخية في الآدب العربي الحديث. دار المعارف القاهرة.

(32)هلال، غنيمي (١٩٨١م): الرومانتيكية. الطبعة السادسة. دار العودة. بيروت.

(33)تيغيم، فليب فان(١٩٦٧م): المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا. ترجمة فريج أنطونيوس. عويدات للنشر والطباعة، بيروت. لبنان.

(34)قاسم، مرجع سابق، ص ١٧٩.

(35)كريستي، أجاثا( ١٩٧٧م.): أخناتون. ترجمة حلمي مراد. روايات الهلال رقم ٣٤٢. دار الهلال. القاهرة.

(36)مانفريدي، فاليريو ماسيمو( ٢٠١٠م): الاسكندر رمال آمون. رواية متسلسلة الكتاب الثاني. ترجمة سعيد الحسنية.الدار العربية للعلوم. الطبعة الاولي. بيروت.

(37)إبراهيم، عبدالله( ٢٠٠٣م): السردية العربية. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. المغرب.

(38)بالنور، مرجع سابق.

(39)بالنور، مرجع سابق.

(40)غنيم، محمد.٢٠١٤م. بلورة أمحو تب. عصير الكتب للنشر الالكتروني. مصر.

(41)محمد، عبدالغفار الحسن. ٢٠١٧م. توظيف الأسطورة في رواية مانفستو الديك النوبي لعبد الغزيز بركة ساكن «قراءة نقدية». مجلة الدراسات الانسانية، كلية الآداب، جامعة دنقلا، العدد الثامن عشر، ص ١٣٥-١٥٩.

(42)ساكن، عبدالعزيز بركة.٢٠١٧م. مانفستو الديك النوبي. مسكيلياني للنشر والتوزيع. تونس.

(43)ساكن، المرجع السابق، ص١٨.

(44)ساكن، المرجع السابق، ص ٥٠.

(45)ساكن، المرجع السابق، ص ٥٧.

(46)ساكن،المرجع السابق، ص ٢٣٤.

(47)ساكن، المرجع السابق، ص ٢٣٥.

(48)ساكن، المرجع السابق، ص ٢٣٥.

(49)ساكن، المرجع السابق، ص ٧٥.

(50)ساكن، المرجع السابق، ص ٧٦.

(51)ساكن، المرجع السابق، ص ١١٥.

(52)ساكن، المرجع السابق، ص ١١٦.

(53)ساكن، المرجع السابق، ص ١١٧.

(54)ساكن، المرجع السابق، ص ٢٣٧.

(55)ساكن، المرجع السابق، ص ٢٠٠-٢٠١.

(56)محمد، مرجع سابق، ص ١٤٢.

(57)ساكن، مرجع سابق، ص ٥٢-٥٣.

(58)ساكن، مرجع سابق، ص ١٨٠.

(59)ساكن، مرجع سابق، ص ٩٥.

(60)ساكن، مرجع سابق، ص١٥٣.

(61)ساكن، مرجع سابق، ص ٢٨٥.

(62)ساكن، مرجع سابق، ص ١٨٠.

(63)ساكن، مرجع سابق، ص ١٨٧.

(64)ساكن، مرجع سابق، ص ٣٠٩.

(65)محمد، مرجع سابق ، ص ١٤٩.

(66)ساكن، مرجع سابق ، ص ٣٢٠.

(67)ساكن، مرجع سابق، ص ٣٢٠.

(68)محمد ، مرجع سابق ، ص ١٤٩-١٥٠.

(69)مرتاض، عبد الملك(١٩٩٨م): في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد. سلسلة عالم المعرفة ٢٤٠. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت.

(70)مرتاض، المرجع السابق، ص ٢٩.

(71)زيدان، جورجي. ١٩٧٩م. تاريخ الآداب العربية. مكتبة الحياة. بيروت .